ديوان سلطان العاشقين

عمر بن الفارض

(٥٧٧- ٦٣٢) هـ

شرح وتقديم

سماحة الإمام الشريف الحسني

صلاح الدين التجاني

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ قُولِي لِلرَّشَا
لَمْ يَزِدْنِي الوِرْدُ إِلَّا عَطَشَا
لِي حَبِيبٌ حُبُّه وَسَطَ الحَشَا
إِنْ يَشَأْ يَمْشِي عَلَى خَدِّي مَشَا
رُوحُهُ رُوحِي وَرُوحِي روحُهُ
إِنْ يَشأْ شئْتُ وَإِنْ شِئْتُ يَشَا

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى استتمامًا لنعمته واستسلامًا لعزته واستعصامًا من معصيته وأستعينه فاقة إلى كفايته فإنه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نتمسك بها أبدًا ما أبقانا وندخرها لأهاويل ما يلقانا ، وأشهد أن سيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله ، أرسله الله تعالى بالنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع .

فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الكرام موضع سره وخزنة علمه وموئل حكمته وكهوف أسراره وجبال دينه .

أما بعد ...

فإنه لما منَّ الله تعالى عليَّ واطّلعت على ديوان سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى فإني وجدت بحرًا لا ساحل له عميقًا لا قرار له ، فأحببت أن أستخرج جواهره ولآلئه ، فانتقيت منه ما فتح الله به عليَّ من أبياته ، مع تقديم بعضها على بعض - إذا اقتضى الحال - ليسهل على قُرَّاء هذا العصر الإلمام بما اشتمل عليه الديوان من مقاصد ومعانٍ ، قاصدًا جمع ما يرمي إليه مؤلفه مبسّطًا أفكاره مع الاحتفاظ بأنواره .

وقدمت له بمقدّمة بمثابة المفتاح الذي تفتح به أسراره وخزائنه ، وتُفهم به مصطلحاته وغوامضه ، جعله الله خالصًا لوجهه الكريم . آمين .

صلاح الدين التجاني

ديباجة الديوان

ديباجة الديوان

الحمد لله الذي اختص حبيبه الأسنى بمقام ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾{النجم : ٩} . وقرن اسمه الشريف بأعظم أسمائه الحسنى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولي عباده وحبيب عباده ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله الشرفاء ، وأصحابه الحلفاء والخلفاء ، وعلى إخوانه من الأنبياء ، ومن اتبعه من الأولياء ، صلاة تنشر نفحاتها على أرواحهم الطاهرة ، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة ، وسلم تسليمًا .

قال الفقير المعترف بذنبه ، المغترف من نهر عطاء ربه ، عليٌّ ، سبط الشيخ ابن الفارض ، الراجي كرم ربه الفائض ، عفا الله عن خطئه وعمده ، وتداركه برحمة من عنده .

نظرت في نسخ من ديوان شيخنا قدس الله سره ، وشرح صدره بالنظر إليه وسرَّه ، فرأيت النسَّاخ جهلوا بعض كلامه ، وما عرفوه ، واشتبه عليهم شيء من جناسه فصحفوه ، وأخرجوه بذلك عن أصله ، ولم يردوه إلى أهله ، فاستخرت الله تعالى واستعنت به في تحرير هذه النسخة المباركة ، وسلكت

بكلامه فيها مسالكه ، معتمدًا في ذلك على نسخة عندي من أثره محررة ، وصحفها من التحريف والتصحيف مطهرة ، تلقيتها من ولده ، سيدي الشيخ كمال الدين محمد ، جمع الله بينهما عنده في مقعد صدق وحبذا ذلك المقعد ، وقرأت عليه ما فيها قراءة تصحيح وحفظ ، وسمعته يورده بأعذب لفظ ، وأخبرني أنه قرأه وسمعه كذلك على الشيخ والده ، ولم تفته سوى قصيدة واحدة ، كان نظمها في حال التجريد بالحجاز ، بأودية مكة وجبالها ، وكان أهل مكة يعلمونها لأولادهم في المكاتب ، وينشدونها في الأسحار على المآذن ، ولم ترد في نسخة من ديوانه ، لأنه كان نظمها بالحجاز ، والديوان أملاه بالقاهرة عند مقامه بها بعد التجريد ، وقال ولده رحمه الله : ولي أتطلبها من سنين ، ولم أجدها عند أحد من أصحاب الشيخ ، ولم أذكر منها سوى هذا البيت وهو مطلعها :

أَبَرْقٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ الغَوْرِ لَامِعُ   أَمِ ارتَفَعَتْ عَنْ وَجْهِ سَلْمَى البَرَاقِعُ

وعهد إليَّ ولده رحمه الله أن أجتهد في طلبها ، وأن أجمع شملها بأخواتها في ديوان أدبها ، فاجتهدت في ذلك كل الاجتهاد .

ثم بعد ذلك وجدت القصيدة المذكورة ، التي كانت من الديوان مفقودة الصورة .

وأخبرني ولده أنه قابل نسخته المشار إليها ، على نسخة كانت عنده بخط الشيخ رحمه الله ، وأن شيخ الشيوخ استعارها منه ، وحلف له أن يعيدها إليه ، وسافر ولم يردها عليه .

وأخبرني الشيخ أبو القاسم المنفلوطي عندما حضر من منفلوط إلى القاهرة في – بعض سنى خمس وثلاثين وسبعمائة – أن النسخة المذكورة معه إلى الآن موجودة بالقاهرة . ووعدني أن يحضرها إليّ ، وسافر إلى منفلوط ولم يحضرها ، وبلغني أن المذكور شيخ زاوية بالبلدة المذكورة ، وله فيها صورة مشهورة . وقد صارت هذه النسخة لهما ثالثة ، ولصحتهما وارثة ، والله الموفق للسداد والهادي إلى الرشاد . وأودعت في صدرها أسرارًا من كراماته المشهورة ، وحسن شكله الذي خلقه الله في أجمل صورة .

ومن فهم معاني كلامه ؛ دلته معرفته على مقامه ، ومن اختصه الله بمحبته وأنسه ؛ يعرفه المحب من جنسه ، وقد جعل الله المحبين خزائن أسراره المصونة ، ومعادن يحبهم ويحبونه .

فمن ذلك ما أخبرني به ولده سيدي الشيخ كمال الدين محمد ، رحمة الله عليه ، قال :

كان الشيخ ﷺ معتدل القامة ، وجهه جميل حسن ، مشرب بحمرة ظاهرة ، وإذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال ؛ يزداد وجهه جمالاً ونورًا ، ويتحدر العرق من سائر جسده ، حتى يسيل تحت قدميه على الأرض ، ولم أر في العرب ولا في العجم مثل حسن شكله . وأنا أشبه الناس به في الصورة . وكان عليه نور وخفر ، وجلالة وهيبة .

وكان إذا حضر في مجلس ؛ يظهر على أهل ذلك المجلس سكون وسكينة . ورأيت جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء والقضاة وأكابر الدولة من الأمراء والوزراء ورؤساء الناس يحضرون مجلسه ، وهم في غاية ما يكون من الأدب معه ، والاتضاع له ، فإذا خاطبوه كأنهم يخاطبون ملكًا عظيمًا ، وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه ، يلتمسون منه البركة والدعاء ، ويقصدون تقبيل يده ، فلا يمكّن أحدًا من ذلك ، بل يصافحه ، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة .

وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متسعة ، ويعطي من يده عطاء جزيلاً ، ولم يكن يتسبب في تحصيل شيء من الدنيا ، ولا يقبل من أحد شيئًا ، وبعث إليه السلطان محمد الملك الكامل رحمه الله ألف دينار فردها إليه ، وسأله أن يجهز له ضريحًا عند قبر أمه في قبة الإمام الشافعي ﷺ ، فلم يأذن

له بذلك ، ثم استأذنه أن يجهز له مكانًا يكون مزارًا يعرف به ، فلم ينعم له بذلك ، وسأذكر ذلك في موضعه .

قال ولده ، رحمه الله : سمعت الشيخ ﷺ يقول : كنت في أول تجريدي أستأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم ، وآوي فيه ، وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهارًا ، ثم أعود إلى والدي لأجل بره ومراعاته ، وكان والدي يومئذٍ خليفة الحكم العزيز الحنفي بالقاهرة ومصر المحروستين وكان من أكابر أهل العلم والعمل ، فيجد سرورًا برجوعي إليه ، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم . ثم أشتاق إلى التجريد وأستأذنه وأعود إلى السياحة . وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة إلى أن سُئِلَ والدي أن يكون قاضي القضاة ؛ فامتنع ، ونزل عن الحكم ، واعتزل الناس ، وانقطع إلى الله تعالى في جامع الأزهر ، إلى أن تُوُفِّيَ رحمه الله تعالى ، فعاودت التجريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة . فلم يفتح على بشيء .

فحضرت من السياحة يوماً إلى المدينة ، ودخلت المدرسة السيوفية ، فوجدت شيخًا بقالاً على باب المدرسة ، يتوضأ وضوءاً غير مرتب ، غسل يديه ، ثم غسل رجليه ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل وجهه .

فقلت له : يا شيخ ، أنت في هذا السن في دار الإسلام على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين وأنت تتوضأ وضوءًا خارجًا عن الترتيب الشرعي ؟ . فنظر إليَّ ، وقال : يا عمر ، أنت ما يُفتح عليك في مصر ، وإنما يفتح عليك بالحجاز في مكة شرفها الله ، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح .

فعلمت أن الرجل من أولياء الله تعالى ، وأنه يتستر بالمعيشة ، وإظهار الجهل بترتيب الوضوء .

فجلست بين يديه ، وقلت له : يا سيدي ، وأين أنا وأين مكة ؟ ولا أجد ركبًا ولا رفقة ، وفي غير أشهر الحج . فنظر إليَّ وقال : هذه مكة أمامك .

فنظرت معه ، فرأيت مكة شرفها الله تعالى ، فتركته وطلبتها ، فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت . وجاءني الفتح حين دخلتها ، فترادف ولم ينقطع .

قلت : وإلى هذا الفتح أشار ﵁ في القصيدة الدالية بقوله :

يَا سَمِيرِي رُوحٌ بِمَكَّةَ رُوحِي ... شَادِيًا إِنْ رَغِبْتِ فِي إِسعَادِي
كَانَ فِيهَا أُنْسِي وَمِعْرَاجَ قدْسِي ... وَمَقَامِي المُقَامَ وَالفَتْحَ بَادِي

قال ﷺ : ثم شرعت في السياحة في أوديتها وجبالها ، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهارًا .

قلت : وإلى هذا أشار في القصيدة التائية بقوله :

وَجَنَّبَنِي حُبِّيكَ وَصْلَ مَعَاشِرِي وَحَبَّبَنِي مَا عِشْتُ قَطْعَ عَشِيرَتِي
وَأَبْعَدَنِي عَنْ أَرْبُعِي بُعْدُ أَرْبَعٍ شَبَابِي وَعَقْلِي وَارتياحِي وَصِحَّتِي
ومن فلي بعد أوطاني سُكُونًا إلى الفَلا وَبِالوَحْشِ أُنْسِي إِذْ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَتِي

قال ﷺ : وأقمت بواد كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد ، وكنت آتي منه كل يوم وليلة ، وأصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس ، ومعي سبع عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وإيابي ، وينخ كما ينخ الجمل ، ويقول بلسان طلق : يا سيدي اركب ، فما ركبته قط .

وتحدث بعض جماعة من كبار المشايخ المجاورين بالحرم الشريف في تجهيز مركوب يكون عندي في البرية ، فظهر لهم السبع عند باب الحرم الشريف ، ورأوه وسمعوا قوله : (يا سيدي ، اركب) فاستغفروا الله وكشفوا رؤسهم واعتذروا إليَّ .

ثم بعد خمس عشرة سنة ، سمعت الشيخ البقال يناديني : يا عمر ، تعال إلينا إلى القاهرة ، واحضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة ، وصلِّ عليَّ .

فأتيته مسرعاً ، فوجدته قد احتضر ، فسلمت عليه وسلم عليَّ ، وودعني ، وناولني دنانير ذهب ، وقال : جهزني بهذه ، وافعل كذا وكذا ، وأعط حملة نعشي كل واحد ديناراً ، واتركني على الأرض في هذه البقعة ، وأشار بيده إليها ، فلم تزل بين عيني أنظر إليها ، وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض عند مجرى السيل بالقرب من مراكع موسى بسفح الجبل المقطم . قال : وانتظر قدوم رجل يهبط عليك من الجبل ، فصل أنت وهو عليَّ ، وانتظر ما يفعل الله في أمري .

قال : وتوفى ، رحمه الله ، فجهزته كما أشار ، وطرحته في البقعة المباركة كما أمرني ، فهبط إليَّ رجل من الجبل كما يهبط الطائر المسرع ، لم أره يمشي علي رجليه ، فعرفته بشخصه ، كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق ، فقال : يا عمر ، تقدم فصلّ بنا على الشيخ . فتقدمت وصليت إماماً . ورأيت طيوراً خضراً وبيضاً صفوفاً بين السماء والأرض ، يصلون معنا . ورأيت طائراً منهم أخضر عظيم الخلقة قد هبط عند رجليه ، وابتلعه ، وارتفع إليهم ، وطاروا جميعاً ، ولهم ضجة بالتسبيح إلى أن غابوا عنَّا .

فسألته عن ذلك ، فقال : يا عمر ، أما سمعت أن أرواح الشهداء في جوف طيور خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت ، هم شهداء السيوف ، وأما شهداء المحبة ، فكلهم ، أجسامهم وأرواحهم ، في جوف طيور خضر ، وهذا الرجل منهم يا عمر ، وأنا كنت منهم ، وإنما وقعت مني هفوة ، فطردت عنهم فأنا أصفع قفاي في الأسواق ندماً وتأديباً على تلك الهفوة .

قال : ثم ارتفع الرجل إلى الجبل كالطائر إلى أن غاب عني .

قال لي والدي : يا محمد ، إنما حكيت لك هذا لأرغبك في سلوك طريقنا ، فلا تذكره لأحد في حياتي ، فلم أذكره لأحد حتى توفى ﵁ . وفي هذه البقعة المباركة دفن الشيخ ﵁ حسب وصيته ، وضريحه بها معروف .

وفي ذلك قال بعض الفضلاء يرثيه ، وهو أبو الحسين الجزار :

لَمْ يَبْقَ صَيِّبُ مُزنَـةٍ إِلَّا وَقَـدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ زِيَارَةُ ابْنِ الفَارِضِ
لَا غَرْوَ أَنْ يَسْقِي ثَرَاهُ وَقَبْرَهُ بَاقٍ لِيَومِ العَرْضِ تَحْتَ العَارِضِ

وقلت أنا :

جُزْ بِالقَرَافَةِ تَحْتَ ذَيلِ العَارِضِ وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الفَارِضِ
أَبْرَزْتَ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا وَكَشَفْتَ عَنْ سِرٍّ مَصُونٍ غَامِضِ

ومنها :

وَشَرِبْتَ مِنْ كَأْسِ المَحَبَّـةِ والوَلَا فَـرُوِيتَ مِنْ بَحْـرٍ مُحِيـطٍ فَائِـضِ

وقال ولده رحمه الله : رأيت الشيخ نائماً مستلقياً على ظهره ، وهو يقول : صدقت يا رسول الله . ويكررها : صدقت يا رسول الله ، صدقت يا رسول الله ، رافعاً صوته ، مشيراً بإصبعيه اليمنى واليسرى ، واستيقظ من نومه وهو يقول كذلك ، ويشير بإصبعيه كما كان يفعل وهو نائم ، فأخبرته بما رأيته وسمعته منه ، وسألته عن سبب ذلك ، فقال يا ولدي ، رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وقال لي : يا عمر ، لمن تنتسب ؟ . فقلت يا رسول الله : أنتسب إلى بني سعد قبيلة حليمة السعدية مرضعتك يا رسول الله ، فقال : لا ، بل أنت مني ، ونسبك متصل بي . فقلت : صدقت يا رسول الله ، إني أحفظ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد، فقال : لا ، مادًّا بها صوته ، بل أنت مني ونسبك متصل بي ، فقلت : صدقت يا رسول الله ، مكررًا لذلك ، مشيرًا بإصبعي كما رأيت وسمعت .

وهذه النسبة الشريفة ، إما أن تكون نسبة الأهلية ، أو نسبة المحبة ، والنسبة التي هي عند أهل المحبة أشرف من نسب الأبوة ، وهي التي جعلت بلالاً

الحبشي وسلمان الفارسي وصهيباً الرومي من أهل البيت ، وأبعد عنها أبو لهب ، ولم يتشرف بها ، ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهلية ، لما حجبته المشيئة الإلهية عن الهداية الربانية ، ولذلك تبرأ إبراهيم الخليل من أبيه لما تبيّن له أنه عدوّ لله . وقيل لنوح عليه السلام عن ولده : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ {هود : ٤٦} . وإلى هذا النسب الشريف أشار شيخنا في القصيدة اليائية ، حيث قال :

نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الْهَوَى بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَي

قلت : ورأيت في المنام كأني في الحضرة الشريفة المحمدية ، وكان عند رسول الله ﷺ جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء ، وكان الشريف شمس الدين محمد نقيب الأشراف ، بن السيد الشريف شهاب الدين الحسين ، بن السيد الشريف شمس الدين محمد الأرموي ، قاضي العساكر المنصورة ، قدس الله روحه مع الجماعة في الحضرة الشريفة ، ولم أعرف أحدًا منهم بصورته سواه ، وكان النبي ﷺ أمر بإثبات نسب الشيخ صبيح الحبشي إليه ﷺ ، ورأيت رجلاً معه المكتوب الذي يشهد فيه بالنسبة ، وهو يدور على الجماعة الحاضرين يأخذ خطوطهم فيه ، فلما وصل إليَّ ناولني المكتوب ، وقال لي :

أكتب ، فقلت له : أنا ما رأيت الشيخ صبيح ولا عاصرته ولا أعرف نسبته ، وإنما رأيت أولاده وهم أصحابي ، فصرخ عليَّ صرخة عظيمة وجدت لها رعباً عظيماً ، وقال لي : أكتب كما أمر رسول الله ﷺ أن يكتب ، فقلت : وما أكتب ؟ قال : اكتب أشهد أن النبي ﷺ متصل النسب بالشيخ صبيح ، فكتبت كما أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يكتب .

وقال ولده رحمه الله : سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وقال لي : يا عمر ، ما سميت قصيدتك ؟ فقلت : يا رسول الله سميتها : « لوائح الجنان وروائح الجنان » ، فقال : بل سمها : ﴿ نظم السلوك ﴾ ، فسميتها بذلك .

وقال ولده : حضر في مجلس الشيخ رضي الله عنه رجل ، وسمَّاه ، فأنسيت اسمه ، وكان من أكابر علماء زمانه واستأذنه في شرح القصيدة ﴿ نظم السلوك ﴾ فقال له : في كم مجلد تشرحها ؟ فقال في مجلدين ، فتبسم الشيخ رضي الله عنه ، وقال : لو شئت لشرحت كل بيت منها في مجلدين .

قلت : سمعت الشيخ شمس الدين الأيكي شيخ الشيوخ بخانقاه «سعيد السعداء» يقول لسيدي الشيخ كمال الدين محمد من أكابر الصوفية ،

وكان ذلك في أواخر الدولة المنصورية قلاوون تغمده الله برحمته : يا سيدي الحمد لله الذي عشت ورأيتك ، وكأني اليوم رأيت سيدي الشيخ شرف الدين والدك ، وأنا على مذهب شيخنا صدر الدين في محبة الشيخ واعتقاده والاشتغال بقصيدته ﴿ نظم السلوك ﴾ وذكر منها أبياتًا منها هذا البيت :

وَلَوْلَا حِجَابُ الكَوْنِ قُلْتُ وَإِنَّمَا   قِيَامِي بِأَحْكَامِ المَظَاهِرِ مُسْكِتِي

وشرع يتكلم في معاني الأبيات ، ويقول : كان شيخنا يحضر في مجلسه جماعة من العلماء وطلبة العلم ، ويتكلم في فنون العلوم ، ويختم كلامه بذكر بيت من القصيدة ﴿ نظم السلوك ﴾ ، ويتكلم عليه بالعجمي كلامًا غريبًا لدينا لا يفهمه إلا صاحب ذوق وشوق ، وكان في ثاني يوم يقول : ظهر لي في شرح البيت الذي تكلمنا عليه بالأمس معنى آخر ، ويتكلم بأعجب مما تكلم بالأمس . وكان يقول : ينبغي للصوفي أن يحفظ هذه القصيدة ويشرحها على من يفهمها . قال الشيخ شمس الدين الأيكي رحمه الله : وكان الشيخ سعيد الفرغاني قد أقبل بهمته على فهم ما يذكره الشيخ صدر الدين من شرح القصيدة ويعلقه عنده بالعجمي ، ثم بعد ذلك عرّبه وعمل شرحه المشهور في مجلدين وهو من نفس شيخنا صدر الدين رحمه الله ،

قلت : وما برحت أطلب الشرح المذكور إلى أن رأيت الشيخ كريم الدين شيخ الشيوخ بالخانقاه الصلاحية عند الشيخ عمر السعودي في الطبقة التي هي على باب زاويته بالقرافة ، وأخبرني أن الشرح عنده ، فاستعرته منه واستنسخته ، وهو عندي ، ولقد أجاد فيه رحمه الله ، وفتح بابا في شرح القصيدة لم يفتحه غيره من قبله . قلت : وأخبرني القاضي جمال الدين عبد الله ابن سيدنا ومولانا الشيخ جلال الدين محمد القزويني قاضي القضاة بالشام المحروس ثم بالديار المصرية ، أن والده - حرس الله جلاله وحفظ صفاته وخلاله - شرح القصيدة في عدة مجلدات .

وقال ولده رحمه الله : كان الشيخ رضي الله عنه في غالب أوقاته لا يزال داهشاً وبصره شاخصاً ، لا يسمع من يكلمه ولا يراه ، فتارة يكون واقفاً ، وتارة يكون قاعداً ، وتارة يكون مستلقياً على ظهره ، مسجى كالميت ، يمر عليه عشرة أيام متواصلة ، وأقل من ذلك أو أكثر ، وهو على هذه الصفة ، ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك ، فهو كما قيل :

ترى المحبين صرعى في ديارهم　　كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم　　صرعى من الحب أو موتى لما حنثوا

ثم يستفيق وينبعث من هذه الغيبة ، ويكون أول كلامه أنه يملي من القصيدة ﴿ **نظم السلوك** ﴾ ما فتح الله عليه .

قلت : طالعت في مجموع بخط رجل ، فرأيت من جملته القصيدة المعروفة بنظم السلوك ، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها : قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض ، نوَّر الله مضجعه :

هذه القصيدة الغراء ، والفريدة الزهراء ، التي لم ينسج على منوالها ، ولا سمح خاطر بمثالها ، وتكاد تخرج عن طوق وسع البشر ألفاظًا ومعاني ، وكان سماها أولاً : «أنفاس الجنان ونفائس الجنان» ، ثم سماها : «لوائح الجنان وروائح الجنان» ثم رأى النبي ﷺ في المنام ، فقال له : سمِّها ﴿ نظم السلوك ﴾ ، فسماها ﴿ نظم السلوك ﴾ .

وحكى جماعة يوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه أنه لم يكن نظمها على حد نظم الشعراء أشعارهم ، بل كان يحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه الأيام نحو الأسبوع والعشرة ، فإذا أفاق أملى ما فتح الله عليه منها ، من الثلاثين والأربعين والخمسين بيتًا ، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال ، ومن تأملها حق التأمل ، علم أن لها نبأ عظيم ، صانها الله عن غير أهلها .

ثم كتب القصيدة بعد هذه الترجمة .

ويحكى أنه لما فوض أمر الوزارة إلى قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز ، قدس الله روحه ونوّر ضريحه ، وذلك في أيام السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي جعله الله من الشهداء ، ورقاه في الجنة إلى منازل السعداء ، وقع في حق الشيخ شمس الدين الأيكي في مجلس حفل بالأعيان بالخانقاه الصلاحية ، وقال له : أنت تأمر الصوفية بالاشتغال بـ ﴿ نظم السلوك ﴾ قصيدة ابن الفارض ، وهو يميل فيها إلى الحلول . وأهانه بالكلام ، فدعا عليه ، وقال له : مثَّل الله بك كما مثَّلت بي ، فعُزل عقيب ذلك من الوزارة في أواخر الدولة المنصورية بسؤاله ثم عُزل من القضاء في الدولة الأشرفية ، وصودر ، ومُثِّل به ، وحبس مدة ، ونُسب إلى سوء الاعتقاد ، وإلى أنه وقع في كلام يفسق به ، وشهد عليه بالزور من لا خلاق له ، وكان ذلك لأجل غرض للصاحب شمس الدين محمد السعلوس ، عفا الله عنه ، ومما قيل فيه :

وحاشاه من قول عليه مزور　　　وما علمت سوءاً عليه الملائك
لئن ثنت العلياء عنه عنانها　　　فتدبيره أثنت عليه الممالك

وكان ذلك القصاص عن وقوعه في حق الخواص ، وكان يرسلني في الباطن إلى من يسعى في خلاصه من الأمراء ومشايخ الفقراء ، وكان إذا اشتد عليه الخناق يقول : اشتدي أزمة تنفرجي ، ويكرر هذا مرارًا ، فلما منّ الله عليه بالخلاص من هذه النكبة ، وتفريج هذه الكربة ، حضرت عنده أنا والشيخ سعد الدين الحارثي الحنبلي المحدث ، وكان من أعز أصحابه ، وسمعته يستغفر الله ويحمده ويشكره على حسن العاقبة والسلامة ، فعرضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي ، ووقوعه في حقه وحق شيخنا وأنه نسبهما إلى الحلول وهما بريئان منه ، وقلت له : كيف يتصور أن الشيخ يميل في قصيدته إلى الحلول ، وقد نزه عقيدته من الحلول بقوله :

وكيف باسم الحق ظل تحققي ... تكون أراجيف الضلال مخيفتي
وها دحية وافى الأمين نبينا ... بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا ... لمهدي الهدى صورة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزية ... بماهية المرئي من غير مرية
يرى ملكاً يوحي إليه وغيره ... يرى رجلا يدعى لديه بصحبة
ولي من أتم الرؤيتين إشارة ... تنزه عن رأي الحلول عقيدتي
وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ... ولم أعد عن حكمي كتاب وسنة

فقال : أنا أحب الناس في نظم الشيخ ، وحفظت ديوانه وأنا شاب ، وانتفعت بحفظه ، وهذه الأبيات ما كأني قط سمعتها إلا في هذه الساعة ، وقد زال من ذهني الآن ما كنت أعتقده من ميل الشيخ في قصيدته إلى الحلول ، وأنا أستغفر الله مما جرى مني من الكلام في حقه . فقلت له : وفي حق الشيخ شمس الدين الأيكي ؟ قال : نعم ، وما برحت في قلق من دعائه إلى أن حلت بي هذه المحنة ، فالله يغفر لي وله ، وأنا تائب إلى الله تعالى من الوقوع في حق أهل هذه الطريق ، فمنهم أُصِبت ، وبالتوسل إلى الله ببركاتهم سلمت . ثم حج بعد ذلك وامتدح رسول الله ﷺ بقصيدة ، وأنشدها عند الروضة الشريفة ، مكشوف الرأس ، وبكى هو والناس معه بكاءً شديداً ، ودعوا على أعدائه .

وقرأ خادم أم الملك السعيد ، وكان حسن الصوت عشراً ، وهو قوله عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ {النور: ٥٥} . فاستبشر بذلك هو والناس ، وعلموا أن الله قد تقبل دعاءهم .

ولما حضر من الحجاز الشريف ؛ وجد أعداءه الذين سلقوه بالألسنة ، قد هلك منهم من هلك عن بينة ، ثم فُوِّضَ إليه القضاء ، وما برح متوليه إلى أن قضى ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجعل روضات الجنان مضاجعه .

ورأيته بعد موته في المنام ووجهه كالقمر ، وعليه نور يتلألأ وخفر ، وعليه ثياب دنسة ، وسألته عن ذلك ، فقال : هذا نور العلم ، وهذه ثياب الحكم . ثم رأيته بعد ذلك في المنام وهو يخطب على منبر الخطابة في جامع الأزهر ، ومما حفظته من كلامه : « وسيعود شعارنا إلى ما كان عليه » .

وقال لي ولده رحمه الله : سمعت الشيخ ﷺ يقول : حصلت مني هفوة فوجدت مؤاخذة شديدة في باطني بسببها ، وانحصرت باطناً وظاهراً ، حتى كادت روحي تخرج من جسدي ، فخرجت هائماً كالهارب من ذنب عظيم فعله وهو مطلوب به ، فطلعت الجبل المقطم ، وقصدت مواطن سياحتي وأنا أبكي وأستغيث وأستغفر ، فلم ينفرج ما بي ، فنزلت إلى القرافة ومرغت وجهي في التراب بين القبور فلم ينفرج ما بي ، فقصدت مدينة مصر ، ودخلت جامع عمرو بن العاص ، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً ، ووجدت البكاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج ما بي ، فغلب علي حال مزعج لم أجد مثله قط قبل ذلك ، فصرخت وقلت :

من الذي ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط

فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض ، أسمع صوته ولا أرى شخصه :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

وقال لي ولده رحمه الله : رأيت الشيخ رحمه الله نهض ورقص زماناً طويلاً ، وتواجد وجداً عظيماً ، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه ، وخر إلى الأرض ، واضطرب اضراباً شديداً ، ولم يكن عنده غيري ، ثم سكن حاله ، وسجد لله تعالى ، وسألته عن سبب ذلك ، فقال : يا ولدي ، فتح الله علي بمعنى في بيت لم يفتح علي بمثله ، وهو :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وحكى رحمه الله ، قال : كان الشيخ ﵁ ماشيًا في السوق بالقاهرة ، فمر على جماعة من الحرس يضربون بالناقوس ، ويغنون بهذين البيتين :

مولاي سهرنا نبتغي منك الوصال مولاي فلم تسمح فنمنا بخيال
مولاي فلم يطرق فلا شك بأن ما نحن إذاً عندك مولاي ببال

قال : فلما سمعهم الشيخ ﷺ صرخ صرخة عظيمة ، ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق ، ورقص معه ناس كثير من المارين في الطريق ، حتى صارت جولة عظيمة وسماعًا عظيمًا ، وتواجد الناس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض ، والحراس يكررون ذلك ، وخلع الشيخ كل ما كان عليه من الثياب ، ورمى بها إليهم ، وخلع الناس معه ثيابهم ، وحمل بين الناس إلى جامع الأزهر وهو عريان مكشوف الرأس ، ولم يبق عليه سوى لباسه ، وأقام في هذه السكرة أياماً ، مُلقىً على ظهره ، مُسجى كالميت ، فلما أفاق جاء الحراس إليه ومعهم ثيابه ، وقدموها بين يديه ، فلم يأخذها ، وبذل الناس لهم فيها ثمناً كثيراً ، فمنهم من باع ، ومنهم من امتنع عن بيع نصيبه ، وأخذه عنده تبركًا به .

وحكى لي أيضاً رحمه الله ، قال : كان الشيخ ﷺ ماشياً في الشارع الأعظم بالقرب من مسجد ابن عثمان ، وكنت معه ، ونائحة تنوح وتندب على ميتة في طبقة ، والنساء يجاوبنها ، تقول :

سِتّي مِتّي مِتّي حقًّا   أي والله حقًّا حقًّا

فلما سمعها الشيخ صرخ صرخة عظيمة ، وخر مغشيًّا عليه ، فلما أفاق صار يقول ، ويرددها مراراً :

نَفسي مِتِّي مِتِّي حَقًّا أي والله حقًّا حقًّا

وحكى رحمه الله ، قال : كان الشيخ جالساً في جامع الأزهر ، على باب قاعة الخطابة بالقرب من منبر الخطابة ، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء ، وفيهم جماعة من المشايخ الأعاجم والمجاورين بالجامع وغيرهم ، وكلما ذكروا حالاً من أحوال الدنيا مثل الطشت خانة ، والفراش خانة وغير ذلك يقولون : هذا من زخم العجم ، فبينما هم يتفاوضون في ذلك ويفخمون زخم العجم ، إذ المؤذنون رفعوا أصواتهم بالأذان جملة واحدة ، فقال الشيخ : وهذا زخم العرب ، وصرخ وتواجد ، وصرخ كل من كان حاضراً ، حتى كانت لهم في الجامع ضجة عظيمة .

وحكى لي رحمه الله ، قال : كان السلطان الملك الكامل رحمه الله يحب أهل العلم ، ويحاضرهم في مجلس مختص بهم ، وكان يميل إلى فَنّ الأدب ، فتذاكروا في وقت في أصعب القوافي ، فقال السلطان : من أصعبها الياء الساكنة ، فمن كان منكم يحفظ شيئاً منها فليذكره ، فتذاكروا في ذلك ، فلم يجاوز أحد منهم عشرة أبيات ، فقال السلطان : أنا أحفظ فيها خمسين

بيتاً ، وذكرها ، فاستحسن الجماعة ذلك منه ، فقال القاضي شرف الدين كاتب سره : أنا أحفظ فيها مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة . فقال السلطان : يا شرف الدين ، جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وأنا أحب هذه القافية ، فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرته لكم ، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرتها ، فأنشده قصيدة الشيخ اليائية ، التي مطلعها :

سائق الأظعان يطوي البيد طي   منعما عرج على كثبان طي

فقال : يا شرف الدين ، لمن هذه القصيدة ؟ فلم أسمع بمثلها ، وهذا نَفَسُ محبٍّ . فقال : هذه نظم الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض . فقال : وفي أي مكان مقامه ؟ فقال : كان مجاوراً بمكة ، وفي هذا الزمان حضر إلى القاهرة ، وهو الآن مقيم بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر . فقال : خذ منا ألف دينار وتوجه إليه ، وقل له عنا : ولدك محمد يسلم عليك ، ويسألك أن تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليه ، فإذا قبلها ، اسأله الحضور إلى عندنا لنأخذ حظنا من بركته . فقال : مولانا السلطان يعفيني من هذا فإنني لا أستطيع أن أخاطبه فيه ، وإن خاطبته لأجل مولانا السلطان فإنه لا يأخذ الذهب ولا يحضر ، ولا أقدر بعد ذلك أدخل عليه

حياء منه ، فقال : لابد من ذلك . فأخذ الذهب وتركه مع إنسان صحبته وقصد مكان الشيخ ، وجده واقفاً على الباب ينتظره ، فابتدأه بالكلام ، وقال : يا شرف الدين ، مالك ولذكري في مجلس السلطان ؟ رد الذهب إليه ولا ترجع تجيئني إلى سنة ، فرجع وقال للسلطان : وددت أني أفارق الدنيا ولا أفارق رؤية الشيخ سنة . فقال السلطان : مثل هذا الشيخ يكون في زماني ولا أزوره ، لابد لي من زيارته ورؤيته . فنزل السلطان في الليل إلى المدينة مستخفياً هو وفخر الدين عثمان معه ، وبات في دار المهمندار التي قبالة جامع الأزهر ، ودخل الجامع بعد العشاء مع جماعة من الأمراء الخواص عنده ، ووقفوا على باب قاعة الخطابة التي بجوار المنبر ، فخرج الشيخ من الباب الآخر الذي يظاهر الجامع ولم يجتمع به ، وسافر إلى ثغر الإسكندرية وأقام بالمنار أياماً ، ثم رجع إلى الجامع الأزهر ، وبلغ السلطان حضوره ، وأنه متوعك المزاج . فأرسل إليه مع فخر الدين عثمان يستأذنه أن يجهز له ضريحاً عند قبر والدته بقبة الإمام الشافعي ﷺ ، فلم يأذن له بذلك ، ثم سأله أن يبني له تربة تكون مزاراً مختصاً يعرف ، فلم ينعم له بذلك . ثم نصل من ذلك التوعك وعافاه الله تعالى . قلت : حضر إلى عندى في مسجدي على نية الزيارة القاضي أمين الدين الرقاقي وكان له اعتقاد حسن

في الشيخ تلقاه من والده ، فإنه كان من أعز أصحاب الشيخ . وحضر معه جماعة من الرؤساء ، منهم القاضي جمال الدين إبراهيم بن الأميوطي إمام السلطان وابن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ جمال الدين إبراهيم ، فحكى أن والده حكى له عن جده أنه قال : مشيت مع الشيخ شرف الدين من جامع الأزهر إلى باب زولية ، وأخبرني أنه متوجه إلى جامع مصر ، فسألته أن أرافقه فأجاب . فطلبت مكاريًّا وقلت له : كم لك إلى جامع مصر ؟ فقال : اركبوا معي على الفتوح . فقلت له : لابد أن تقاولنا ، فعز ذلك على الشيخ وقال له : نعم نركب معك على الفتوح ، فركبنا معه ، فوجدنا في الطريق فخر الدين عثمان الكاملي ، فترجل وترجل معه أصحابه ، فسلم على الشيخ ﷺ وأراد أن يقبل يده ، فرفع الشيخ يده ومسح بها على رأسه ووجهه ودعا له ، وقال : اركب بارك الله فيك ، فركب وانصرف .

وتبعنا فارس من جهته ، فاستند إليَّ وقال لي : قل للشيخ هذه مائة دينار يقبلها من الأمير على الفتوح . فقلت ذلك للشيخ فقال : نحن ركبنا مع المكاري على الفتوح وهذه فتوحه أعطها له . فرجع الفارس وقال للأمير ذلك . فبعث إليه بمثلها فقلت له عنها ، فقال : أعطها للمكاري ، فقلت له : هذه مائة ثانية ، فقال : عرفت هي فتوحه . فلما وصلنا إلى الجامع

ونزلنا عن الدواب ، اعتذر الشيخ للمكاري ودعا له .

وحكى لي ولده رحمه الله ، قال : كان للشيخ ﷺ أربعينيات متواصلة ليلاً ونهاراً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، وفي بعض أيام الأربعينيات ، اشتهت نفسه عليه هريسة وكان آخر أيام الأربعين ، فقال : يا نفس ، أما تصبري بقية هذا اليوم وتفطري على الهريسة ؟ فأبت ، وقالت : لابد من الهريسة في هذا الوقت . قال الشيخ : فاشتريت هريسة ، وجئت عند قبة الشراب ، ورفعت أول لقمة إلى فمي ، فانشق جدار القبة وخرج منها شاب جميل الوجه حسن الهيئة ، أبيض الثياب عطر الرائحة ، وقال : تف عليك . فقلت : نعم إن أكلتها . فرميت اللقمة من يدي ، قبل أن تصل إلى فمي ، وتركت الهريسة وخرجت من الحرم إلى السياحة ، وأدبت نفسي بزيادة عشرة أيام في المواصلة لتتمة خمسين يوماً .

وحكى لي ولده رحمه الله ، قال : لما حج الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الصوفية ، وكان آخر حجة في سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكانت وقفة الجمعة ، وحج معه خلق كثير من أهل العراق ، ورأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة واقتدائهم بأقواله وأفعاله ، وبلغه أن الشيخ ﷺ في الحرم فاشتاق إلى رؤيته ، وبكى وقال في سره : يا ترى هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء القوم في ؟

ويا ترى هل ذكرت في حضرة الحبيب في هذا اليوم ؟

فظهر له الشيخ ﷺ ، وقال له : يا سهروردي :

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكِرْتَ ثَمَّ على ما فيك من عوج

فصرخ الشيخ شهاب الدين وخلع كل ما كان عليه ، وخلع المشايخ والفقراء الحاضرون كل ما كان عليهم . وطلب الشيخ فلم يجده . فقال : هذا إخبار من كان في الحضرة . ثم اجتمعا بعد ذلك اليوم في الحرم الشريف ، واعتنقا وتحدثا سرًّا زماناً طويلاً . واستأذنَ – أي الشيخ السهروردي – والدي أن يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن خرقة الصوفية على طريقته ، فلم يأذن له ، وقال : ليست هذه من طريقنا . فلم يزل يعاوده إلى أن أذن له . فلبست منه أنا وأخي ، ولبس معنا – بإذن والدي أيضاً – شهاب الدين أحمد بن الخيمي وأخوه شمس الدين ، فإنهما كانا عند والدي في منزلة الأولاد . ولبس منه في ذلك الوقت جماعة كثيرة بحضور الشيخ والدي ، وحضور جماعة من المشايخ مثل ابن العجيل اليمني وغيره .

وحكى لي رحمه الله ، قال : كان الشيخ ﷺ يقيم في شهر رمضان في الحرم ، ولا يخرج إلى السياحة ، ويطوي ، ويحيي ليله .

قلت : وقد أشار إلى ذلك بقوله في القصيدة اليائية :

في هواكم رمضان عمره ينقضي ما بين إحياء وطي

قال رحمه الله : فشد والدي في وسطه مئزراً ، وكذلك فعل المجاورون من أول شهر رمضان ، وهم وقوف في طلب ليلة القدر ، فتارة يطوفون ، وتارة يصلون ، وأنا معهم .

فخرجتُ ليلة من الحرم في العشر الأواخر لأذيل حقنة بظاهر الحرم ، فرأيت البيت والحرم ، ودور مكة وجبالها وهم ساجدون لله تعالى ، ورأيت أنواراً عظيمة بين السماء والأرض . فوجدت هيبة ورعباً شديداً ، وجئت إلى والدي مهرولاً ، فأخبرته بذلك ، فصرخ ، وقال للمجاورين الواقفين في طلب ليلة القدر : هذا ولدي خرج يبول فرأى ليلة القدر ، فصرخ الناس معه إلى أن علا ضجيجهم بالبكاء والدعاء ، والصلاة والطواف إلى الصباح . وخرج والدي في أودية مكة هائماً في السياحة ، ولم يدخل الحرم إلى يوم عيد الفطر في تلك السنة .

وحكى لي أيضاً ، رحمه الله ، قال : كان الشيخ يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى في أيام النيل ، ويحب مشاهدة البحر ، وفيه قال من جملة أبيات في آخر ديوانه :

وطني مصر وفيها وطري ولعيني مشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يوماً فسمع قصاراً – القَصَّارُ : أي الخياط أو الترزي – يقصر مقطعاً ، ويضرب على حجر ، وهو يقول :

قطع قلبي هذا المقطع قال ما يصفو أو يتقطع

فما زال الشيخ يصرخ ويكرر هذا السجع كل يوم ساعة بعد ساعة ، ويضطرب اضطراباً شديداً ، ويتقلب على الأرض ، ثم يسكن اضطرابه حتى يظن أنه قد مات . ثم يستفيق ويتحدث معنا بكلام لدنِّيٍّ ما سمعنا مثله قط ، ولا نحسن أن نعبر عنه . ثم يضطرب على كلامه ويستمع ، ويعود إلى حال وجده . ودخل إلينا رجل من أصحابنا ، فلما رآه وشاهد حاله قال :

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا فكم أحيا عليك وكم أموت

فوثب الشيخ قائماً واحتضنه ، وقال له : أعد ما قلت ، فسكت الرجل شفقة منه عليه ، وسأله أن يرفق بنفسه ، وذكر له شيئاً من حاله عند غلبة الوجد عليه ، فقال :

إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيته سهل

ولم يزل على هذا الحال من حين سمع قول القصار إلى أن توفي رضي الله عنه .

ذكر سبب رحلة الشيخ برهان الدين إبراهيم الجعبري سلام الله عليه من جعبر إلى زيارة شيخنا رضي الله عنه :

قال : وذلك أني كنت في مسجدي ، فورد على باطني انقباض من أول الليل إلى طلوع الفجر . فصليت الصبح فيه ، وخرجت منه عازماً على زيارة ضريح الشيخ ، فجزت تحت مسجد الشيخ برهان الدين إبراهيم ، فسمعته يتكلم في ميعاده ، فطلعت إليه ودخلت المسجد ، فسمعته يقول هذا البيت من ﴿ **نظم السلوك** ﴾ ، قصيدة شيخنا شرف الدين رحمه الله :

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

فلما رآني قال : لا إله إلا الله ، كنت أتكلم في معنى كلام الرجل ، فساق الله إليّ سره ، ثم أقبل علي ومر بيده المباركة على وجهي وصدري ، فشرح الله صدري وزال عني ما أجده من الانقباض . وأقمت زماناً أجد في باطني انشراحاً وسروراً . وشرع يتكلم في معنى هذا البيت بكلام عجيب . ثم أخبرت بعد هذا الميعاد أن سبب ذكر هذا البيت في أول الميعاد ، أن الشيخ الجعبري رضي الله عنه قال : كنت في السياحة بجعبر – أوقات بالفرات – وأنا أخاطب وأناجيها بتلذذي بفنائي في المحبة ، فمر بي رجل كالبرق ، وهو يقول :

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

فعلمت أن هذا نفس محب ، فوثبت إلى الرجل وتمسكت به ، وقلت له : من أين لك هذا النفس ؟ فقال : هذا نفس أخي الشيخ شرف الدين بن الفارض . فقلت له : وأين هذا الرجل ؟ فقال : كنت أجد نفسه من جانب الحجاز ، والآن أجد نفسه من جانب مصر ، وهو محتضر ، وقد أمرت بالتوجه إليه وأن أحضر انتقاله إلى الله تعالى ، وأصلي عليه ، وها أن ذاهب إليه ، فلما التفت الرجل إلى جانب مصر التفت معه ، فشممت رائحة الرجل ، فتبعت الرائحة إلى أن دخلت عليه في الوقت وهو محتضر .

فقلت له : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم . اجلس وأبشر ، فأنت من أولياء الله تعالى . فقلت : يا سيدي ، هذه البشرى جاءتني من الله على لسانك ، وأريد أن أسمع منك دليلاً يطمئن به قلبي ، فإن اسمي إبراهيم ، ولي من سر مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب ممن قال : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ {البقرة : ٢٦٠} ؟ . فقال : نعم يا إبراهيم ، سألت الله أن يحضر وفاتي ، وانتقالي إليه جماعة من أولياء الله ، وقد أتى بك أولهم ، فأنت منهم . وكنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجبني أحد منهم عنها ،

فسألته عنها ، فقلت له : يا سيدي هل أحاط أحد بالله علماً ؟ فنظر إلي نظر معظم لي وقال : نعم . إذا حيطهم يحيطون يا إبراهيم ، وأنت منهم . ثم رأيت الجنة قد تمثلت له ، فلما نظر إليها ، قال : آه . وصرخ صرخة عظيمة ، وبكى بكاء شديداً ، وتغير لونه ، وقال :

إن كان منزلتي في الحب عندكم　　ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت روحي بها زمناً　　واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فقلت له : يا سيدي ، هذا مقام كريم . فقال : يا إبراهيم ، رابعة العدوية تقول ، وهي امرأة : « وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك ، ولا رغبة في جنتك ، بل كرامة لوجهك الكريم ، ومحبة فيك » .

وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه ، وقضيت عمري في السلوك إليه . ثم بعد ذلك سكن قلقه ، وتبسم ، وسلّم علي وودعني ، وقال : احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة ، وصل عليّ معهم ، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهن ، ثم بعد ذلك توجه إلى بلادك . ثم اشتغل عني بمخاطبة ومناجاة ، فسمعت قائلاً يقول له– أسمع صوته ولا أرى شخصه : يا عمر ، فما تروم ؟ فقال :

أروم وقد طال المدى منك نظرة　　وكم من دماء دون مرماي طلت

ثم تهلل وجهه وتبسم وقضى نحبه فرحاً مسروراً . فعلمت أنه قد أُعطى مرامه . وكنا عنده جماعة كثيرة فيهم من أعرفه من الأولياء وفيهم من لا أعرفه ، ومنهم الرجل الذي كان سبب المعرفة به . وحضرت غسله وجنازته ، ولم أر في عمري جنازة أعظم منها . وازدحم الناس على حمل نعشه ، ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه ، وصلينا عليه عند قبره ، ولم يتجهز حفره إلى آخر النهار ، والناس مجتمعون حوله وهم مختلفون في أمره .

فقال قوم : هذا تأديب في حقه لأنه كان يدعي في المحبة مقاماً عظيماً . وقال قوم : هذا آخر ما يلقى الولي من أعراض الدنيا . وكلهم محجوبون عن مشاهدة مقامه ، إلا من شاء الله . وأنا أنظر بما فتح الله عليّ به من الكشف إلى الروح المقدسة الشريفة المحمدية عليها أفضل الصلاة والسلام ، وهي تصلي إماماً ، وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الإنس والجن يصلون عليه مع روح رسول الله ﷺ ، طائفة بعد طائفة ، وأنا أصلي مع كل طائفة إلى آخره . فتجهز القبر ودفن فيه ، وأقمت عنده ثلاثة أيام بلياليهن وأنا أشاهد من حاله ما لا تحتمل عقولكم شرحه . ثم توجهت إلى جعبر ، وكانت هذه السفرة أول دخولي مصر ، ولسان الحال يقول :

جزاك الله عن ذا السعي خيراً ولكن جئت في الزمن الأخير

ثم جئت إلى مصر وأقمت بها إلى زماننا هذا .

وحكى لي ولده شهاب الدين أحمد ، جمع الله بينهما في المقام الأحمد ، قال : زرت مع والدي قبر الشيخ شرف الدين ﷺ ومعنا جماعة من الكبار ، فوجدنا عنده تراباً كثيراً ، فصرخ الشيخ وقال :

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

وحمل الشيخ التراب في حجره ، وحملناه معه ، إلى أن نظفنا ما حول القبر ، وتوفي ﷺ بالقاهرة المحروسة بجامع الأزهر ، وذلك في الثاني من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، ودفن من الغد بالقرافة بسفح المقطم عند مجرى السيل تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض ، الذي هو أعلى الجبل المذكور .

وسمعت الشيخ زكي الدين عبد العظيم المحدث يسأله عن تاريخ مولده ، فقال : بالقاهرة المحروسة آخر الرابع من ذي القعدة ، سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وكذلك سمعته يخبر القاضي شمس الدين بن خلكان لما سأله عن مولده رضي الله عنهم أجمعين .

مقدمة

إلى فهم ما يرمي إليه
سلطان العاشقين
سيدي عمر بن الفارض
في الديوان

الحب

اعلموا أيها الإخوان أن الحب هو السائر بكل محب ، ومرقيه فى أطواره ، ابتداءً ، ووسطاً ، وانتهاءً .

يظل الإنسان شجاعاً مقداماً فى مجال العبادة والمجاهدة ، والمكابدة والخدمة ، حتى إذا تجلى له ، ودعاه داعى الجمال بنظرة جمالية ، صار لا حول له ولا قوة . وهذه النظرة الجمالية من الله تعالى ، إما فضل ووهب منه تعالى ، وهو ما نعبر عنه بالجذب الإلهي الذى يعدل عمل الثقلين ، وإما بكثرة المداومة على الأذكار والأوراد والسنن والنوافل ، وإما بالسلوك بأداء حقوق المقامات الإسلامية من توبة وزهد وتقوى : **﴿وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ﴾** (١) .

١- هذا جزء من الحديث الوارد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ . وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾** . بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والبزار في البحار الزخار والبيهقي . كذا رواه أحمد في مسنده والبزار والطبراني عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

وللحب ثلاثة أطوار :

الطـور الأول : أن يحب المحبوب بهوى نفسه ، وحصول لذته منه ، وعندها تطيعه نفسه لترك حظوظها الدنيوية ، وإبدالها بحظوظ معنوية ، وفى هذا الطور يبدأ المحب طالباً من محبوبه حظوظه ولذاته ، معاتباً له عند منعه إياه ، ومخاصماً ومغاضباً أحياناً ، وفى هذا الطور يقاسي المحب أشد المقاساة ، فهو فى بلاء وعناء وإحراق وشوق ووجد وهيمان وعطش ونحول وبكاء وزفير . فيكون فى أشد الحاجة إلى كمال السُكْر حتى يتخلص مما يقاسيه ، وينتهى هذا الطور بكمال السُكْر ، وعدم الإحساس بكل ما يجرى حوله ، ويسميه أهل الله : «الصعق» أو «الفناء الأول» أو «المحو» .

الطـور الثاني : وذلك حين يفيق من تمام سُكْره ، يصبح معادياً لنفسه وجميع حظوظه ولذّاته المتعلقة بغير المحبوب ، ويراها كلها حجباً ، وينزّه محبوبه عن مشاركة شيء سواه من الحظوظ فى المحبوبية ، فلا محبوب سواه ، ولا مطلوب إلا وجهه ، فيظل الله تعالى يبتليه بالمصائب العظام ، وكلما صبر على

بلاء ارتفع بينه وبين ربه حجاب ، وحينها يقول : تبت إليك ، ورجعت عن نفسي وحظوظها ، وعن أنانيتي ، وعن طلب كل لذة وحظ عائد إلى دونك : ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ {الأعراف: ١٤٣} . فيقوم الليل ، ويصوم النهار .

وهذا الطور تعقبه إلهامات وفراسات ، وأسرار عرفانية ومكاشفات ، ومشاهدات ، ومعاينات حقانية .

الطور الثالث : حيث حضرة الجمعية الذاتية على الله تعالى وحده ، فلا بينه وبينه محبوبيه ولا نسب ؛ حيث يجد الله تعالى أجمل من جماله ، وألطف من لطفه ، وأكرم من كرمه ، ويسمع كلام الحق بكليته ، ويرى جماله بكل ذرة فيه ، وتقوم كل الحواس مقام بعضها البعض ، فيسمع ببصره ، ويبصر بسمعه ، ويبطش بلسانه ، وهذا الطور هو الوطن الأصلي للعبد ، حيث أن العبد كان أولاً فى حضرة علم الله تعالى ، ثم خرج إلى الوجود ، وكلما بَعُدَ عن حضرته الأصلية ازداد غُربة .

فكل هذه الأطوار السابقة ، والأكوان المتتابعة ما هي إلا غُربة ، وما هي إلا وجود مستعار فانٍ غير ثابت ، كله آلام وعناء وسقم وتعب : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ {القصص : ٨٨} .

تعالوا بنا حتى نعود كما كُنّا … **فما عهدنا خنتم ولا عهدكم خُنَّا**
ونترك وشيا والوشاة وطائراً … **غرابا ، لوقع البين في ربعنا غنا**
ونطوي بساط العتب والحب والجفا … **ونرمي السوى والبين ليت السوى يفنى**
عسى أن يعود الشمل في الحي مثلما … **عهدنا وعود الوصل أثماره تجنى**
وينشد حادي الحال عني مترجما … **ألا لا أعاد الله بينا نأي عنَّا**
أأحبابنا طيبوا فلم يك ما مضى … **سوى حلم كاللفظ لسي له معنى**
فلا طال هجران ولا ثمَّ عازل … **ولا سهر المشتاق ليلا وقد حنَّا**
ولا كان ما قلتم ولا كان ما قلنا … **ولا بنتمُ عنَّا ، ولا عنكم بنَّا**

ثم أن المحب يتقلب فى هذه الأطوار من أولها إلى آخرها مرات كثيرة ، حتى لا تبقى فيه بقية لغير الله تعالى ، فيظهر الله تعالى به ، وفيه ، وله ، ولسان الحال يقول : ﴿ خلقتك لأظهر لا لتظهر ﴾ .

ويكون الله حينئذٍ سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله ، وكل قواه .

وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وكل ما سبق كانت بدايته نظرة رضا من الله تعالى لعبده ، يبيحه بها قطرة من جماله تعالى .

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

فيظل مشغولاً بالجمال ، فانياً فيه ، حتى يتجلى له الجميل تعالى ، فيغنيه عن الجمال ، ويتجلى له المحب تعالى ، فيغنيه عن الحب وعن كل محبوب .

فأي شخص صدق في احترام الألوهية ، واستحضرها – وإن أخطأ في نسبتها ، ولكن مشهوده كان النصر الإلهي – مع غيرة إلهية على المقام الإلهي – فإنه العزيز الذي لا يغلب ، فما جعل – تعالى – نصره واجبا عليه للموحد ، وإنما جعله للمؤمن بما ينبغي للألوهية من حرمة .

الإنسان

الإنسان : خلق كامل ، من روح وجسم ، والروح لابد لها من تعلق ، والجسم لابد له من تعلق . وقضى الله في أزله أن تتعلق الروح بمن برأها ، وهو الحق . ويتعلق الجسم بالخلق .

ولكن أناس أبوا إلا أن تتعلق أرواحهم وأجسامهم بالخلق ، فكانت حياتهم كلها بالخلق وللخلق ، وفي الخلق وإلى الخلق ، علماً وعملاً ، وتحققاً وتعلقاً .

فهو الذي يطعم ويشرب ، ويمشي ، ويحسن ، ويذنب ، ويرى أن رزقه يأتي من الخلق . إن أحسن فإلى الجنة ، وإن أساء فإلى النار ، وأنه سيدخل القبر ، ويقف على الصراط ، ويحشر في المحشر ، أو تحت ظل العرش ، أو توزن أعماله بالميزان ، ويأتيه عمله الصالح في القبر ، ثم ينعَّم بالنعيم في الجنة ، أو يعذَّب بالعذاب في النار .

ولا يعلم أن الله تعالى لا يرضى لهذا الإنسان المكرم أن يتعلق بشيء من الخلق ، أو يقيم فيه . إذ أنه عند الله تعالى أكبر من كل خلقه . ولم يخلقه إلا لنفسه فقط . إذ أن الله تعالى غيور ، حتى أخبر عنه رسول الله ﷺ

فقال : ﴿ إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ﴾(١) . فليس – في الحقيقة – في الوجود إلا الله تعالى ، وأفعاله وصفاته . وكل من رأى معه غيره في هذا الكون ؛ بل كل من رأى الكون أصلا مع الله ؛ فقد أشرك . وقد عذرهم الله تعالى في هذا الشرك حيث قال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ {يوسف : ١٠٦} .

فهذا الإنسان الكامل الذي لا يرى إلا الرب ، ولا يرى العبد أبدا ، ولا يرى نفسه أبدا ، فيعيش بالله ولله ، ويأنس في قبره بالله ، لا بعمله ، ويحشر إلى الله ، لا إلى الجنة . وينعمه الله بنفسه ، لا بغيره .

وفرق كبير بين من ينعمه الله بنفسه ، وبين من ينعمه بغيره ، كنسبة الله إلى خلقه ، فهو تعالى لا ينعمهم بالنعيم . إذ النعيم حجاب ، والعذاب حجاب ، والقرب حجاب ، والبعد حجاب . فالله تعالى ينعم بما به يعذب ويؤنس بما به يوحش ، ويبسط بما به يقبض ، ويضل بما به يهدي :

١- بهذا اللفظ أخرجه ابن ماجة والحاكم وصححه والطبراني وتمام في فوائده وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات وابن أبي الدنيا في الأولياء والديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبلﷺ . وبلفظ ﴿ قَلِيلُ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ﴾ أخرجه أبو الشيخ والديلمي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن جده ﷺ .

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ {البقرة : ٢٦} .

والعذاب لا يعرف الله ، ولو عرفه لانشغل به عن التعذيب . والنعيم لا يعرف الله ، إذ لو عرفه لانشغل به عن التنعيم . فلا يعرف الله عبد خوف ، ولا عبد أمن ، ولا عبد إخلاص ، ولا عبد علم ، ولا عبد عمل ، ولا عبد معرفة ، ولا عبد قرب ، ولا عبد بعد .

ولا يعرفه تعالى إلا عبد الله : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ {الجن : ١٩} . فهي لرسول الله ﷺ على الأصالة ، وللأفراد من أمته بالتبعية .

ويحشره إليه ، وفيه . لا تحت ظل عرش ، ولا تحت ظل أي خلق آخر .

بل العرش وحملته هم الذين يستظلون بظله .

خرج عن علمه ، فخرج عن المحاسبة .

وخرج عن عمله ، فخرج عن مطالبته بالإخلاص .

خرجوا عن الكون إلى المكون .

وعن الذكر إلى المذكور .

خرجوا عن التقييد إلى الإطلاق .

وخرجوا من الإطلاق إلى الله الذى جل عن الإطلاق كما جل عن التقييد .

خرجوا عن رؤية نفوسهم إلى الفناء فى الله .

وخرجوا من الفناء إلى فناء الفناء .

خرجوا من التوحيد إلى الأحدية ، ومن الشفعية إلى الوترية .

خرجوا عن البعد إلى القرب ، ومن القرب إلى الذات .

دخلوا قبورهم بغير نظر إلى علم ولا عمل ، ولا رجاء ولا خوف ، ولا إخلاص ولا حب . فدخلوها وحدهم ، فرأوا الله وحده .

فاستأنسوا تحت الأرض ، بما استأنسوا به فوق الأرض .

فمن قام هذا المقام ؛ شرب من عين الحياة ، لا من جريان العين .

فعاش بالحقيقة . فلا يموت بالحجاب في الدنيا ، ولا في الآخرة .

مراتب السلوك

ملكة في قصرها ، يحكي الحاكون ، ويقص القصاصون ، ويتناقل الناس الحكايات عن جمالها وحسنها ، وكذا وكذا .... إلا أنهم جميعا لم يروها ، إذ أن بلادها بعيدة ، وحراسها أشداء ، وأسوار قصرها عالية حصينة ، فحال الناس معها متباين :

- فمنهم من اكتفى بعلمه عنها ، وهؤلاء العلماء ، فما أوصلهم علمهم إلا إلى العلم ، وكلما ازدادوا علما ازدادوا قربا إلى العلم .
- ومنهم من علت همته ، وعزم على شد الرحال إلى قصرها مهما كلفهم هذا من جهد وعناء ، وهؤلاء هم العاملون بعلمهم ، أوصلهم علمهم إلى العمل فلما ساروا في الطريق ؛ افتقروا إلى الأدلاء الذين يوصلونهم إلى ما أرادوا ، والأدلاء هم المشايخ الذين ساروا قبلهم في هذا الطريق . وإذا بالطريق قد امتلأ بالعوائق والمهالك ، من كان منهم في بلاد الحر ، مات في البرد . ومن كان منهم في بلاد البرد ، مات في الحر . فوقع أجره على الله (١) . وهذا كله مع إخلاص المشايخ لهم في الدلالة على

١- قال تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ {النساء : ١٠٠} .

أيسر الطريق ، وأقصره .

حتى إذا قطعوا المفاوز والقِفار ، والفيافي والبحار ، إذ عنت لهم جنَّة غناء ، فيها القصور والحور والماء والراحة :

- فمنهم من أخلد إليها ، وقالوا يكفينا ما لقينا من عناء ، فأقاموا وانقطعوا عن مقصودهم ، وقال لهم الأدلاء إن ما تطلبون أمامكم وإنما هي فتنة (١) ، فما استجابوا .
- وانطلق الأدلاء مع القليل ، وكلما تركوا جنَّة وفتنة قابلتهم فتنة أكبر منها ، وتخلف في كل جنَّة ، أناسٌ .
- حتى أشرفت مآذن القصر المقدس الكبير ، وعلم القوم أنهم قد أشرفوا على الوصول ، وتنفسوا جميعا الصعداء ، وألقوا أنفسهم على الأعتاب ، ما بين مُقَبِّلٍ وباك ، ومسرورٍ وشاك ، وحدث لهم جميعا حال عظيم ، وشوق جسيم إلى لقاء المحبوب ، وهؤلاء هم الواصلون . فبعثت إليهم الملكة : ما مطلوبكم ؟ فأعطت كل واحد مطلوبه ، وصرفته .

١- قال ابن عطاء الله في الحكم : [ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك ، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر] اهـ .

- فمنهم من كان مطلوبه الولاية .
- ومنهم من كان مطلوبه الجنة .
- ومنهم القطبانية .
- ومنهم غير ذلك ، ودون ذلك ، منهم من يريد الدنيا ، ومنهم من يريد الآخرة .

- إلا أن القليل – وهم أهل الأدب – قالوا : والله ما تركنا الأموال والأولاد والأوطان ؛ إلا شوقا إلى رؤية الملكة ، والجلوس إليها ، وأن تنظر إلينا بعين الرضا . فتسلط عليهم العبيد بالسياط ، حتى تبتلي حبهم لها ، فيهرب منهم من كان يدعي المحبة ، ويثبت من كان صادقا في محبته، وهم قليل . ثم تأذن لهم الملكة : واحداً واحداً . فيدخلون داخل سور القصر ، فيرون مُلكاً عظيماً ، ونعيماً مقيماً ، ويسألون كل من يروه عن الملكة وجمالها .

اعلم أن الأمر كله كسبي ، إلى أن يبلغ السالكون إلى باب سور القصر ، فإذا وصلوه ، فإن الأمر بعد ذلك وهبي ، فإن الملكة تعطي ما شاءت لمن شاءت .

واعلم أن كل ما عرفه السالكون ، إلى أن يصلوا إلى رؤية الملكة هو كله معرفة ، ويُسمى هؤلاء **العارفون بالله** .

فإذا أدركتهم العناية الإلهية :

فمنهم من تدخله إلى بهو القصر .

ومنهم من تدخله إلى غرفة الاستقبال .

ومنهم إلى أخصِّ غرفةٍ لها : وهي مخدعها .

فكل من رآها من وراء نقابها : فهم مُشاهِدون ، لا مُشاهِدون .

وكل من كلمها ، وباسطته في غرفة دون مخدعها : فهم مُكَلَّمون ، لا مُكلَّمون .

وكل من رأى هذا الجمال ، وسمع عذوبة صوتها ، وقف وقفة دهش .

فليس كل من رأى الله ، رأى وجهه .

وكل من رأى وجهه ، فقد رآه .

وكل من جالسته من وراء نقابها : فهم مُجَالَسُون ، ولكن من وراء وراء .

وكل من لم يدخل قصرها : فهو في الفَرْق .

وكل من دخل قصرها ، وجالسها ، وكلمها من وراء نقابها : فهو في الجمع .

ثم أنها تتركهم يرجعون إلى دنياهم وأهليهم ومشاغلهم ، وتبعث عليهم من يرقب أفعالهم وكلامهم ، وهذا هو فرق الجمع . فكل من حفظ سرها ، ولم يبح به لأحد ، كان أمينا ، وجمعته عليها مرة أخرى . وكل من أفشى سرها وعرَّف الناس طريقها وأحوالها ، قطعته وظل في الفَرْق .

ومستخبرٌ عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن أخبرتهم بأمين

ولا تزال بمن يحفظ سرها تجمعه تارة وتفرقه تارة ، إلى أن تثق به كل الثقة .

من سارروه فأبدى السر منكشفاً لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يحظ بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

فتدخله مخدعها ، ويحصل بينهما جمع وفناء ، وهذا يسمى **جمع الجمع** ؛ أو **فناء الفناء** .

ثم بعد ذلك ؛ إن أرادت منه أن يرجع إلى دنياه ، استغاث بها أن تبقيه في قصرها وحضنها ، فتطمئنه وتقول له : اذهب حيث شئت وأنا معك ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ {الحديد : ٤} . فيرجع حيث تأمره ، ويعمل بما توظفه له ، وتبعث معه من الحرس ؛ مَن يحرسونه ويعصمونه من أذى

الخلق ، ويحفظونه بحفظها . وصار في وظيفته ، ولكن صورتها لا تفارق عينيه ، وحبها لا يزايل قلبه ، ويصبح سرها معه ، لا يفشيه لأحد أبدا .

وهذا هو **صحو الجمع** أو **البقاء** ، حيث يرى بعينه ما يراه غيره بروحه ، كرسول الله ﷺ . ويسمع بإذنه ما يسمعه غيره بروحه ، كموسى عليه السلام . ولكن ليس من سمع ، كمن شاهد .

ويصير الله تعالى سمعه ، وبصره ، ويده ، وعقله ، وكل قواه (1) ، ويصبح خليفة الله تعالى فى أرضه .

١- إشارة إلى الحديث القدسي المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ﴾ . سبق تخريجه .

السكر

السُّكْر : دهش ، يلحق سر المحب ، في مشاهدة جمال المحبوب فجأة . نظير محبوب دخل على محبه فجأة ، فأذهله عما فيه من الأمر ، فلما كرر النظر إلى محاسنه ، واستأنس بلقائه ووصاله ، عاد إليه التمييز والتبصر ، وزال الدهش والتحيير .

كما خرج يوسف بغتة على النسوة ، فقطعن أيديهن (١) ، لما أصابهن من الحيرة في شهود جماله ، والغيبة عن أوصافهن . ولاشك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن ، لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله ، لتمكن حال الشهود في قلبها .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ {يوسف : ٣١}

التجليات

منذ أن خلق الله الإنسان ، وهو في بوتقة التجليات الإلهية :

إما تجليات ذاتيـة : لم يتجل الله بها إلا على قلب الإنسان خاصة .

وإما تجليات أسمائيـة وصفاتيـة : تجلى الله بها على جميع خلقه ، بما في ذلك الإنسان .

وما زال الإنسان في هذه البوتقة ، تتوالى عليه أحكام الأسماء والصفات ، وهو يتقلب معها ويتلون فيها ، وتشتاق روحه إلى التمكين والثبوت ، وجمع الجمع ، فيأمره الحق تعالى بالفرار من البوتقة : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ {الذاريات : ٥٠} . فيفر من هذه التلونات إلى الأحدية الإلهية الثابتة ، فترتاح روحه ، ويستقر قلبه .

وأنت تستطيع أن تحقق هذا الفرار - حيث الجمع على الله - في أقل من ثانية ، وفي أي مكان كنت ، مع أن العالم كله من عرشه إلى فرشه يبحث عن الله ، فلا يجده .

وما ظهر تعالى بالاسم **الظاهر** إلا بوجوده ، فمن راعاه إنما يراعي الحق ، وما يذَّم الإنسان لعينه ، ولكن لفعله ، وفعله ليس عينه .

وكما أن هذا الكون شهادة عندنا ، والله غيب نؤمن بـه ، فإن لله تعالى في خلقه ضنائن مجهولين في العالم لا يشهدون في الكون إلا الله (1) . لا يعرفون **عالَماً** ، لأنهم لا يشهدونه **عالَماً** ، فهم يشهدون الحق ، **عيناً** ، **ويشهدون العالَمَ إيماناً وغيباً** ، لأن الحق أخبرهم أن ثَمَّ عالماً ، فيؤمنون به ولا يرونه : ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ** ﴾ {آل عمران : ١٨} . ولا شهادة على غائب ، فهم يشهدونه تعالى أولا ، ثم يرون أنوار الإيجاد والإمداد ، نازلة من أسمائه على شتى المخلوقات ، وكل يتحمل منها على حسب طاقته وفطرته واستعداده .

فعند أهل الله : الحق مشهود ، والخلق معقول . وعند غيرهم ، العكس . فأهل الله يمشون على طريق يعرفونها ، ويعرفون غايتها .

فالواحد : نسبة ، أي ليس اثنين ، فهو نهر من الأنهار التى تصب فى عين الأحدية ؛ فطالما الماء فى النهر نُسب إلى نهره ، أما إذا اختلط ماء الأنهار فالعين فلا تستطيع تمييز ماء نهر من ماء نهر آخر .

١- قال ابن عطاء الله في الحكم : **[الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ، ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار]** اهـ .

أما الأحد فهو تلك العين التي تُفنِي (١) ويغرق فيها من ينزلها فلا يميز بين اسم واسم . **وكلها تنزلات منه تعالى** : إما للتحقُّق ، وإما للتخلُّق ، وإما للتعلُّق . فالذات واحدة ، ثم تتصف بالضر والنفع في آن واحد ، وتتصف بالإعزاز والإذلال ، وليس المعز هو المذل ، ولكن تلك حضرة ، وهذه أخرى . وهذا كمن بينه وبين الشمس حجب من زجاج ملون ، كلما ارتفع حجاب رأى الشمس على خلاف ما رآها من قبل ، والشمس واحدة ، وهذا يسمى **التلوين** . ثم أنه تعالى يجتبي من يشاء من حضرة الفرق والتلوين إلى حضرة **الجمع والتمكين** التي تنعدم فيها النسب ، وهي **عين الأحدية** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ {الإخلاص:١} . فيشهد الله بالله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ {البقرة : ١١٥} ، وإن شئت قلت يشهد روحه بروحه ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ {النجم : ٤٢} .

يراها أمامي في صلاتي ناظري   ويشهدني قلبي أمام أئمتي
ولا غرو إن صلى الإمام إليّ أن   ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت   بما ثم من نسك وحج وعمرة

فحينئذ تتم له السعادة ، ويكون بالله ، إلى الله ، من الله ، مع الله ، في الله ، لله ، على الله ، عن الله .

١- قال ابن عطاء الله في الحكم : [الأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته] اه .

وهؤلاء الذين صانوا أنفسهم عن أنفسهم ، فلا تعرفهم أنفسهم .

نعتٌ إلهيٌ للعبد . تُخلقٌ لا تخلُّق . ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ {البقرة : ٢٥٧} .

سرى في كل ما ينسب إليه الألوهية ، مما ليس بإله .

ولكن لما تقرر في نفس المشرك ، أن هذا الحجر ، أو هذا الكوكب ، أو ما كان من المخلوقات أنه إله – وهو مقام محترم لذاته – تعَيَّنَ على المشرك احترام المنسوب إليه ، لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه صحيحة . ولما علم سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق ، إلا لكونه إلها في زعمه ، نظر الحق إليه لأنه مطلوب ، فإذا وَفَّى بما يجب لتلك النسبة من الحق ، والحرمة ، وكان أشد احتراما لها من الموحد ، وتراءى الجمعان ، كانت الغلبة للمشرك على الموحد ، إذ كان معه النصر الإلهي ، لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله ، وأخطأ في النسبة ، وقامت الغفلة والتفريط في حق الموحد ، فلم تتعلق به الولاية ، لأنه غير مشاهد لإيمان ، فالله يقول : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ {الروم : ٤٧} . فأي شخص صدق في احترام الألوهية ، واستحضرها – وإن أخطأ في نسبتها – ولكن مشهوده كان النصر الإلهي ، مع غيرة إلهية على المقام الإلهي ، فإنه العزيز الذي لا

يغلب ، فما جعل نصره واجبا عليه للموحد ، وإنما جعله للمؤمن بما ينبغي للألوهية من حرمة .

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} .

إذن ، فهو الوجود كله .

و(الـ) تتضمن عدم مشاركة أحد له في هذه الصفات .

فإذا قلت : (ظاهر) ، يقتضي ظهور غيره ، أما إذا قلت : (الظاهر) يعني عدم ظهور غيره .

فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، الظاهر له ، ولك . الباطن عنك ، لا ، عنه . الأول ، بك . الآخر ، إذا كان عينك .

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} . ولا راد لقضاء الله على عباده أن يعبدوا سواه ، أو يروا سواه ، فتجلى لهم في صورة كل شيء . فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره ، وفرط قربه . فلو تباعد عنَّا لرأيناه . ولكنه لو فارقنا لانعدمنا . ففي أسرع من طرفة عين ، نُخْتَلَس منه ، إن نظرنا إلى غيره . لا ، لضعفه ، ولكن لضعفنا .

قال تعالى : ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ {البقرة : ١١٥} .

فالله تعالى هو الظاهر في كل مظهر .

فالظهور شهادة ، والبطون غيب .

فما غاب من العالم عن العالم : فهو غيب ، والقلب من عالم الغيب .

وما شاهد العالم من العالم : فهو شهادة ، وكله لله شهادة وظاهر .

قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ﴾[1] .

وفي الحديث الآخر : ﴿ يَا ابْنَ آدَمَ : مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ . يَا ابْنَ آدَمَ : اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي . يَا ابْنَ آدَمَ : اسْتَسْقَيْتُكَ

---

[1] سبق تخريجه .

فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ ، فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ﴾ (١) .

فهوية الحق : سمع العبد وبصره وجميع قواه ، فظاهر العبد صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة .

فمن حيث الصورة الظاهرة : هو من جملة من يسبح بحمد الله .

ومن حيث باطنه : فالحق يسبح نفسه بصورة عبده (٢) .

فإذا ذكر العبد ربه : فالله تعالى هو الذكر والمذكور والذاكر نفسه بعبده . والمجموع ، هو العبد .

١- أخرجه مسلم في صحيحه والبيهقي في الاسماء والصفات والبخاري في الأدب المفرد وابن راهويه والطبراني عن أبي هريرة ﷺ .

٢- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الصَّلَاةِ : ... وإذا قال ـ أي الإمام حين الرفع من الركوع ـ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا : اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي والطيالسي وعبد الرزاق وأحمد والدارمي والبزار وأبو يعلى والروياني وأبو عوانة والبيهقي والطحاوي والطبراني .

أثنى عليَّ عبدي (١) : أي أثنيت على نفسي في صورة عبدي .

فالله له الظهور في المظاهر ، تجليا ، لا ذاتيا . إذ أن ذاته تعالى جلت عن التقييد في الأغراض ، بل لها الإطلاق التام .

كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة . **وفرق بين من يقول** : علمت . **ومن يقول** : عاينت . وهم أهل الليل خاصة ، والليل من حضرة الباطن ، فإن الله جعل الليل لأهله ، مثل الغيب لنفسه ، فهم خير عصبة في حق الله ، وهم شر فتية في حق أنفسهم ، فأهل الليل فازوا بهذه الحظوة ، في تلك الخلوة ، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ؟ يقول الله في حقه :

---

١ – إشارة إلى الحديث القدسي المروي عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾{الفاتحة : ٢} . قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي .وَإِذَا قَالَ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾{الفاتحة : ٣} . قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾{الفاتحة : ٤} . قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي . فَإِذَا قَالَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾{الفاتحة : ٥} . قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾{الفاتحة : (٦ – ٧)} . قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ﴾ . رواه مسلم في صحيحه والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة ومالك في الموطأ وعبد الرزاق والحميدي وسعيد بن منصور وأحمد والبزار وأبو عوانة والدارقطني والبيهقي .

فأنا أتلو كتابي عليه بلساني ، وهو يسمع . فإذا وقف مع معانيه ، فقد خرج عني بفكره .

أوقفني بين يديه ، وقال : الليل لي ، لا للقرآن يُتلى .

فأول ظهور له تعالى ، كان بالأسماء . وأول من تحمل هذه الأسماء تخلقا وتعلقا وتحققا ، هو : رسول الله ﷺ . وهذا هو الإنسان الكامل .

فمن نظر إليه ، فكأنما نظر إلى الله تعالى .

فتعرَّفَ تعالى إلى خلقه برسوله ﷺ . قال ﷺ : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ﴾(١) . وفي رواية : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي الحَقَّ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾{الفتح : ١٠} .

وقال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾{النساء : ٨٠} .

وقال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾{الأنفال : ١٧} .

١- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وابن المقرئ واللالكائي والبغوي عن أبي قتادة ﵁ . وأحمد والبخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁ . ورواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله ابن عمرو وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

٢- هذه رواية أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﵁ .

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ**﴾ ؟ . فَقَالُوا : بَلَى ، فَقَالَ : ﴿**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِـرَ اللهُ**﴾(١) .

فالله تعالى له التجلي التام ، في روحه ﷺ ، وفي أرواح ورثته من العلماء والأولياء . فمن أطاعهم فقد أطاعه ، ومن بايعهم فقد بايعه تعالى ، ومن رآهم فقد رآه تعالى .

---

١ – حديث : ﴿**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ**﴾أخرجه أحمد وابن ماجة والحكيم الترمذي وابن راهويه وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، وأخرجه أبو الشيخ من طريق مسعر عن سهل بن الأسد ﵁ ، وأخرجه ابن مردويه من طريق مسعر بن بكر بن الأخنس عن سعد ﵁ ، وأخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم ﵁ ، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد ﵁ ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الضحى ﵁ . وبلفظ : ﴿**الذين إِذَا رُؤُوا يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤيَتِهِم**﴾ أخرجه ابن المبارك والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه الطبراني والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وموقوفا ، وبلفظ ﴿**يُذْكَرُ اللهُ لِرُؤيَتِهِم**﴾ أخرجه ابن المبارك وابن أبي شيبة وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير ﵁ . وأخرج أحمد والحكيم الترمذي عن عمرو بن الجموح ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول : ﴿**لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لله ، وَيُبْغِضَ لله ، فَإِذَا أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ الله ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي ، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي ؛ الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي ، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ**﴾ .

ثم إن العلماء ورثة الأنبياء ، فمنهم من ورث علمهم ، ومنهم من ورث أحوالهم ، ومنهم من جمع الله له بين العلم والحال ، فمن رأى هؤلاء فكأنما رأى الله تعالى .

قال ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ** ﴾[1] . فليس بين الله وبين خلقه إلا الجمال المحض . إذ لو نطق ناطق العز والجلال لصمتت نواطق كل وصف ، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ، ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم . فهو تعالى : جميل الجمال المطلق ، ويحب الجمال في كل شيء ، فما استوى على عرشه إلا بأسماء الجمال ﴿ **ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ** ﴾{طه : ٥} قال تعالى : ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾{التغابن : ١٦} . هذه آية فيها جلال الجمال ، فمن قرأها انقبض ، حيث أيأسهم تعالى من أن يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته ، ثم بسطهم بقوله : ﴿ **ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ** ﴾ {آل عمران : ١٠٢} . فأعطاهم الأمل أن هذا الإنسان يستطيع أن يصل إلى تقوى الله الكاملة .

---

[1] رواه مسلم في صحيحه وأحمد والطبراني والشاشي وابن منده والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود رضي الله عنه . وأحمد في مسنده والطبراني عن أبي ريحانة رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه . والطبراني وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما . والحاكم في المستدرك عن ابن عمرو رضي الله عنهما ، وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه . وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه .

فعاملهم فيها بجمال الجمال ، إذ عاملهم في الأولى بجلال الجمال .

وتراه يقبضهم ، بجلال قوله تعالى : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ {الجن : ٢٨} . ثم يبسطهم ، بجمال قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ {الصافات : ١٤٧} .

والجمال ينقسم إلى : جمال الجمال ، وجلال الجمال .

والجلال لا ينقسم ، بل هو جلال محض . وهذا الجلال المحض لا يظهر أثره في الكون أبدا ، إذ لو ظهر لانمحق الوجود ، وانعدم كل موجود .

أما ما يظهر في العوالم بما في ظاهره جلال ، إنما هو جلال الجمال .

وهو جلال منبعه الجمال : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾{مريم : ٤٥} . فحتى العذاب هو من الرحمن .

فلم يعامل الله تعالى أحدا من خلقه إلا بجماله ، والحمد لله .

قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»[1] وهو تعالى صانع العالم وموجده ، وأوجده على صورته ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن والجمال كله .

---

[1] سبق تخريجه .

فالعالم كله جماله ذاتي ، وحسنه عين نفسه ، إذ صنعه صانعه عليه ، ولهذا هامَ فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون ، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، فإنه تعالى ما كَثَّر لنا الآيات في العالم ، وفي أنفسنا ، إلا لنصرف نظرنا إليه ، ذِكراً وفكراً وعقلاً ، وإيماناً وعلماً ، وسمعاً وبصراً ، ونُهىً ولُبًّا . وما خلقنا إلا لنعبده ، ونعرفه ، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدةً وعقلاً (١) .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ {فصلت : ٥٣} .

فإن نظرنا ، فإليه . وإن سمعنا ، فمنه .

وإن عقلنا ، فعنه . وإن فكرنا ، ففيه .

وإن علِمنا ، فإياه . وإن آمنا ، فبه .

فهو المتجلي ، في كل وجه . والمطلوب ، من كل آية .

والمنظور إليه ، بكل عين . والمعبود ، في كل معبود .

والمقصود في الغيب والشهادة . والمحبوب في عين كل محب .

فجميع العالم ، له مُصَلٍ . وإليه ساجد . وبحمده مسبح .

فالألسنة ، به ناطقة . والقلوب ، به هائمة عاشقة .

والألباب ، فيه حائرة .

الحق والخلق ، الفناء والبقاء

كل ما سوى الله خلق ، والله وحده هو الحق .

فالجنة والنار والعرش والكرسي ، والقلم والسماوات وغيرها ، كلها خلق .
أما الله تعالى وأنواره وسبحاته فهي الحق .

والإنسان وحده ، المسموح له بالتعامل مع الخلق ، والدخول إلى حضرة الحق تعالى ، فهو – أي الإنسان – له التعامل مع الحيوان والنبات والجماد ، والجن والملائكة ، كل هذا خلق . ثم له الهروب من هذا كله ، إلى حضرة الله تعالى : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ {الذاريات : ٥٠} . وليس هذا لأحد من الخلق سواه ، حتى الملك المقرب ، ليس له التعامل إلا في حدود الخلق ، أما تعاملهم مع الله تعالى ، فالخوف والوجل : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ {النحل : ٥٠} . ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ {الرعد : ١٣} . فليس لهم في الاقتراب أو الدخول على الحق ، في حضرة الرضا والمحبوبية ، إذ أنهما لابن آدم دون غيره ، فما قال لغيره : ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . ولا قال لسواه : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ {المائدة : ١١٩ . التوبة : ١٠٠ . المجادلة : ٢٢ . البينة : ٨} .

فالإنسان هو معنى العالم كله ، يعني أنه يخبر عن معاني الكون ، وليس في الكون من يخبر عنه . فصحح نسبك إلى آدم عليه السلام ، فإن كثيرا من ولده لم يصحح إليه نسبه ، لنقصه عما يكون به الإنسان إنسانا . ومن صح نسبه استحق ميراث أبيه ، فكان خليفة ربه ، وسجدت له الملائكـة .

وحين ينتقل الإنسان من الخلق إلى الحق تعالى ، وتسطع عليه أنوار الذات المقدسة ، يغيب عن كل ما حوله ، في فناء المشاهدة ، وتتبدل جميع الأشياء والصفات عنده من الخلقية إلى الحقية ، فبدلا من أن يكون ذاكرا يرى نفسه مذكورا : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ {البقرة : ١٥٢} . وبدلا من أن يذكر ربه يسمع ذكر الله تعالى له . ويرى جميع أعدائه ، وإذ هُمْ أصدقاؤه ولم يكن يعرف . ويرى الجنة والنار : فلا يحنّ إلى جنة ، ولا يخاف من نار . بل تشتاق إليه الجنة [1] ، وتهابه النار ، وتطوف حوله الكعبة ، وتفخر به الصلاة إذا صلى ، ويصير لا توحشه المعصية ، ولا تؤنسه الطاعة .

وهو في ذلك لا يرى ولا يسمع ولا يشاهد إلا الله ، ويرى أن الذات المقدسة

---

[1] كما في الحديث المروي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « اشْتَاقَتِ الجَنَّةُ إِلَى ثَلَاثَةٍ : عَلِيٍّ ، وَعَمَّارٍ ، وَسَلْمَانَ » . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي .

تكبرت عن أن يكون معها في الوجود غيرها ، أو أن يُعبَدَ سواها ، أو أن يُفتَقَرَ إلى غيرها ، أو أن تُعصَى .

ويرى رؤية حق : أنه ليس بالقدرة ولا بالمعرفة ولا بالقوة يصل أحد إلى حضرة سيده ، ولكن بمحض الوهب والفضل من اسمه الوهاب ؛ وحيث ثبتت المعرفة والقوة والقدرة والعلم ؛ وجب الحجاب .

ثم بعد ذلك يرجعه الله تبارك وتعالى إلى عالم الخلق مرة أخرى ، محفوفا بالرعاية ، محفوظا بالعناية ، يدل الخلق على الحق ، وهذا هو **البقاء بعد الفناء** . فيرى الله تعالى ظاهرًا في كل مظهر ، لا يغيب أبداً ، ويرى الله تعالى ، وقد أسدل حجاب الجمال بينه وبين كل شيء ، فلا يرى في الكون إلا جمال مولاه ظاهرا ، ولكن لا يكشفه ظهوره .

فما كل عبد يعرف لغة الله فيخاطبه ، ولا كل عبد يعرف ترجمته فيخاطبه .

وهذا المحبوب بعد أن يُرَد من الفناء إلى البقاء ، يصير وارثا كاملا لرسول الله ﷺ في رحلته القدسية .

فلما اشتدَّ أذى قريش على رسول الله ﷺ ، وأخذ رسول الله ﷺ يجأر إلى الله تعالى ، في أن يدفع عنه أذى أعداءه - إذ كان يراهم أعداء في عالم

الخلق – أخذه الله تعالى في رحلة الفناء ثم البقاء . فالإسراء من مكة إلى بيت المقدس كلها في عالم الخلق ، ثم صعوده في صحبة جبريل عليه السلام كلها في عالم الخلق ، ثم إذا وصلوا إلى الحد الفاصل بين الخلق والدخول في عالم الحق ؛ اعتذر إمام الملائكة ، وقال : إنك إن تقدمتَ احترقتَ ، وإنني إن تقدمتُ احترقتُ . ثم زُجَّ برسول الله ﷺ في أنوار الحق تعالى ، فرأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، وعلم ما علم ، ثم رُدَّ إلى عالم الخلق – مرة أخرى – بأنوار المشاهدة والفناء في حضرة البقاء ، وتبدلت جميع صفاته من الخَلقِيَّة إلى الحَقِيَّة . رأى أعداءه ولم ير عداوتهم ، بل صار يدعو لهم ، ورأى الله تعالى قد ظهر له في كل مظهر ، ولم ير غيرَه في الوجود :

﴿ إنك إن رأيت غيري ، لم ترني ﴾

والفناء والبقاء هما ثمرة المجاهدة ، ولهما مراتب :-

- **الأولى** : **مرتبة الذهول** : وهي عدم شعور العبد بنفسه ، عند الاستغراق في الذكر ، وبروز أنوار الجمال .
- **الثانية** : **الذهاب** : وفيها يفنى العبد عن أفعاله .
- **الثالثة** : **السلب** : حيث تذهب الأوصاف الخلقية ، وتظهر الأوصاف الحقية .
- **الرابعة** : **الاصطلام** : وهي فناء العبد عن ذاته ، لوجود ذات الحق ، فيكون الوجود لله ، والعدم للعبد .
- **الخامسة** : **الانعدام** : فيفنى العبد عن فنائه ، فلا يبقى عنده شعور بأنه فانٍ .
- **السادسة** : **السحق** : حيث يزول حسه ، فيقبل سائر الأوصاف الإلهية ولا يجد فرقاً بين قبول صفات الله وبين قبول صفات نفسه ، بغير تَعمُّلٍ ، ولا حاجة إلى استحضار اسمه ، ولا غيره .
- **السابعة** : **المحق** : وهو زوال الحقد والحسد ، من جسمانية العبد وروحانيته معاً . فأصبح مطلق الصفات ، فاليد مثلا ليس في جلبتها

الطبيعية أن تكون بها قوة إبراء المرضى ، إلا أن القابلية الإنسانية فيها جميع ذلك ، وكذا الرِّجل ليس في طبيعتها المشى في الهواء ، وغير ذلك .

- **الثامنة** : **الطمس** : ذهاب أحكام البشرية مطلقاً ، من طبعه وعاداته ، فلا يغيره مثلا الجوع المفرط ، ولا السهر الدائم ، ولا الزلازل العظام .
- **التاسعة** : **المحو** : هو كمال الفناء ، بزوال سائر الآثار الخلقية ، بظهور الآثار الحقية .

فالفناء : هو الخمس مراتب الأولى .

والبقاء : هو الأربع مراتب التالية .

الجمع والفرق

الجمع : هو إزالة الشعب ، والتفرقة بين القدم والحدث ، باستتار نور العقل في غلبة نور الذات القديمة . وارتفاع التمييز بين القدم والحدث ، لزهوق الباطل عند مجيء الحق .

ثم أُسبل حجاب العزة على وجه الذات ، وعاد الروح إلى عالم الخلق ، وظهر نور العقل ، وعاد التمييز . وتسمى : **فرقـاً**.

قال أبو يزيد البسطامي : رُفِعتُ مرةً ، حتى أُقِمتُ بين يديه تعالى ؛

فقال لي : يا أبا يزيد : إن خلقي يريدون أن يروك .

قال أبو يزيد : يا عزيزي إني لا أحب أن أراهم ، فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر أن أخالفك ، فزيّني بوحدانيتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك .

قال أبو يزيد : ففعل ذلك ، فأقامني ، وزينني ، ورفعني .

ثم قال : أخرج إلى خلقي ، فلما كان الخطوة الثانية ، غشي عليّ

فنادى : ردوا عليّ حبيبي ، فإنه لا يصبر عني .

ولا يزال يتردد بين الجمع والفرق ، حتى يصير له عينان :

ينظر باليمنى إلى الحق نظر الجمع .

وباليسرى إلى الخلق نظر التفرقة . وتسمى هذه الحالة : **بالصحو الثاني** ، **أو الفرق الثاني** .

والجمع الصِّرف : يورث الزندقة والإلحاد ، ويحكم برفع أحكام الظاهر .

كما أن التفرقة المحضة : تقتضي تعطيل الفاعل المطلق .

والجمع مع التفرقة : يفيد حقيقة التوحيد ، والتمييز بين أحكام الربوبية والعبودية .

الجمع بلا تفرقة : زندقة .

والتفرقة بلا جمع : تعطيل .

والجمع مع التفرقة : توحيد .

ولصاحب الجمع ، أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود ، وكل فعل ، وصفة ، واسم ، لانحصار الكل عنده في ذاتٍ واحدة .

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في هذا المقام :

ذراعي مِن فوق السموات كلها   ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتي
وأعلم نبت الأرض كم هو نبتة   وأعلم رمل الأرض عدًّا لرملة
وأعلم علم الله أُحصي حروفه   وأعلم موج البحر عدًّا لموجة
أنا كنت مع نوحٍ أُشاهدُ في الورى   بِحاراً وطوفانا على كفَّ قدرتي
وكُنتُ وابراهيمَ مُلْقَىً بِنارِهِ   وما برد النِّيرانَ إِلا بدعوتي

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه في عينيته :

فَإنِّي لمَّا أَنْ تبَدَّت هَوِيَّتي   خَفِيتُ وإنْ تَغرُب فإنِّي طَالِعُ
وَلَيسَت سِوايَ لا ولا كُنتُ غيرها   ومِن بيننا تاءُ التكلُّمِ ضائِعُ
فإنِّي إيَّاها بِغيرِ تَساؤُلِ   كما أنَّها إيَّايَ وَالحَقُّ واسِعُ
فَكُلُّ عَجيبٍ مِن جَمالِيَ شاهِدٌ   وكُلُّ غريبٍ من كماليَ شائِعُ
وكُلُّ الوَرى طُرًّا مَظاهِرُ طَلعَتِي   مَرَاءٍ بِها مِنْ حُسنِ وَجهِيَ لامِعُ
ظَهَرتُ بِأوصافِ البَرِيَّةِ كُلِّها   أَجَل في ذواتِ الكُلِّ نُورِيَ ساطعُ
تَخَلَّقتُ بِالتَّحقيقِ في كل صورةٍ   فَفي كُلِّ شَيءٍ مِنْ جَمالي لَوامِعُ
فَما الكَونُ في التِمثالِ إلا كَدِحيَةٍ   تَصَوُّرُ رُوحي فيهِ شَكلٌ مُخَادِعُ

وقد أجاب ختم الأوليـاء القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني ، في كتاب ﴿ **جواهر المعاني** ﴾ عندما سئل عن معنى هذه العبارات وأمثالها ، قائلا :

[اعلم أن الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه ، ولابد لكل مؤمن من اعتقاده ، ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان ، هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله ، وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها ، وأن ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر ، ولا على قانون واحد ، ولا على كيفية مُطَّردة ، بل البصائر فيه متفاوتة ، وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل ، فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي ، الذي لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن :

- الذي في مرتبته ﷺ من تجليات الصفات والأسماء والحقائق ، لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل ، فضلا عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

- وأن الذي في مرتبة أولي العزم من الرسل ، لا مطمع لأحد في دركه من عموم المرسلين .
- وأن الذي في مرتبة الرسالة ، لا مطمع في دركه لأحد من عموم النبيين .
- والذي في مرتبة النبوة ، لا مطمع في دركه لأحد من عموم الأقطاب .
- وأن الذي في مرتبة القطبانية ، لا مطمع لأحد في دركه من عموم الصديقين .

وإذا كان الأمر كذلك ، وعرفت هذا التفصيل ، فاعلم أن : للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والإستغراق ، حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده .

- **لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى** : فيتدلى له من قدس اللاهوت – من بعض أسراره – فيضٌ ، يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق ، لمحقه فيها ، واستهلاكه فيها ، ويصرح في هذا الميدان بقوله : سبحاني ، لا إله إلا أنا وحدي ...إلخ من التسبيحات كقوله : جلَّت عظمتي وتقدس كبريائي .

وهو في ذلك معذور ، لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب – بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات – غاب عنه ، وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه ، وفيض ذلك السر القدسي عليه ، تكلم بما تكلم به . فالكلام الذي وقع فيه ، خلقه الحق فيه ، نيابة عنه ، فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان :

قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأني .

وقول الحلاج : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله .

وكقول بعضهم : فالأرض أرضي ، والسماء سمائي .

وكقول التستري رضي الله تعالى عنه :

انظر أنا شيء عجيب لمن يراني أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وهذا مما يعطيه الفناء والإستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه .

- **وتارة يكون الإستغراق للعارف والفناء في ذات النبي ﷺ** : لغيبته عن ذاته في ذات النبي ﷺ ، فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره ، فإذا كُسِيَت ذاته بذلك السر ، فلا يشهد ذاته - إلا ذات النبي ﷺ - ويُعلِمُه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيـابة عنه ، ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات العظام ، ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ ، مخبراً عن نفسه .

فمن يسمعه ، يظن أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبي ، ﷺ ، لغيبته في ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ، ورجع لِحِسِه وشاهِدِه ، تبرأ من ذلك ، لعلمه بمرتبته . وسُق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ ، مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين . فكل ذلك لفنائه في ذات النبي ﷺ ، مترجما عن مقامه ﷺ .

وهذا يغني في الجواب . ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ، ولا يأتي عليه القول ، ولا يحل ذكره ، لبعده عن الأفهام .

وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله ، وفي ذات النبي ﷺ ، ليس هو لكل العارفين ، ولا في كل وقت ، من أوقات من يقع له ، بل هو خاص ببعض الأوقات] اهـ.

وحقيقة التوحيد جلت عن أن يحيط بها فهم ، أو يحوم حول حماها وهم ، بعضهم تكلم فيه بلسان العلم والعبارة ، وبعضهم بلسان الذوق والإشارة : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ {الأنعام : ٩١. الزمر : ٦٧} . وما زاد بيانهم غير ستره .

وتوحيد الأفعال : هو إفراد فعل الحق عن فعل غيره ، بمعنى إثبات الفاعلية لله مطلقا ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى الحق بأفعاله .

توحيد الصفات : وهو إفراد صفات الحق عن صفات غيره ، بمعنى إثبات الصفات لله مطلقاً ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى الحق بصفاته .

توحيد الذات : هو إفراد ذات الحق عن باقي الذوات ، بمعنى إثبات الذاتية لله مطلقا ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى بذاته .

يرى صاحب هذا التوحيد كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وليس للإنسان وراء هذا مقام في التوحيد ، بغير حلول ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، كحال جبريل عليه السلام حيث تمثل بصورة

دحية الكلبي ، رآه النبي ﷺ : جبريل - إذ ذاك - وغيره رآه دحية ، لقصور نظرهم عن نظره ، ولاشك أن جبريل لم يحل بدحية (١) .

١- الأحاديث الواردة في تمثل جبريل عليه السلام في صورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه كثيرة نذكر منها : ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، ومارواه أبو الشيخ عن شريح رضي الله عنه ، وأحمد وابن مردويه والحاكم في المستدرك وصححه وأبو نعيم من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وابن أبي شيبة وابن سعد عن عامر الشعبي رضي الله عنه ، وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والطبراني عن أنس رضي الله عنه . وابن عساكر والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الاتحاد

مراتب الاتحـاد :

الأولى : **صاحبها يقول** : أنا المحبوب ، أو ، أنا الله ، أو ، أنا الحق ، نتيجة فنـاء عين التفرقة ، وبقـاء أثرها .

الثانية : **وصاحبها يقول** : أنا ، أنا ، وهي غاية الاتحاد ، نتيجة فناء التفرقة عيناً ، وأثراً .

الثالثة : **وصاحب هذه المرتبة يقول** : أنا عبده (١) ، نتيجة بقاء وجود المحب بمحبوبه ، ورجوعه عن صرف الجمع ، إلى مقام التفرقة مع الجمع .

١- وهو لقب رسول الله ﷺ بالأصالة ، وغيره بالتبعية ، كما قال تعالى : **﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾** {الإسراء : ١} . وقال : **﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾** {الجن : ١٩} . وقال : **﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾** {النجم : ١٠} . ولفظة **(أنا عبد الله)** قالها المصطفى ﷺ **في عدة مواضع فيها إعجاز ، منها : يوم حنين ، حين قالها ، هزم الله المشركين** : فقد روى الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والبزار وأبو عوانة والحاكم في المستدرك على الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ هَوَازِنَ ، جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، فَصَفُّوهُمْ صُفُوفًا ، لِيُكَثِّرُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **﴿أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ﴾** ، وَقَالَ : **﴿يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ﴾** . =

= فَهَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَمْ يَطْعَنْ بِرُمْحٍ وَلَمْ يَضْرِبْ بِسَيْفٍ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

وحديث العزل : فقد روى مسلم في صحيحه والحميدي والنسائي في السنن الكبرى وأبو عوانة والبيهقي في السنن ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً لِي ، وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَرَادَهُ اللهُ**﴾ قَالَ : فَجَاءَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُهَا لَكَ حَمَلَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**﴾ . وفي شرح النووى على صحيح مسلم : ﴿**أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**﴾ معناه هنا : أن ما أقول لكم حق ، فاعتمدوه ، واستيقنوه ، فإنه سيأتي مثل فلق الصبح .

آدم عليه السلام

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الذاريات : ٥٦} .

فقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه : (ليعرفوني)[1] . فما فسر بحقيقة ما تعطيه دلالة اللفظ ، وانما تفسيره : (ليذلّوا إليّ) ، ولا يذل له من لا يعرفه ، فلابد من المعرفة به أولاً ، وأنه ذو العزة التي تذل الأعـزاء لها ، فلذلك عدل ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير العبـادة إلى المعرفـة ، هذا هو الظن به .

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال : ١٧} .

ولم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول الله ﷺ ، فكان عبداً محضاً ، زاهداً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية .

وشهد الله له ﷺ بأنه عبد مضاف إليه من حيث هويته ، واسمه الجامع فقال في حق اسمه ﷺ : ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ {الجن : ١٩}.

---

[1] ذكر النسفي في معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الذاريات : ٥٦} . أن معناه (إلا ليعرفوني) ، ثم قال : وهذا حسن ، لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجـوده وتوحيـده . ونقل القرطبي عن مجاهد أن معنى قوله تعالى : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ : (إلا ليعرفوني) .

وقال في حق هويته ﷺ : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ١} . فأسرى به عبـداً .

ولما ﴿خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾(١) : فله الثبوت في ظاهره ، والتنوع في باطنه .

والله تعالى (**الظاهر الباطن**) فله الثبوت في باطنه ، والتنوع في ظاهره .

فالباطن – الحق – عين ظاهر الإنسان .

والظاهر – الحق – عين باطن الإنسان .

فهو كالمرآة : إذا رفعت يمينك ، رفعت صورتك يسارها .

فيمينك ، شمالها . وشمالك ، يمينها .

١- هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده ومتفق عليه (البخارى ومسلم) عن أبى هريرة رضي الله عنه وقال السيوطى فى التعليق على هذا الحديث فى الجامع الصغير: ﴿خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾ أي على صورة آدم عليه السلام التى كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته ...، وقيل الضمير "راجع" لله تعالى ، بقرينة رواية : ﴿خُلِقَ آدَمُ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَن﴾. أى أعطاه من الصفات ما يوجد مسماها عند الله عز وجل ، كالموت والحياة والعلم والكلام والرحمة ، والتى لم تعط بمجموعها للحيوان ولا للملائكة ولا للجن ، وإن كان الاشتراك فقط فى مسميات هذه الصفات وليس فى عينها ، حيث أن المشترك بين قدرة العبد وقدرة الخالق هو الاسم فقط ، وهكذا بشأن جميع الصفات .

فظاهرك أيها الإنسان ، على صورة اسمه الباطن .

وباطنك ، على صورة اسمه الظاهر .

فأنت ، صورته .

قال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾{الأنفال : ١٧} . وهو القاتل .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾{الأنفال : ١٧} . وهو الرامي .

وقال تعالى : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾{النحل : ٨١} . وهو الواقي .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾{البقرة : ٢٥٧} أي من العلم بهم ، إلى العلم به . وعلمنا به فرع عن علمنا بنا ، إذ نحن عين الدليل : ﴿ مَنْ عَرِفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرِفَ رَبَّهُ ﴾ . كما أن وجودنا فرع عن وجوده ، ووجوده أصل لنا ، فهو أصل في وجودنا ، فرع في علمنا به تعالى.

وتحقيق ما سبق ، هو **موقف السواء** .

وموقف السواء : أن يتساوى عند الحضرتين ، القديمة ، والحديثة ، فمِنْ هذا قال بالاتحاد مَنْ قال ، ومن هنا يترقى العارفون إلى الكمال ، أو يحط بهم إلى الطرد والإهمال ، فيظهر العبد في هذا الموقف بصورة الرب . فالإنسان ، وإن كان يرى في نفسه أنه عبد ضعيف ، تؤلمه قرصة البعوضة ، ومع ذلك فإنه يظهر بالرياسة ، لما عليه صورته التي خُلِقَ بها ، فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على الصورة ، عن الفقر والذل والعبودية . فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ – حيث يضع عبوديته أمام عينيه – وإلا زلت قدمه ، فهو مقام ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ {الأنفال : ١٧} .

فموقف السواء : هو المقام الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ، ولا عبد من سيد ، فإن قلت فيه في هذه الحالة سيد ، صدقت . وإن قلت عبد ، صدقت . فكونه ، رمى ، حق . وكونه ، لم يرم ، حق . لقوله تعالى في الحديث القدسي : ﴿ **كُنْتُ ... وَيَـــدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا** ﴾(١) .

واعلم أن للحق في كل خلق ظهورا ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم . وما عُبِدَ شيء في العالم ، إلا بعد التلبس بالرفعة عند

١- سبق تخريجه .

العابد ، والظهور بالصورة في قلبه ، وأعظم مجلى عُبِدَ فيه ، وأعلاه : الهوى ، كما قال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ {الجاثية: ٢٣} . وهو أعظم معبود ، وأكثر تابعا . فإنما لا يعبد شيء إلا به ، ولا يعبد هو إلا بذاته ، حتى عبادة الله تعالى كانت هوىً أيضا ، لأنه لو لم يقع له هوىً في الجناب المقدس – وهي الإرادة بالمحبة – ما عبد الله ، ولا آثره على غيره . وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم ، واتخذها إلها ، ما اتخذها إلا بالهوى . فكل عابدٍ أمراً ما ، يُكَفِّر من يعبد معبودا سوى معبوده .

والذى يحير العقول : هو اتحاد الهوى ، بل أحديته ، فإنه عين واحدة في كل عابد ، ولذلك سموه كلهم إلها ، ولذلك قال الكفار : ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ {ص : ٥} . فما أنكروه ، ولكن تعجبوا من ذلك ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ {الرعد : ٣٣} . فسيقولون : هذا حجر ، وهذا شجر . فأين الله إذن في ما عبدتم ؟

عن أبي يزيد البسطامي ﵁ قال :

رأيت الهوى ، في بعض مكاشفاتي ، ظاهراً بالألوهية . جالساً على عرشه ، جميع عباده حافُّون من حوله ، فما وجدت معبوداً أكثر عابداً منه .

فبالهوى ، يُجْتَنَب الهوى

وبالهوى ، يُعْبَد الهوى

ولولا الهوى ، ما هوى ، من هوى

ولذلك حاز جنة المأوى ، من نهى نفسه عن الهوى

وحق الهوى ، إن الهوى ، سبب الهوى

ولولا الهوى في القلب ، ما عُبِدَ الهوى

وكل من عبد شيئا سوى الله ، فإنه محجوبٌ بوصفٍ ، دون سائر الصفات . فمنهم من عبد الجَمال حيث رآه ، وترك باقي الصفات .

ومنهم من عبد الشمس ، لتجلي الله فيها بالدفء .

ومنهم من عبد البقر ، لتجلي الله فيها بالخير .

فمن لم يعبد الله تعالى على جميع صفاته ، فلا حجة له في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ {آل عمران : ١٩} .

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ {البينة : ٥} .

وأعظم ظهور لله تعالى ، هو تجليه في المرأة للرجل ، وفي الرجل للمرأة . فقد صح أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ ؛ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا** ﴾(١) .

وذلك أن الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا ، حباً له ، وتودداً إليه ، فهو الودود . ثم نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا لنفسه ، ثم اشتق له منه شخصاً على صورته ، سماه امرأة ، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة ، بأنه خلقه بيديه ، ثم خلق منه المرأة ، فالرجل بالأصالة ، والمرأة بالتبعية : ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ {البقرة : ٢٢٨} . ولذلك سُمُوا نساء ، من النَّسَأ وهو التأخر ، أي لتأخر خلقهن عن الرجال ، ولذلك يُنضَح بول الصبي ، ويُغسَل بول الجارية ، ما لم يطعما .

فظهرت هذه المرأة بصورة تشبه صورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه ، وكان الله تعالى قد حن إلى هذا الرجل

١- أخرجه البزار والحاكم والبيهقي في سننه والترمذي وابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الحاكم وصححه عن بريدة رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه ، واخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأحمد عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، وصححه السيوطي . وأخرجه أبو داود من حديث قيس ابن سعد رضي الله عنه .

الذي نفخ فيه من روحه ، حنين الشيء إلى نفسه ، وحن هذا الرجل إلى ربه حنين الشيء إلى وطنه . فإذا نظر الرجل إلى المرأة ، تذكر نظر الله إليه ، وإذا نظرت هي إليه ، تذكر نظرته إلى ربه ، ومن هنا حُبِبَ إلى رسول الله ، ﷺ ، النساء ، عن تحبب ، لا عن حب .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **مَا أَصَبْنَا مِنْ دُنْيَاكُمْ إِلَّا نِسَاءَكُمْ** ﴾(١) .

عن معقل بن يسار ؓ قال : « **لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ من الخيل ، ثم قال : اللهم غُفْرًا ، بَل النِّسَاءُ** »(٢) .

عن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ ، وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ** ﴾(٣) . وهذا هو الرجل الكامل .

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر ؓ .

٢- أخرجه ابن سعد في طبقاته وأحمد في الزهد والتمهيد لابن عبد البر وابن أبي حاتم ، عن معقل بن يسار ؓ . وبلفظ : « **لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ النِّسَاءِ مِنَ الخَيْلِ** » أخرجه النسائي وأبو عوانة والضياء المقدسي في المختارة عن أنس ؓ .

٣- أخرجه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس ؓ .

أما الرجل الحيوان : فينظر إلى المرأة على أنها شهوة عاجلة فقط . وانظر إلى دقة قوله تعالى : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ {البقرة : ٢٢٨} . فالرجولة درجة ، أما الذكورة فنوع . فكلمة ﴿رجال﴾ لم تستعمل في القرآن إلا لبيان المزية : ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ﴾ {الأحزاب : ٢٣} ، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ {النور: ٣٧} ، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ {الأعراف : ٤٦} . فأحب رسول الله ﷺ النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يُشاهَد الحق مجردا عن المواد أبدا .

ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة بها ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية ، أعظم وصلة من النكاح ، ولذلك فنى الرجل في زوجته ، وفنيت فيه ، حال الجماع ، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال ، لتعم الطهارة كما عم الفناء ، وهذا للمحجوبين : ﴿ **تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ** ﴾(١) . وهي جنابة الغفلة عن الله .

أما أهل الفتح والكمال ، فهم أقرب ما يكونوا إلى الله تعالى في تلك الحالة ،

١- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البيهقي وابن ماجة والطبراني والضياء وابن جرير عن أبي أيوب رضي الله عنه . وابن جرير عن أنس رضي الله عنه مرفوعا . وابن جرير عن أبي الدرداء وعن حذيفة وعن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليهم . وابن جرير عن الحسن مرسلاً .

لصفاء مشهدهم ، وكمال معرفتهم ، فاغتسالهم أمر تعبدي ، للقيام بظاهر الشرع ، لا لاستغراق شهودهم في غير الله ، فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن على جهة الشهوة ، فهو صورة بلا روح .

واعلم أنه لا يستغرق المحب ، الحبَّ كله ، إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى ، أو أحدا من جنسه هو - كامرأة مثلاً - وأما ما عدا من ذكرته ، فلا يستغرقه حبه إياه ، لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها ، إلا من هو على صورته إذا أحبه ، فما فيه جزء إلا وفيه ما يماثله فيهم ، ظاهره في ظاهره ، وباطنه في باطنه ، فإذا أحب الإنسان صورة من العالم ، إنما يستقبله بالجزء المناسب ، ويبقى ما بقي من ذاته ، صاحية في شغلها .

وأما استغراق حبه ، إذا أحب الله ، لكونه على صورته ، فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ، ولهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية ، ويتخلق بها .

فالنساء هن محل الانفعال ، لتكوين أتم صورة ، وهي الصورة الإنسانية ، التي لا صورة أكمل منها .

ولذا فقد امتن الله على رسوله ﷺ ، بأن حبب إليه النساء ، فحبه ﷺ لهن عن تحبب لا عن حب ، أي عن مشاهدته ﷺ لهذا التجلي الإلهي فيهن .

القرب

لا أقرب من المتحابين ، وإن تباعدت بينهم المسافات . ولا أبعد من المتنافرين ، وإن تجاوروا . فالقرب الذي نعرفه مسافة ، والبعد الذي نعرفه مسافة ، والله هو القريب البعيد بلا مسافة . وهو القريب البعيد ، قُربٌ هو البُعد ، وبُعدٌ هو القُرب . قال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ {الفجر : (١٥ – ١٦)} .

فالمصائب والبلايا والفقر هي عين القرب ، وإن ظنناها بعداً . فالمنح قد خُبِّئت في المحن ، فما من الله شيء أبعد من شيء ، ولا شيء أقرب من شيء ، فالقرب هو قرب المراتب ، لا المسافات . فكم متعلق بأستار الكعبة ، وهو عن الله بعيد ، وكم من منقطع في الصحاري والقفار ، وهو من الله قريب .

فقميص الملك أقرب إليه من ابنه ، ولكن ابنه أحب إليه من قميصه .

سافر أحدهم للحج ، فقال : رأيت الكعبة ، ولم أر رب الكعبة .

ثم سافر ، فقال : رأيت الكعبة ، ورب الكعبة .

ثم سافرت الثالثة ، فقال : رأيت رب الكعبة ، ولم أر الكعبة .

يتعرف الله إليك في كل مظهر ، ولا تعرفه ، ذلك هو البعد .

يراه قلبك في كل توجه ، ولا تراه ، وذلك هو البعد .

تصفه بأنه حي وقادر ، ولا تدرك ذلك ، ذلك هو البعد .

تراك ، وهو أقرب إليك من رؤيتك ، ذلك هو البعد .

فالحال : أن تشاهد قرب الله منك ، لا قربك منه .

فالقرب الذي تعرفه ، في القرب الذي يعرفه الله ، كمعرفتك في معرفته .

فاعبد الله ، مشاهداً أنه ربك ، غائباً عن نفسك ، وعن أنك عبده .

فإنه ما عُبِدَ مَن عُبِدَ إلا بتخيُّل الألوهية فيه ، ولولاه ما عبد : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} .

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في عينيته :

تجلَّى حبيبي في مَرائي جماله   ففي كلِّ مَرأىً لِلحبيب طَلائِعُ
فلما تَبَدّى حُسنُه مُتَنَوِّعاً   تسمّى بِأسماء فهُنَّ مَطالعُ
وَأَبرزَ مِنهُ فيهِ آثارَ وَصفِهِ   فَذَلِكُمُ الآثارُ مَن هُوَ صانعُ
فَأوصافُهُ والاسمُ والأَثَرُ الّذي   هو الكَونُ عَينُ الذاتِ واللهُ جَامِعُ
فَما ثَمَّ مِن شَيءٍ سِوى اللهُ في الوَرى   وَما ثَمَّ مَسموعٌ وما ثَمَّ سامِعُ

قال الشيخ محيي الدين ابن عـربي في ترجمان الأشـواق :

لَقَّد صار قَلبي قابلاً كُلَّ صورةٍ فَمَرعىً لِغِزلانٍ وَدَيرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدين بدين الحبِّ أَنَّى توجَّهَت رَكائِبُهُ فالحبُّ ديني وإيماني

وكذلك الحب : ما أحب أحد غير خالقه . ولكن احتجب عنه تعالى ، بحب النساء ، والدنيا ، والدرهم ، وكل محبوب في العا لم .

فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات وهم لا يعلمون .

أما العارفون ، فإنهم لم يسمعوا شعراً ، ولا غزلاً ، ولا تمدحاً ، إلا فيه ، من خلف حجاب الصور . فإذا انهدم هذا المحراب ، بما يُسمَّى موتاً ، وتحللت ذراته ، تخللت كل موجود ، من جماد ونبات ، وحيوان وإنسان ، وأصبحت كل ذرة منه تدور في فلك أجسام أخرى ، وصارت الرياسة للروح المجردة ، التي لا تزال تحن إلى هذا الجسد ، حنين المرأة للرجل ، وحنين الرجل لوطنه ، من خلف السدود ، إلى أن يركب لها من جديد ، في الحشر والنشور .

لا يفتقر إلى العلم ، من رأى معلِّمه .

ولا يستقر على المعرفة ، من رأى معرِّفه .

علمي ، يقطعك عني .

وفضلي ، يصرفك عني .

فكن بي ، تراني في كل شيء .

رأيت العز ، ينتفض من مهابة العزيز .

والعزة ، ترجف من مخافته .

أنت جليس العزيز ، لا جليس العز .

وأنت جليس العزيز ، لا جليس العزة .

العلم ، ومعلوماته ، حطبٌ ، لنار العزة .

وإن المعرفة ، ومعروفها ، حطبٌ ، لنار العزة .

أنا ، أقرب ، إليك ، مما تعرفت به ، إليك .

وأنا ، أقرب ، إليك ، ممن تعرفت إليه .

مَنْ جالسني ، لا يجالس سواي .

إذا رأيتني ، لا تجالسني .

فليست الرؤية إذناً في المجالسة .

ليس في المجالسة ذكر ، ولا في المجالسين ذاكر . إن الجليس ناظر عند الجليس من كل شيء علم . ومن كل علم ذكر .

فهو عبدي الحاوي .

الجلساء ، لا يدومون في المجالسة .

لأن الدوام ، صفة المُجلِس ، لا ، صفة الجليس .

والجليس ، لا يدخل العلم والمعرفة ، إلا في ضرورته .

فإذا دخلها ، في ضرورته ، دخلها أدباً .

حتى إذا خرج عن ضرورته ، عاد إلى مجالسته .

فمن دخلها أدباً ، ملكها ، فلا تملكه .

ومن دخلها قاصداً ، ملكته ، فلا ينتصر .

ولله در من قال :

قل لمن طاف بكاسات الهوى   وسقى العشاق مما قد نهل
ما مقامات المحبين سوى   لا ولا العلم عندي كالعمل
ليس من مُوِهَ بالوصل له   مثل من سيروه ، حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي   طرق الباب ، وللدار دخل
لا ولا الداخل عندي كالذي   أجلسوه عندهم في المستهل
لا ولا من أجلسوه عندي كالذي   سارروه ، فهو للسر محل
لا ولا من سارروه عندي كالذي   صار إياهم فدع عنك الجدل
ذاك شيء عَلِقَ الفؤاد به   ما تَبَدَّى بعضه إلا قتل

جُزهم أجمعين :

العلم ، والعلمــاء .

والخوف ، والخائفين .

والزهد ، والزاهدين .

العبادة ، والعبَّــاد .

والمعرفة ، والعــارفين .

فجزهم جميعـاً .

إنهم طريقك ، لا مقصدك .

وإنهم معبرك ، لا موطنك .

فلن يدعوك ، أحدٌ ، منهم ، إلا إلى مقامه .

وأنا ، أدعــوك ، لتكون لــي

فما اصطنـعتك إلا لنفســي

ورحم الله الجيلي حيث يقول :

فَسَلَّمتُ نَفسي حيثُ أَسلَمَني القَضا   وما لِيَ مع فِعلِ الحبيب تَنازُعُ
فَطَوراً تراني في المساجد عاكِفاً   وأنّي طَوراً في الكنائسِ راتِعُ
أراني كالآلاتِ وَهوَ مُحَرِّكي   أنا قلمٌ والاقتدارُ الأصابعُ
وَلَستُ بِجَبرِيٍّ ولكن مُشاهِدٌ   فِعالَ مُريدٍ ما له مَن يُدافِعُ
فَآوِنَةً يَقضي عَلَيَّ بِطاعَةٍ   وَحيناً بما عَنهُ نَهَتنا الشرائِعُ
لِذاكِ تراني كُنتُ أَترُكُ أَمرَهُ   وَآتي الَّذي يَنهاهُ والجَفنُ دامِعُ
وَلي نُكتَةٌ غَرّا هُنا سَأَقولُها   وَحُقَّ لَها أَن تَرعَويها المسامِعُ
هِيَ الفَرقُ ما بينَ الوَلِيِّ وَفاسِقٍ   تَنَبَّه لها فالأمرُ فيهِ بَدائِعُ
فَما هُوَ إلا أَنَّهُ قَبلَ وَقعِهِ   يُخَبِّرُ قلبي بِالذي هو واقِعُ
فَأَجني الذي يَقضيهِ فِيَّ مُرادُها   وعَيني لها قَبلَ الفِعالِ تُطالِعُ
وكُنتُ أَرى مِنها الإرادَةَ قبلَ ما   أَرى الفِعلَ مِنّي والأسيرُ مُطاوِعُ
فآتي الذي تَهواهُ مِنّي ومُهجَتي   لِذلِكَ في نارٍ حَوَتها الأضالِعُ
فَإِن كُنتُ في حُكمِ الشَريعةِ عاصِياً   فَإِنِّيَ في عِلمِ الحقيقةِ طائِعُ

الخيال والمعنى

عالم الخيال هو أكمل العوالم ولا أكمل منه ، له الوجود الحقيقي ، والتحكم في كل شيء .

ما أوسع حضرة الخيال ؛ حيث يجسد ، ويجعل ما لا صورة له ، له صورة ، ويرد المحال ممكنا ، ويتصرف في الأمور كيف يشاء .

وما أوجد الله تعالى أعظم من الخيال منزلةً ، ولا أعمَّ منه حكماً ؛ يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات .

وما قَبِلَ عالم من العوالم صورة الحق سوى الخيال .

وهو عالم خاص بالإنسان ، فلا يوجد عند الملائكة ، ولا الجن ، ولا غيرهما من المخلوقات خيال أصلا .

وهو رحم يصور الله فيه ما يشاء ، فظهر لنا سبحانه فيه بأسمائه وصفاته صورا .

وهو العالم الذي يدخله الإنسان إذا نام ، فيرى الله تعالى فيه على صورة ، كانت تلك الصورة ما كانت .

ولكن الكُمَّل من رجال الله يستطيع دخوله في حال اليقظة .

وهو العالم الذي يتمثل فيه المَلَكُ في صورة :

- كإتيان جبريل ﵇ في صورة دحية الكلبي الصحابي الجليل (١) .
- وهو في نفس الوقت في السماء له ستمائة جناح (٢) .
- وجلوسه أمام النبي ﷺ في صورة رجل يسأل رسول الله ﷺ ليعلم الناس دينهم (٣) .

١- عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ : أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ ﵇ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ : ﴿مَنْ هَذَا؟﴾ أَوْ كَمَا قَالَ ، قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ ، فَلَمَّا قَامَ ، قَالَتْ : وَاللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، قَالَ أَبِي : قُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ : مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ : مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبزار وأبو يعلى والطبراني . وفي الباب أيضا ماروواه أبو الشيخ عن شريح ﵁ ، وأحمد وابن مردويه والحاكم في المستدرك وصححه وأبو نعيم من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وابن أبي شيبة وابن سعد عن عامر الشعبي ﵁ ، وعبد ابن حميد عن ابن عمر ﵄ والطبراني عن أنس ﵁ . وابن عساكر والطبراني عن ابن عباس ﵄ .

٢- حديث عبد الله ابْن مَسْعُودٍ ﵁ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ ﵇ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأحمد وعبد بن حميد والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الدلائل .

٣- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ =

– وتمثله للسيدة مريم في صورة بشرية كذلك (1) .

وهو العالم الذي يتشكل فيه الجن بصور مختلفة ، فتحكم عليه هذه الصورة إذا ظهرت في عالم الواقع . كتشكله بصورة حية أو هرة ، فإذا قُتل في هذه الصورة أو أوذي ، فقد وقع عليه ذلك حقيقة .

وفي هذا العالم يرى الإنسان ربه في صورة الخلق وكل صورة يتبعها ما تستلزمه

= بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾ ، قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ ، يَسْأَلُهُ ، وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : ﴿ **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** ﴾ قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : ﴿ **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ﴾ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : ﴿ **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** ﴾ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ، قَالَ : ﴿ **أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ** ﴾ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : ﴿ **يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** ﴾ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ﴿ **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وأحمد والمروزي والفريابي والآجري وابن منده والبيهقي .

[1] – قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ {مريم : ١٧} .

من أحكام . إذ لما وصف النبي ﷺ الحق تعالى بأنه يضحك ، قال الأعرابي : لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا ![1] .

والخيال هو العالم الذي تظهر فيه التجليات الإلهية صورا ، كالنزول ، والاستواء ، والضحك :

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿ أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ﴾**. وفي رواية : **﴿ إِنَّ اللهَ تَجَلَّى لِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ﴾**[2] .

١- عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **﴿ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ﴾** قَالَ أَبُو رَزِينٍ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ : **﴿نَعَمْ﴾** ، قُلْتُ : لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا ، قَالَ حَسَنٌ فِي حَدِيثِهِ . فَقَالَ : **﴿نَعَمْ لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا﴾** . رواه ابن ماجة والطيالسي وأحمد وابن أبي عاصم والآجري والطبراني والبيهقي والدارقطني . وفي رواية : عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **﴿إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ مِنْكُمْ أَزِلِينَ بِقُرْبِ الْغَيْثِ مِنْكُمْ﴾** قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ : يَا رَسُولَ الله ، أَوَ إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ؟ قَالَ : **﴿نَعَمْ﴾** ، قَالَ : فَوَالله ، لَا عَدِمْنَا الْخَيْرَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ . هذه رواية عبد الرزاق ومعمر بن راشد .

٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ غَدَاةٍ وَهُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ ، مُسْفِرُ الْوَجْهِ ، أَوْ مُشْرِقُ الْوَجْهِ ، قُلْنَا : يَا نَبِيَّ الله ، إِنَّا نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ ، مُسْفِرَ الْوَجْهِ ، أَوْ مُشْرِقَ الْوَجْهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا يَمْنَعُنِي ، وَأَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ =

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ ....وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ ﴾(١) .

= قُلْتُ : لَا أَدْرِي أَيْ رَبِّ ، قَالَ : ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، قَالَ : فَوَضَعَ كَفَّيْهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، حَتَّى تَجَلَّى لِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ {الأنعام : ٧٥} ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ : قُلْتُ : فِي الْكَفَّارَاتِ ، قَالَ : وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ : المَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الجُمُعَاتِ ، وَالجُلُوسُ فِي المَسْجِدِ خِلَافَ الصَّلَوَاتِ ، وَإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ ، قَالَ : مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَمِنَ الدَّرَجَاتِ طِيبُ الْكَلَامِ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي النَّاسِ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ﴾ . رواه ابن جرير والترمذي وأحمد والدارمي وابن أبي عاصم والطبراني والدارقطني والبيهقي . كذا رواه الترمذي وأحمد والبزار وأبو يعلى والآجري والدارقطني وعبد الرزاق وابن جرير عن ابن عباس ﵄ . ورواه البزار والطبراني والدارقطني والبغوي وابن منده عن ثوبان ﵁ .

[١] رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي ومعمر بن راشد وأحمدوابن أبي عاصم عن أبي هريرة ﵁ . وابن أبي شيبة وأبو داود في الزهد عن محمد بن كعب ﵁ . وابن جرير وابن أبي عاصم وأبو عوانة عن أبي سعيد الخدري ﵁ .

فالله الذي نعتقده ؛ نعتقده في خيالنا ، وصورة الله تعالى على صورة ما وصفه النبيون لأممهم . وأعلى التجلي إذا تجلى لك الحق في صورة باطنك . وباطنك على حسب ما انطبع فيه من الأخلاق الإلهية تكون صورة الحق فيه (1) . فمن تخلق بخلق واحد من أخلاق الله ينكر صورة الله إذا ظهرت له في أعلى من ذلك .

وأعلى من ذلك ؛ المقصود به هو إذا تجلى لك الحق في صورة نبيك ، وهو أكملها !

ومن تحقق وجد أن الله تعالى تجلى لهم أولاً في صورة ، وثانيا في صورة أخرى ، وهو هو ، غير أن صورة التجلي مختلفة ، فتعوذوا منه في الأولى ، واتبعوه في الثانية .

---

١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ لَوْحًا مِنْ زَبَرْجَدٍ خَضِرًا ، جَعَلَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، كَتَبَ فِيهِ : أَنَا اللهُ ، لَا إِلَهُ إِلَّا أَنَا ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، خَلَقْتُ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِائَةِ خُلُقٍ ، مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، دَخَلَ الجَنَّةَ** ﴾ . رواه الطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق . وفي رواية عَنْ عُثْمَانَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ خُلُقٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ خُلُقًا ، مَنْ أَتَاهُ بِخُلُقٍ مِنْهَا دَخَلَ الجُنَّةَ** ﴾ . رواه الطبراني في مكارم الأخلاق وأبو يعلى والطيالسي والحكيم الترمذي .

والسعيد من اعتقده في كل مظهر ، ولم ينكره في أي صورة تجلى فيها .

عقد الخلائق في الإله عقائداً   وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فنسلم لكل ذي اعتقاد ما اعتقده ، ونعرف الله في كل صورة .

وهذا هو إله المعتقدات الذي وسعه قلب العبد (١) ، أما الإله المطلق فلا يسعه شيء لأنه عين كل شيء ، والشيء لا يُقال فيه وسع نفسه .

ظاهر الصلاة في عالم الحس ؛ ركوع وسجود وقيام ، لكن في عالم الخيال هي كما قال المصطفى ﷺ فيها : والله في قبلة أحدكم إذا قام يصلي (٢) .

١- عَنْ أَبِي عِنبَةَ الْخَوْلَانِيِّ ؓ ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿**إِنَّ للهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا**﴾ . رواه الطبراني في مسند الشاميين وذكر المناوي في فيض القدير أن الهيثمي قال عنه أنه حسن . وفي رواية عن وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ أنه كان يَقُولُ : ﴿**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِحِزْقِيلَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقَالَ حِزْقِيلُ : سُبْحَانَكَ ، مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبِّ ، فَقَالَ اللهُ : إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ تُطِقْ أَنْ تَحْمِلَنِي ، وَضِقْنَ مِنْ أَنْ تَسَعَنِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيِّنِ**﴾ رواه الإمام أحمد بن حنبل في الزهد .

٢- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ**﴾ رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والمروزي والبيهقي عن جابر بن عبد الله ؓ . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وابن ماجة ومالك في الموطأ والطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والبزار والمروزي والنسائي في السنن الكبرى وأبو عوانة وأبو نعيم عن ابن عمر ؓ .

ويأمرنا بالصلاة نحو الكعبة ، ويخبرنا بأنها بيته تعالى .

ويأمرنا بتقبيل الحجر الأسود ، ويخبرنا بأنه يمينه تعالى (١) .

قبل فإن يمين العهد في الحجر وأين رتبته من رتبة البشر
إن المبايع من تعنوا الوجوه له الواحد الأحد القيوم بالصور
إن شاء في ملك إن شاء في بشر إن شاء في شجر إن شاء في حجر
فما تقيده ذات ولا عرض وما له في وجود الكون من أثر

ويأمرنا بتعظيم الرسول ﷺ ، ويقول : إن من بايعه ﷺ فقد بايع الله عز وجل ، وأن اليد التي كان فوق أيديهم هي يده تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} .

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **﴿الْحَجَرُ يَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ ، يُصَافِحُ بِهِ عِبَادَهُ﴾** . رواه ابن بشران في أماليه وابن عساكر والخطيب البغدادي والديلمي . وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵁ قَالَ : **﴿الرُّكْنُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ ، يُصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ كَمَا يُصَافِحُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ﴾** . رواه عبد الرزاق والأزرقي وقال ابن حجر في المطالب العالية : موقوف صحيح . وفي رواية أخرى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵁ قَالَ : **﴿الْحَجَرُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَيْعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَقَدْ بَايَعَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾** . رواه الأزرقي والفاكهي كلاهما في أخبار مكة . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : **﴿مَنْ فَاوَضَهُ ، فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَدَ الرَّحْمَنِ﴾** . رواه ابن ماجه .

ويقول : ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ {محمد : ٢} . والضمير يعود على رسول الله ﷺ .

ويخبرنا رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ مَنْ رَآني فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ﴾ (١) . **والحق** : اسم من أسمائه تبارك وتعالى .

ويقول تعالى : ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ {الفتح : ٩} . والضمير عائد على واحد بعينه . فما أرفع رتبة البشر ، حين أنزل الله هذا الخليفة منزلته تعالى ، فأمر ببيعة رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح:١٠} .

ويقول الله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال : ١٧} . فالرامي في الحس هو رسول الله ﷺ ، والرامي في حضرة الخيال هو الله تعالى .

فيد الله تعالى هي يد الأكوان ، وإن اختلفت الأعيان .

---

[1] رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي قتادة . وأحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . وابن ماجة عن أبي جحيفة وحذيفة رضي الله عنهما ورواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

وإذا رأيتم العبد يفعل ويتحرك ؛ فالله تعالى هو الفاعل ، والعبد أصله ساكن .

وإذا سمعتم العبد يتكلم ، فذلك تكوين الحق فيه ، والعبد على أصله صامت .

فالأفعال خلق الله ، فهو الآمر والمأمور .

سبحانه يطيع نفسه إذا شاء بخلقه .

إذ شؤون الحق لا تظهر إلا في أعيان الممكنات .

وحجاب العزة دون سُبحاته مُسدل[1] ، وباب الوقوف على معرفته مُقفل . فليس إلا أشباح خالية على عروشها خاوية . ناداك في سرك ، فأجابه صداه من قلبك :

يُنَادِيــنِي مِنِّي   أَهْـلاً بِـكَ يَا أَنَـا

---

[1] عَنْ أَبِي مُوسَىﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهَا ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ**﴾ ، ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {النمل: ٨}. رواه مسلم وابن ماجة وأحمد في مسنده والدارمي وابن أبي عاصم وأبو يعلى والبزار وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات .

وفي عالم الخيال ؛ يستقرضنا الله سبحانه وتعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾{البقرة:٢٤٥} .

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾{الحديد:١١} .

وإن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل[1] . ويقول تعالى لرسوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ {التوبة:١٠٣} . وهو تعالى الآخذ .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾{التوبة:١٠٤} .

ويقول تعالى لعبيده : ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾{النساء:٨} .

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ {النساء:٥} . وسبحانه وتعالى يقول على نفسه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾{الذاريات:٥٨} . ويقول رسول الله ﷺ : أن الأبدال بالشام ، بهم

---

[1] روى ابن جرير عَنْ قَتَادَةَ ﵁ ، قال : كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَتَصَدَّقُ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ ، فَتَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ ، حَتَّى تَقَعَ فِي يَدِ اللهِ** » .

ترزقون ، (وهو الرزاق) ، وبهم تنصرون ، (وهو الناصر)[1] .

ويقول تعالى لنا في عالم الخيال أنه مرض ولم نعده وهو تعالى الشافي المعافي ، وأنه استطعمنا فلم نطعمه[2] وهو تعالى الرزاق .

---

[1] عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ مِصْرُ ، سَبُّوا أَهْلَ الشَّامِ ، فَأَخْرَجَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ رَأْسَهُ مِنْ تُرْسٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ أَنَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ ، لَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿**فِيهِمُ الْأَبْدَالُ ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ ، وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ**﴾ . رواه الطبراني في الكبير . وَعَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : ذُكِرَ أَهْلُ الشَّامِ عِنْدَ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَهُوَ بِالْعِرَاقِ ، فَقَالُوا : الْعَنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿**الْأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلًا ، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمِ الْعَذَابُ**﴾ . رواه أحمد في مسنده والضياء المقدسي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن عساكر في تاريخه .

[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ ، فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي﴾ . رواه مسلم والبيهقي والبخاري في الأدب والطبراني .

وصح أنه ﴿مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ﴾⁽¹⁾ ، ﴿مَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَسْتَحِ مِنَ اللهِ﴾⁽²⁾. فنرى الله تعالى في عيون الناس ، إذا نَظَرَتْ إلينا . فحياؤنا منهم عين حيائنا من الله . وشكرنا لهم هو عين شكرنا لله تعالى .

والخيال هو عالم ظهور المعاني مجسدة :

فالموت يأتي على صورة كبش يوم القيامة ، ويُذبح ⁽³⁾ .

ومثل وزن أعمال العباد وهي شيء معنوي ⁽⁴⁾ .

١- أخرجه أحمد والترمذي وصححه والضياء في المختارة وصححه السيوطي والطبراني في الأوسط (وحسنه الهيثمي) عن أبي سعيد ﵁ . ورواه أحمد والترمذي والنسائي عن أنس ﵁ . والترمذي وصححه وأبو داود وابن حبان عن أبي هريرة ﵁ . وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبزار والطبراني ووثق رجاله الهيثمي كذلك رواه البيهقي في شعب الإيمان والشعبي والخطيب عن النعمان بن بشير ﵁ . والديلمي عن جابر ﵁ . والطبراني عن جرير ﵁ .

٢- رواه أبو داود وهناد كلاهما في الزهد عن زيد ابن ثابت ﵁ . ورواه بلفظ : ﴿مَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِن اللهِ في العَلَانِيَةِ ، لَمْ يَسْتَحِ مِن اللهِ في السِّرِّ﴾ أبو نعيم في المعرفة عن محمد بن أبي الجهم .

٣- رواه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير عن ابن عمر ﵄ . ورواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ﵁ . وأخرجه عبد بن حميد وابن ماجه والحاكم وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ﵁ .

٤- قال تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾ {الزلزلة: (٧ – ٨)} .

وكرؤية العلم في صورة اللبن (١) ، والدين في صورة القيد (٢) .

والصلاة تتكلم ، وتُلَفُّ ، ويضرب بها وجه صاحبها (٣) .

والميت يُسأل ويتكلم ويتحرك ويذهب ويأتي (٤) .

١- عَن ابْنِ عُمَرَ ؓ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : ﴿**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**﴾ قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : ﴿**العِلْمَ**﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والترمذي وصححه .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**أَكْرَهُ الْغُلَّ ، وَأُحِبُّ الْقَيْدَ ، الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ**﴾ . رواه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم في صحيحيهما والحاكم وصححه وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

٣- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا ، قَالَتْ: حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا ضَوْءٌ وَنُورٌ ، وَفُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ . وَإِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْعَبْدُ الْوُضُوءَ ، وَلَمْ يُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا ، قَالَتْ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَعَلَيْهَا ظُلْمَةٌ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا﴾ . رواه الطبراني والشاشي .

٤- عَنْ جَابِرٍ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ ، فَأَتَاهُ مَلَكَانِ ، فَانْتَهَرَاهُ ، فَيَقُومُ يَهُبُّ كَمَا يَهُبُّ النَّائِمُ ، فَيَسْأَلَانِهِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ رَبِّي ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي . فَيَقُولَانِ لَهُ : صَدَقْتَ ، كَذَلِكَ كُنْتَ . فَيُقَالُ : أَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ . فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى آتِيَ أَهْلِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : اسْكُنْ﴾ . رواه ابن أبي عاصم والبيهقي .

ويأتي القرآن يشفع لصاحبه(١) .

وتأتي سورة البقرة وآل عمران على صورة غمامتان يظلان صاحبهما (٢) .

وتأتي الأعمال على صورة حسنة تقود صاحبها إلى الجنة (٣) .

١- عَن ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ : ﴿ **يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ ، فَيَكُونُ قَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ سَائِقًا لَهُ إِلَى النَّارِ** ﴾ . رواه ابن أبي شيبة والدارمي .

٢- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ؓ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : ﴿ **اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ** ﴾ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ . رواه مسلم وعبد الرزاق وأحمد والطبراني والحاكم والبيهقي .

وَعَن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانِ الْكِلَابِيِّ ؓ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ﴿ **يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَآلُ عِمْرَانَ** ﴾ ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ ، قَالَ : ﴿ **كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا** ﴾ . رواه مسلم في صحيحه والترمذي وحسنه وأحمد وأبو عوانة والطبراني وتمام في فوائده .

٣- عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلُهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ {يونس: ٩} . قال : بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ : =

وفي حضرة الخيال هذه يظهر وجود المحال : فآدم عليه السلام يرى نفسه خارج القبضة ، ثم يرى نفسه في القبضة هو وذريته [1] . ويرى رسول الله ﷺ نبي الله موسى عليه السلام ليلة الإسراء يصلي في قبره [2] ،

= ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَة ، فَيَقُولُ لَهُ : مَا أَنْتَ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكَ امْرَأً صِدْقٍ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقَائِدًا إِلَى الجَنَّةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشَارَةٍ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ : مَا أَنْتَ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَمْرَأَ سُوءٍ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ . فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ﴾ . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ ، عَطَسَ ، فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ ، فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : رَحِمَكَ اللهُ يَا آدَمُ ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ ، إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ ، فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَالُوا : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ ، بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ : اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ ، قَالَ : اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي ، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ، ثُمَّ بَسَطَهَا ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ﴾ . رواه الترمذي وحسنه وابن أبي عاصم والبزار والحاكم وصححه وأقره الذهبي والبيهقي وابن حبان وابن عساكر في تاريخه .

[2] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى عليه السلام وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**﴾ . رواه مسلم في صحيحه والنسائي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه . والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما . والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ثم يراه في بيت المقدس ، فصلى به (١) ، ثم يراه في السماء (٢) ، وهو ما انتقل ، ولكنه في كل هذه الأماكن في وقت واحد .

وثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣) ، ففي نفس الوقت هي على الشجر ، وهي في يد من يأكلها .

والخيال هو عالم سوق الجنة ، فقد صح أن في الجنة سوقا ليس فيه إلا الصور (٤) ، يدخل الرجل في أي صورة يشتهيها ، وهي مع ذلك في السوق ،

١– حديث ليلة الإسراء : ﴿ .....**حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَأَوْثَقْتُهُ بِالحَلَقَةِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُ بِهَا ، فَنُشِرَ لِي رَهْطٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ ، وَكَلَّمْتُهُمْ....**﴾ . أخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس ﵁ ، وأخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن أبي ليلى ، وأخرجه ابن سعد وابن عساكر عن عبد الله بن عمر ، وأم سلمة والسيدة عائشة وأم هانئ وابن عباس ﵃ أجمعين .

٢– حديث : ﴿ ....**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ،.....، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى...**﴾ . رواه أحمد وسلم والنسائي عن أنس ﵁ . وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن مالك ابن صعصعة ﵁ .

٣– قال تعالى : ﴿**وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ (٢٧) فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ (٢٨) وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ (٢٩) وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ (٣٠) وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ (٣١) وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ (٣٢) لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ (٣٣)**﴾ {الواقعة : ٢٧ – ٣٣} .

٤– حديث : ﴿ **إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ إِلَّا الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا**﴾ . رواه أحمد في مسنده والترمذي وأبو يعلى وتمام وأبو نعيم والبيهقي وابن أبي الدنيا عن الإمام علي كرم الله وجهه . والطبراني عن جابر بن عبد الله ﵄ .

أي ما خرجت منه ، وهو مع ذلك على نفس صورته الأصلية ، يعرفه أهله ، ومع ذلك يرى الصورة في السوق ، ما انفصلت ولا فقدت ، ولو اشتهاها أهل الجنة جميعا لدخلوا فيها ، وهي على حالها في السوق ما برحت ، وهذه الحالة الخيالية هي كما يكون الإنسان في نومه ، فيرى نفسه في صورة غير صورته ، ويرى نفسه في صورته في آن واحد ، ويرى أنه في مكانين في آن واحد . وهذا العالم (أي عالم الخيال) هو عالم البرزخ ، يدخله الإنسان بمجرد نومه أو موته ، فإن **النوم أخو الموت** (١) . وجاء في الخبر أن : (**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**) (٢) . وهؤلاء يخرجون من قبورهم ، فيقولون : ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۖ﴾ {يس:٥٢} . فكل حياة ، بالنسبة لما بعدها نوم ، ولما قبلها يقظة .

١- حديث : سُئِلَ نَبِيُّ الله ﷺ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَلَا يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ**﴾ . رواه البزار والطبراني وابن مردويه وتمام وأبو نعيم والبيهقي في البعث بسند صحيح عن جابر﵁ .

٢- أورده الحافظ المناوي في فيض القدير على أنه حديث ولم يورد سنده ، وقد أجمع المحدثون على أنه ليس في المرفوع ولكنه من قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولفظه : "**الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا انتبهوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم**" .
وروى أبو نعيم وابن أبي الدنيا عن أبي حازم بلفظ : " **ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر**".

فهذا هو النائم اليقظان . فكيف يكون مستيقظا بقول الرسول ﷺ ؟

وكيف يكون نائما – في نفس الوقت – بكلام الله تعالى ؟

وكل عالم بالنسبة لما قبله خيال ، فالموتُ وَهْمٌ ، إذ الإنسان لا يموت ، وإنما ينتقل من عالم الحس إلى عالم الخيال الواسع بما يُسمى الموت .

وفي الصلاة تقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الفاتحة : ٥} . بكاف الخطاب ، فأنت تتخيل أنك تخاطبه سبحانه وتعالى .

وحين تقول في التشهد : «**السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ**» فأنت تتخيل أنك تشهد النبي ﷺ وتخاطبه .

والإيمان كله خيال ، حتى أن الله تعالى – الذي نعتقده — نعتقده في خيالنا .

والإيمان بالغيب والملائكة واليوم الآخر والبعث ؛ كله محض خيال .

فلا إيمان بلا خيال ، ولا إحسان بلا خيال ؛ إذ الإحسان : ﴿**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**﴾ ، فلفظة (**كأنك**) قد فتحت باب الخيال على مصراعيه ! .

وإن كنت يا مسكين لست من أصحاب الخيال ؛ فقد أوجد لك الشرع عذراً ؛

في قوله ﷺ : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ﴾ ⁽¹⁾ .

التوكل والحب واليقين ، وكل الأعمال القلبية ، بل كل الحقائق التي بنى عليها البشر قوانين حياتهم بدأت خيالاً ، ثم صدقوه ، وبنوا عليه ما بنوا ، فكل شيء حقيقي يبدأ أولا بالخيال :

كان حلما فخاطرا فاحتمالا ثم أضحى حقيقة لا خيالا

وتستطيع بخيالك الاستزادة من الصالحات ، فهذا الرجل الذي لا قوة له ولا مال فيرى مَنْ عنده قوة يكثر من الصيام والصلاة والجهاد ، ويرى مَنْ عنده مال يتصدق ويعتق به ، فيقول في خياله : لو كان عندي قوة أو مال لفعلت مثلما يفعلون ، فهما في الأجر سواء وربما زاد عليه لأن العامل مسؤول عن صدقه في عمله ﴿**لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ**﴾ {الأحزاب : ٨} . وصاحب الخيال هذا غير مسؤول عن خياله لأنه عمل بالنية ونية المؤمن خير من عمله ⁽²⁾ !

١- حديث الْإِحْسَان : ﴿ **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ﴾ . متفق عليه .

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ ، وَعَمَلُ الْمُنَافِقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى نِيَّتِهِ ، فَإِذَا عَمِلَ الْمُؤْمِنُ عَمَلًا نَارَ فِي قَلْبِهِ نُورٌ** ﴾ . رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي . وعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ ؓ قَالَ : ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: ﴿ **رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَمَالًا ؛ فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ آتَانِي اللهُ مِثْلَ مَا آتَى هَذَا لَعَمِلْتُ فِيهِ كَمَا يَعْمَلُ** =

وحضرة الخيال مطلقة لا تحجير من الشرع عليها ، فترى الانسان يرى في منامه الموبقات ولا يحاسبه عليها الشرع ، إذ أن دائرة الخيال أوسع الدوائر . الجن يرى خيال الانسان ، وهو عنده حقيقة ، وفي هذه الحضرة يملي الشيطان ويوسوس للانسان ، وبهذه الحضرة يستطيع الانسان قتل الشياطين بلا عناء ، فلو تعرض لك شيطان ، وتخيلت الله ، فالشيطان يخنس عند ذكر الله تعالى ، ولو بالقلب . ولو تخيلت بيدك سيفًا تقتل به هذا الشيطان فإنه يراه ، ويفر هارباً .

عالم الخيال هو عالم الكشف ، وعالم الحس هو عالم المشاهدة .

المشاهدة متعلقها الذوات المحسوسة .

المكاشفة متعلقها المعاني .

فإذا رأيت رجلاً يأتي ، فأنت تشاهده .

= فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي غَيْرِ الحَقِّ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبًّا وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمًا ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ آتَانِي اللهُ مِثْلَ مَا آتَى هَذَا لَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ» . رواه ابن ماجة وأحمد في مسنده والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي والطحاوي في مشكل الآثار وابن المبارك في الزهد .

ثم يقول لك الكشف أن هذا الرجل يضمر لك الخير ، أو يضمر لك الشر أو غير ذلك من المعنويات .

فتدرك بالكشف ما لا تدرك بالشهود .

ويفصل الكشف ما هو مجمل في الشهود .

فالمكاشفة أتم من المشاهدة .

فكل الناس مشاهد مكاشف على قدر علمه ونوره .

ونحن نعيش في عالم الخيال ، أكثر مما نعيش في عالم الحس .

فالنوم خيال ، ثم إذا اتخذت قرارًا لتستيقظ ، فهذا القرار أنت تضمره في خيالك أولاً ، ثم تبرزه إلى عالم الحس ، وجميع القرارات التي تتخذها في يومك مصدرها الخيال .

وكلما قل عالم الحقيقة ، اتسع عالم الخيال .

فالمريض الملازم للفراش لا تتعدى حقيقته هذا الفراش ، ولكن خياله أوسع من السموات والأرض .

تستطيع دخول إلى عالم الخيال كلية ، وتنفصل عن عالم الحقيقة ، بالإستغراق

في ذكـر الله .

فتبدأ الذكر **بالتواجـد** : وهو استدعاء الوجد .

حتى تستغرق فيه شيئًا فشيئًا وتدخل في مرحلة **الوجـد** .

ثم يزيد استغراقك حتى ينقطع احساسك بما حولك ، حينئذ أنت في عالم الخيال ، وهو **الوجـود الحقيقي** أو **الفنـاء** أو **الجمـع** .

فأوله **تواجـد** ، ثم **وجــد** ، ثم **وجــود** .

فالموت وهم ، إذ الإنسان لا يموت ، وإنما ينتقل من عالم الحس ، إلى عالم الخيال الواسع بما يسمى الموت .

فالخيـال هو عالم الأوليـاء العارفين بالله تعالى ، الغارفين من بحر فيضه .

وما لا قدرة للإنسان ، ولا قوة له عليه أن يكون منه في الحس ، هنا في الدار الدنيا ، فإنه يقوى على إيجاده خيالاً في نفسه .

فعالم الخيال هو عالم **الجبـروت** .

بين عالمي **المـلك** و **الملكـوت** .

وبين عالمي **الخـلق** و **الأمـر** .

وبين عالمي **الشهادة** و **الغيب** .

والخيال من حضرة **الإمكان** ، وهي حضرة بين الوجود المطلق ، والعدم المطلق . لا يدرك بالبصر ، وإنما بالبصيرة .

الإحسان خيال ﴿ **اعبد الله كأنك تراه** ﴾ (١) ، وهو استحضار .

ولا يستحضر إلا من يقبل الحضور ، فما حجَّر الله على عباده تخيله .

فإن لم تستطع هذا الإستحضار ﴿ **فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك** ﴾ (١) ، فاستحضر رؤية الله لك ، وهي خيال أيضًا .

والخيال كله حق ، ما فيه شئ باطل ، ولا ينسب إليه خطأ ، إذ لا يحده الشرع .

﴿ **إنما الأعمال** ﴾ (٢) شهادة وحقيقة ، ﴿ **بالنيات** ﴾ (٢) خيال .

قال ﷺ للصحابة في نجواه للإمام عليّ ، كرم الله وجهه : ﴿ **ما انتجيته ، ولكن الله انتجاه** ﴾ (٣) . والصحابة يرون أن رسول الله ﷺ هو الذي يناجي

١- سبق تخريجه .

٢- سبق تخريجه .

٣- سنن الترمذي .

الإمام عليّ ، كرم الله وجهه .

وقد ينقلب الخيال حقيقة ، والحقيقة خيال .

فمن يعيش في مصر ، فأمريكا بالنسبة له خيال . فإذا ذهب إلى أمريكا أصبحت حقيقة عنده ، وباتت مصر في ذاكرته خيالاً . فإذا رجع إلى مصر صارت أمريكا عنده خيال .

وهذا هو الحال عند أهل الله تعالى ، إذا دخلوا حضرة الخيال ، صار عندهم حقيقة ، وأصبح عالم الشهادة لهم خيالاً .

وجاء الشرع ، يقرر ما ضبطه هذا الخيال ، من كينونة الحق تعالى في قبلة المصلي ، وفي مواجهة المصلي (١) .

ما أسمع الرحمن كلامه بارتفاع الوسائط إلا ليتمكن الاشتياق في السامع ، إلى رؤية المتكلم ، ولا سيما ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ **إن الله جميل يحب الجمال** ﴾ (٢) فشَوَّقَ النفوس إلى رؤيته .

١- هذا الحديث : ﴿**الله تعالى قِبَل وجه أحدكم إذا صلَّى**﴾ . رواه البخاري ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ومسلم وأبو داود عن جابر رضي الله عنه . ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وغيرهم كثير .

٢- رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه . وأحمد عن أبي ريحانة رضي الله عنه . والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه . والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما . وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر رضي الله عنهما . والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه .

ولما كان الله تبارك وتعالى يتجلى في الصور ، ويكون التجلي على قدر المتجلى له ، فإنه يتجلى للأولياء بما لا يتجلى به لغيرهم ، ويتجلى للأنبياء بأعظم مما يتجلى به للأولياء . وموسى عليه السلام قد رأى الحق بما هو متجل به للأولياء ، وإنما سأل التجلي في الصورة التي لا يدركها إلا الأنبياء ، ومن الأنبياء من خصه الله بمقام لم ينله غيره .

واعلم أن الحق تعالى ، ما يتجلى لمخلوق ، إلا في صورة المخلوق .

أما التي هو عليها في الحال فيعرفه . أو ما يكون عليها بعد ذلك فينكره . والمخلوق لا يعلم من أحواله إلا ما هو عليه في الوقت ، فالصورة صورتك ، فصدق .

﴿لَن تَرَانِي﴾ {الأعراف : ١٤٣} : واعلم أنه ليس هناك منع ، بل فيض دائم ، وعطاء غير محظور ، فالحق متجلٍ دائما ، والقابل لا يكون إلا بالاستعداد الخاص .

وقد صح له ذلك الاستعداد ، فوقع التجلي في حقه ، ولا يخلو أن يكون له أيضا استعداد البقاء عند التجلي ، أو لا يكون له ذلك . فإن كان له ذلك فلابد أن يبقى ، وإن لم يكن ، فلا بد من اندكاك ، أو صعق ، أو فناء ، أو غيبة ، أو غشية .

شهود الحق فناء . ما فيه لذة . لا في الدنيا . ولا الآخرة . فليس التفاضل ولا الفضل في التجلي ، وإنما فيما يعطي الله لهذا المتجلى له من الاستعداد .

الهمة

الهمة هي تفعيل الخيال ، وإرساله على الأكوان ليتصرف فيها .

فإذا قلت لخادمك في سرك ، بغير لسان ، ولكن بخيالك : اذهب فأتني بماء أشربه ، فسمع الخادم ، وأتى لك بالماء ، فأنت صاحب همة ، وتصريف . وهؤلاء هم **الصامتون** .

انظر إلى همة أمير المؤمنين عمر ﷺ حين قال من على المنبر ، في المدينة : (**يا سارية : الجبل الجبل**) ، وسمعه سارية ، وهو بنهاوند .
التصريف بالهمة في الدنيا تصريف بالخير ، وتصريف يالشر .
فبالخير كما فعل عمر ﷺ . وبالشر هو الحسد ، والسحر .
ألم تر كيف أن الحاسد ينظر إلى الرجل ، فيدخله القبر . وقال ﷺ في الرجل الذي لعن ناقته : ﴿ **أُجِبْتَ فيها** ﴾ (١) .

ومن كان الحق سمعه وبصره ، ويده ورجله ، وعقله ، علت همته ، وعظم تصريفه .

١- رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

أما من كان في بحر وحدة الشهود ، فلا همة له ، لأحدية المتصرِّف والمتصرَّف فيه ، فلا يرى على من يرسل همته .

فالمعرفة لا تترك للهمة تصرفاً ، فكلما علت معرفة العارف ، نقص تصريفه .

فالانشغال بالعبودية ، أولى من الظهور بالربوبية .

ولما اجتمع محمد بن قائد الأواني ، بأبي السعود الشبلي ، قال له : لم لا تتصرف؟ فقال : تركت الحق يتصرف لي كيف يشاء ، وكيف أتصرف وقد سمعته تعالى يقول : ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ {المزمل : ٩} . والوكيل هو المتصرف .

انظر إلى نبي الله لوط عليه السلام حين قال : ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ {هود : ٨٠} ، يعني همة متصرفة . إذ الأنبياء لا يتصرفون بهممهم ، بل بالله تعالى ، يتصرف لهم فإن أمرهم بالتصريف بجزم تصرفوا ، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ {الشورى : ٥٢} . وإن خُيروا ، اختاروا عدم التصريف وظهروا بالعبودية المحضة . وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ {القصص : ٥٦} ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ {البقرة : ٢٧٢} . ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ {الأحقاف : ٩} .

فإن أوحي إليه بالتصرف بجزم ، تصرف . وإن مُنِع ، امتنع . وإن خُيِّر ، اختار ترك التصرف .

وعندما خُيِّر رسول الله ﷺ ، بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو يكون نبياً عبداً ، أشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فاختار أن يكون نبياً عبداً .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ {الروم : ٥٤} . فالضعف أصل أصيل فيـه .

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ {الروم : ٥٤} . فالقوة فيه بالجعل .

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ {الروم :٥٤} . رجوع إلى الضعف الأول والشيبة هي الوقار والسكون ، فالطفل الصغير ، وإن كان ضعيفًا ، إلا أنه كثير الحركة . فالطفولة إلى البلوغ ضعف ، ثم من البلوغ إلى الأربعين قوة ، ثم يرجع إلى الكهولة والضعف مرة أخرى .

مخلوق من الضعف ابتداء ، ثم رُدَّ إليه انتهاء . فلا يجب بمن هذا حاله ، أن ينازع الربوبية ، ويتصرف في الكون .

ولما استحال في الكون ظهور حقيقة كونية ، إلا مستندة إلى حقيقة إلهيـة ،

ولما كان الإنسان خليفة الله في كونه ، وللخليفة ما للمستخلف ، وكان لله تعالى التجلي في الصور ، فإن للإنسان أيضًا التجلي في الصور ، وهو في الآخرة لكل من دخل الجنة حين يذهبون إلى سوق الصور ، ويستطيع الواحد منهم الدخول ، ولو في ألف صورة إذا شاء . وكانت حقيقة الإنسان تقبل التجلي في الصور ، وكانت لكل الناس في الجنة ، إلا أنها في الدنيا لكُمَّل الأولياء بخرق العادة .

أما رأيت أن الرجل ينام ، فيرى نفسه في صورتين ، أو أكثر ، لا يشك أنه في كل صورة ، وهو يدبرها جميعاً .

فالأبدال لهم التروحن ، والتحول في الصور . فالروح تستطيع تدبير آلاف الصور في آن واحد .

كما تقول في جسم زيد الواحد ، مع اختلاف أعضائه ، من رأس ورجل وصدر وعقل وعين وأنف وغيرها ، فأي شئ رأيت منه تقول شاهدت زيداً وتُصَدِّق . وروح واحدة تدبر كل هذه الأعضاء .

كذلك تلك الصور ، إذا وقعت في أماكن متباعدة ، ويدبرها روح واحد . والفارق أن الأول أجزاؤه متصلة ، وهذه لا اتصال بينها فيما يظهر ، ولكن باطن الأمر أنها متصلة جداً . وهذا مشاهد جداً إذا سافر للمرأة ولد

في بلاد بعيدة ، فإنها تحس بكل خطر يحيق به ، أو أي مصيبة تصيبه ، وكأن قطعة من روحها معه ، تحوطه بعنايتها .

وإذا سافر الإنسان ، سافرت معه أرواح محبيه حيث ذهب ، تقيل معه حيث قال ، وتبيت معه حيث بات .

والإنسان إذا تروحن ، وظهر للروحانيين في عالم الغيب ، يعرفون أنه جسم تروحن . والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد ، لا يعلمون أنه روح تجسد إلا إذا عرفوا ، إذ كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي ، ولا يشك الصحابة أنه دحية .

ومع أن همة الإنسان تخرق الأكوان ، إلا أن سوابق الهمم لا تخرق أسوار القضاء .

فكل همم العارفين لا تتعدى قضاء الله وتقديره ، إذ هي من قضائه تعالى .

نور الله

الذكر كله يستوي عند الله . فكله فاضل .

ولا تفاضل بينه عند الله تعالى .

إذ العبرة بالذاكر ، والمذكور .

والذاكر على الحقيقة ، هو الله . ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ {البقرة : ١٥٢} .

كما أنه هو المذكور .

فلا ذِكر .

إذ لا بين .

فرسول الله ﷺ يغار ، أن يكون واسطة بين الله وخلقه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ {البقرة : ١٨٦} .

وغار الله تعالى أن يعرفه أحد ، إلا إن دخل عليه من باب رسوله ﷺ ، حتى الأنبياء عليهم السلام .

فخبأ نوره ورضاه ، في رسول الله ﷺ .

يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه .

فلم يبق فيه ، ﷺ ، شيئا لنفسه .

بل كله لله تعالى .

من رآه ، فكأنما رأى الله تعالى .

إذ أنه ﷺ ، إلهيٌ كله .

روحا وجسما ، وخلقا وخُلقا .

فهو ﷺ مرآة الحق تعالى ، ومن نظر في المرآة ، فإنه لا يرى جرم المرآة ، ولكن يرى الصورة . فكل من نظر إلى رسول الله ﷺ ، فإنما ينظر إلى الله الذي في رسول الله ﷺ . ولا شك أن ظهور الله في روحه ، ﷺ ، أظهر وأعلى من ظهوره في أرواحنا ، وذلك لصفاء مرآة رسول الله ﷺ ، وبهائها . وفي حقيقة الأمر ، أن الله تعالى لا يظهر إلا في مرآته ﷺ ، أما غيره ﷺ :

فالأنبياء لا يرون الله ، إلا في مرآته ﷺ .

وكذا خاتم الأولياء ، لا يرى إلا في مرآته ﷺ .

وغيرهم من الأولياء ، فإن كانوا محمديين ، جامعين ، فلا يرون الله إلا في مرآة خاتم الأولياء ، وأما المحمديين غير الجامعين ، فلا يرون الله إلا من خلال مرآة نبي من الأنبياء .

فالولي المحمدي الجامع : هو من ورث رسول الله ﷺ ، في جمعيته لجميع مشارب الأنبياء ، ولم تفته إلا درجة النبوة ، مثل ابن عربي وعبد القادر الجيلاني ﷺ ، فهؤلاء يستمدون من رسول الله ﷺ ، بواسطة الختم المحمدي الجامع .

أما الولي المحمدي غير الجامع : فهو الذي ورث المصطفى ﷺ ، من جهة مشرب نبي من الأنبياء . فيقال إبراهيمي محمدى ، أو نوحي محمدي أو موسوي محمدي . وهؤلاء هم الأفراد ، وخاتمهم المهدي المنتظر ، وهو خاتم الولاية المطلقة .

﴿ راجع الختمية والكتمية كتاب الرحيق المختوم ﴾

الوتر

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ {المدثر : ٣١}

الجاذب واحد ، ولكنه يتراءى متعددا .

فالإنسان الجائع ، يقول : أريد حلوى ، أريد لحماً ، أريد فاكهةً ، أريد رطباً أريد أريد ، كل هذا التعدد يرجع إلى أصل واحد ، هو الجوع .

وعندما يأكل شيئاً واحداً ، ويشبع ، يقول : لا ضرورة لشيء من هذه الأشياء ، وهكذا يغدو معلوما أنها لم تكن عشرة أشياء ، ولكنها كانت شيئا واحداً . هذا التعدد للخلق فتنة ، ولا ينجو منها إلا من يرى الكل واحداً ، هو الله . لأن الله تعالى لا يراك إلا واحداً . حقيقة واحدة ثابتة .

فعندما يتسامى الإنسان عن كل هذه الأغراض ، والتعددات ، والغايات ، يتميز لك الواحد الأحد ، عن كل التعددات .

والعالم كله ، ليس سوى زبد لبحر عميق ، مليء بالجواهر . وماء البحر ، هو علوم الأولياء . أما جواهره ونفائسه ، فهي التوحيد الصرف .

فمؤسف أن يصل الإنسان إلى البحر ، ثم يقنع منه بالزبد ، أو بقليل الماء .

بدوران أمواج البحر ، يكتسب ذلك الزبد ، المليء بالتبن ، قدراً من الجمال ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ {آل عمران : ١٤} ، فهي ليست جميلة حقاً ، بل إن الجمال فيها مستعار .

نعمة عظيمة ، أن يرى الإنسان الأشياء كما هي عليه ، فيرى حقائقها ، لا زينتها .

فالمعصية ، بعد أن غلفت بالزينة ، أغرت خلقا كثيراً ، ولو رأوها بغير زينة ، لرأوا شيئاً فظيعاً مريعاً مظلماً .

الموت ، شيء هين ، مقارنة بارتكاب المعصية .

فيظهر الشيء جميلاً ، وهو في الحقيقة قبيح .

ويظهر قبيحاً ، وهو في الحقيقة جميل .

أَظْهِر لنا يا ربنا كل شيء على الحقيقة ، حتى لا نضل .

ورسول الله ﷺ ، قد أظهر الله له كل شيء على حقيقته .

فاتبعه تنجو وتسلم ، واترك رأيك مهما كان جميلاً ومضيئاً ، إلى رأيه ﷺ .

وكل ضروب المحبة ، التي يكنُّها الإنسان للأشياء : من أب ، وأم ، وابن ،

وسماء ، وأرض ، وحبيبة ، ونبات ، وحيوان ، إنما هي ضروبٌ من محبة الحق تعالى ، وتلك الأشياء جميعاً حجب ، فهو ما أحب إلا واحداً ، ولكن تعددت الحجب ، وعندما يموت وترتفع هذه الحجب ، يرى أنه أحب واحدا .

تأتي ريح عظيمة ، فتقلع الأشجار ، وتدمر البيوت ، وتفعل الأفاعيل في الدنيا ، من قتل وإماته وإحراق ، وفي الحقيقة أن السبب واحد ، وخلق الله تعالى هذه الحجب من أجل المصلحة ، لأن جمال الحق لو ظهر دون حجاب ، لما كانت لدينا القدرة على تحمله ، ولصعقنا قبل أن نستمتع به .

هذه الشمس البعيدة ، نمشي في ضيائها ، ونستدفيء بحرارتها ، وتُثَمِّر الأشجار ، ولها من المنافع ما لا يُعَد ، ولكن لا تستطيع النظر اليها بغير حجاب ، ولو اقتربت قليلا لاحترقت الأرض ومن عليها .

وعندما يتجلى ربنا على الجبل بحجاب ، يزدان بالأشجار والزهور والخضرة .

وعندما يتجلى له من دون حجاب ، يجعل عاليه سافله ، ويحيله إلى ذرات : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ {الأعراف : ١٤٣} .

في حضرة الحق ، لا مكان لاثنتين مِن (**أنا**) :

أنت تقول : أنا ، وهو يقول : أنا .

فإما أن تموت أمامه ، وإما أن يموت أمامك ، حتى لا تبقى الثنائية :

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ {الأنبياء : ٢٢} .

أما أن يموت هو سبحانه ، فأمر غير ممكن ، فهو الحى الذي لا يموت . إن للحق من اللطف والرحمة ، أنه لو كان ممكناً أن يموت من أجلك ، لمات .

فمت أنت ، حتى يتجلى عليك ، فتحيا بأنواره ، حياةً ما كنت تحلم بها .

القطرة من الماء ، قطرة .

فإذا ألقيت في البحر ، وامتزجت بمائه ، صارت تتكلم بلسان البحر كله .

عندما تربط طائرين حيين معا – برغم وجود التجانس بينهما ، وتحول جناحيهما إلى أربعة أجنحة – لا يطيران . لأن الثنائية قائمة . أما إذا ربطت طائراً ميتا ، بطائر حي ، فإن الطائر الحي يطير ، لأن الثنائية زالت .

عندما ينصب شخص الفخ ، ويوقع الطيور الصغيرة ليأكلها ويبيعها ، يسمى هذا مكراً .

أما إذا نصب ملك فخا ، لكي يمسك ببازٍ غير مدرب ، ولا قيمة له ، فيدربه على يده ، حتى يغدو مُعَلَّما ، مكرما ، مؤدبا ، فإن هذا لا يسمى مكرا . وبرغم أنه في الصورة الخارجية ، مكرٌ ، إلا أنه في الحقيقة عين الإكرام والعطاء والإنعام .

فحيث جعل الله تعالى المنِيَّ إنسانا ، وصب عليه دروب البلاء ، ليجعله له حبيباً ، فهذا غاية التكريم .

فلو علم الباز ، ما سيصير إليه أمره من هذا التكريم ، لما كان في حاجة إلى الحَبِّ ، ولبحث بروحه وقلبه عن الفخ ، ولطار إلى يد الملك !!

إن عالم العداوة ، ضيق ، نسبةً إلى عالم المحبة .

وعالم المحبة ضيق أيضا ، نسبةً إلى العالم الذي وجدت منه المحبة والعداوة .

إذ المحبة والعداوة ، والإيمان والكفر ، كلها موجبة للثنائية .

فالكفر إنكار ، ولابد للمنكر ، من شخص ينكره .

والمقر ، لابد من شخص يقر له .

فالتوحيد عكس الكفر ، وكلاهما ثنائية .

أما الوحدة : فهو **الوترية** . وهو عالم وراء الكفر والإيمان ، والمحبة والعداوة : ﴿ **إن الله تعالى وتر ، يحب الوتر** ﴾ [1] . وفي عالم الوحدة ، تصير المحبة هي عين العداوة ، والعداوة هي عين المحبة ، فكلاهما حجاب . والوترية عالم بلا حجاب .

وفيه يقول الحلاج : « أنا الله »

أي أنا فنيت ، وبقي الحق وحده .

أنا عدم ، ولا ثَمَّ إلا الله .

ومن الناس من ينكر هذا العالم .

مثل رجل قال : سمعت أن هناك كعبة ، ولكنى مهما نظرت فلا أرى الكعبة ، فلأصعد على السطح وأنظر إلى الكعبة ، وعندما علا السطح ، ومد عنقه ، ظل لا يرى الكعبة ، وهكذا أنكر وجود الكعبة . إن رؤيته الكعبة لا تحصل بمجرد فعل ذلك .

---

[1] ١- رواه مسلم وأحمد والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني وابن حبان والبزار عن أبي هريرة ﷺ وأخرجه أحمد وابن أبي شيبة عن سليمان بن سعد والطبراني في الكبير عن ابن عمر والحاكم والترمذي وحسنه وأحمد وأبو داود وابن ماجة عن علي كرم الله وجهه . وأبو يعلي وأبو داود وابن ماجة عن ابن مسعود ﷺ . وابن أبي شيبة عن أبي عبيدة . وعبد بن حميد مرسلا .

وكذا فناء النفس ، لا يحصل بمجرد الكلام والعلم ، ولكن له مجاهدة عظيمة وطريق طويل صعب . ولو أن إنساناً قوياً ، وعنده فرس سريع ، أراد الذهاب إلى بلدٍ ما ، فأخذ طريقا خاطئا في الوصول . فإن قوته وسرعة فرسه لن تزيده إلا بعداً عن غرضه . ولو أن إنسانا ضعيفا ، وبه عرج ، مشي في الطريق الصحيح ، فإنه سيصل ولو بعد حين .

أما الكلام ، فمجرد الكلام لا يوصل لشيء ، إذ أنه في النهاية كلام ، ولكنه يحث الناس ، ويشوقهم ليتخذوا الطريق الصحيح فحسب .

على سبيل المثال : جاء شخص لزيارتك ، فقلت له : أهلاً وسهلاً ، هما مجرد كلمتان ، ولكنهما سببا للمحبة والسرور .

وشخص آخر ، استقبلته بالسباب ، فكان ذلك سببا للبغض والعداوة .

وورد أيضا في الحديث القدسي : ﴿**أنا الله لا إله إلا أنا ، رضائي كلام ، وغضبي كلام ، ورحمتي كلام ، وعذابي كلام**﴾ (١) .

هذا الخبز الذي جعله الله سببا للحياة والقوة ، هو جماد . يعني ليس فيه حياة ، إذ لو فيه أية حياة ، لأحيا نفسه .

١- رواه أبو الشيخ .

أنت تدرك التوحيد بالعقل

أما الوحدة ، فليسجد العقل والقلب ، وبعد ذلك يكون ما يكون

فربك غير حاضر ، وغير غائب

لأنه خالق الحضور والغيبة

وعند العقل ، لا يجتمع الضدان

فليتوقف العقل ، ولا يتصرف

ها هنا لا يبقى للعقل تصرف أبعد

يأتي أحدهم إلى البحر ، فلا يرى سوى الماء المالح ، والتماسيح والأسماك . فيقول : أين هذا الجوهر الذي يتحدثون عنه ؟ ربما لا يكون هناك أي جوهر ؟ . وعجباً له ، كيف يطمع أن يحصل على الجوهر ، بمجرد رؤيته البحر . لابد من غواص . وليس كل غواص قادر على ذلك . بل لابد أن يكون غواصاً ماهراً محظوظاً .

وهذه العلوم والفنون ، مثل من يكيل ماء البحر بالطست .

أما طريق الظفر بالجوهر ، فضرب أخر !!

الوجد والمناجاة

يصير السالكون يقولون ، **الله الله** ، حتى إذا ما أشرقت في قلوبهم شمس الحقيقة ، صاروا في غنى عن قولها بألسنتهم ، وأصبح ذكر اللسان في حقهم لغواً ، حتى أنهم يجدون لهذه الكلمة حلاوة في أفواههم ، وقلوبهم ، تجعلهم في حالة وجد عظيم .

إذا بدأ المريد في الذكر ، فإنه يتحرك حركة منتظمة ، مستدعياً بهذه الحركة الإستغراق في الذكر ، وهذه الحلة تعرف بـ **التواجـد** .

فالتواجـد ، **هو استدعاء الوجـد** .

فإذا تملك الذكر منه ، كثرت حركته ، وصار يهتز ، ويرقص ، ويدور .

فهذا هو **الوجـد** .

فإذا ارتفع إلى سماء **الوجود** ، فإنه يسكن ولا يتحرك ، ويحتشم ولا يتبهرج .

وهذه هي حالة أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا من صفاء قلوبهم ، وغلبة أنوارهم ، لا يمرون لا بالتواجد ، ولا بالوجد ، ولكنهم في وجود دائم مع ربهم . فكانوا إذا جلسوا للذكر ، جلسوا وكأن على رؤوسهم الطير . أي من شدة سكونهم .

فالتواجد بداية ، والوجد وسط ، والوجود نهاية .

كمن رأى البحر ، ومن ركب البحر ، ومن غرق في البحر .

اللهم اجعلنا من الغارقين في بحار أنسك .

فإذا نادى الله عبده على رأس البعد ، حدث الوجد .

وإذا ناجاه ، حدث الوجود .

فالنداء كالأذان ، فإن الله ينادي عباده :

حي على الصلاة ، حي على الفلاح .

أما المناجاة ، فهي لمن هو على بساط القرب .

وقد جمعهما الله لنبيه موسى عليه السلام ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾ {مريم:٥٢} . وقد قص علينا القرآن ما قاله الله تعالى لموسى عليه السلام حال النداء وأخفى عنا ما ساره به حال النجوى .

فأهل الوجود والنجوى ، أهل سكون .

وأهل التواجد والوجد ، أهل حركة .

وأين الحركة ، من السكون ، ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ {الأنعام :١٣} .

السكون يشير إلى الدوام ، والحركة مآلها إلى الزوال .

إذا تحركت إليه ، حددته . وإذا سكنت معه ، عرفته .

والأمر من أوله ، إلى آخره ، مبني على السكون .

أهل الوجد ، والنداء ، يفضحهم وجدهم .

وأهل الوجود ، يكتمون أسرارهم .

فلا يتبناهم كون ، ولا يعرفهم أين .

يمرون على الأوقات ، ولا تمر عليهم الأوقات .

ويصير الواحد منهم حاكماً ، لا محكوماً . وعالماً ، لا معلوماً .

أهل المحبة

قوم أحبهم الله تعالى في قديم أزله ، حباً ، لا عن سبب .

فما أحبهم عن خير قدموه ، ولا عن عمل عملوه .

يتولاهم تعالى بلطفه ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الأعراف : ١٩٦} .

اصطنعهم الله تعالى لنفسه ، وفرغهم لحبه ، وأُنسه ، ومحا من قلوبهم جِنِّه وإنسِه ﴿ **مرحباً بعبدي الفارغ من كل شئ** ﴾ .

فالله تعالى أقرب إليهم من كل شئ تعرف به إليهم .

فمنهم من يرى الله ، ويحجبه الله تعالى برؤيته عنه .

أمدهم الله تعالى ، بعلم ، لا تتحمله العلوم .

ومعرفة ، لا تقوم لها المعارف والفهوم .

حتى صاروا لا يفتقرون إلى علم ، ولا إلى معرفة .

إذ كيف يفتقر إلى العلم ، من رأى معلمه .

وكيف يفتقر إلى المعرفة ، من رأى معرفه .

فلا يوقفهم علم ، ولا معرفة ، بين يديه .

فما اختارهم الله تعالى إلا لنفسه .

فإن فارق العلم ، وتخلت المعرفة ، لا يفارق الله أحبابه أبداً .

لا يكلمون إلا الله ، ولا يسمعون إلا من الله ، ولا يفكرون إلا في الله ، ولا يعلمون إلا عن الله ، ولا يؤمنون إلا بالله .

فيرون الله تعالى ، متجلياً في كل وجه ، ومطلوباً من كل آية ، ومنظوراً إليه بكل عين ، ومعبوداً في كل معبود ، ومحبوباً في عين كل محب .

أحبوا لله حباً ، يغنيهم عن الطعام والشراب ، وعن كل شهوة .

فهو أشهى عندهم من كل شهوة ، وألذ من كل لذة .

تجد عندهم كل شئ ، ولا تجدهم عند شئ .

تموت أجسادهم ، ولا تموت أرواحهم .

المحب يأكل النعيم ، ولا يأكله النعيم . ويشرب البلاء ، ولا يشربه البلاء .

اتسعت رؤيتهم ، فضاقت عبارتهم .

يناديهم ربهم : ﴿ **أنت كل عبد ، وليس كل عبد أنت** ﴾ .

تجلى الله عليهم بجلاله ، فردَّ صفاتهم إلى العدم .

فأشرقت فيهم صفات القدم .

ثم تجلى عليهم بجماله ، فكمل استخلاصهم .

فالجلال يصقل مرآة القلوب ، حتى تشرق فيها صفات الكمال .

ومرآة القلب ، لا جهة لها .

وتجل الجلال ، تجل يذهب الأكوان ، والأعيان ، والأذكار .

فليس بقريب ، من يشهد هذه الآثار ، إنما ، هو **مجاور** .

لا يعتمدون على الأسباب ، فهي في حقهم ، كعبادة الأوثان .

كلامهم إشارة ، حيث هي أفصح من العبارة .

علومهم ، لا تتحملها الدنيا ، ولا الآخرة .

الواحد منهم مع الله ، كظله معه .

فلا يعترض عليه في فعل ، ولا يتحرك إلا بتحريكه .

وظل كل شئ ، على شكله .

أهل المحبة ، أهل صدق .

فمن صدق في قوله ، فيما يجري على لسانه من حديث ؛ أداه ذلك إلى صدق في أفعاله ، حيث يجري الحديث في العقل .

فإذا صدق في أقواله ، وأفعاله ، منَّ الله عليه ، بصدق الأحوال .

فيصعد قلبه في معراجه ، إلى صدق المحبة في الروح .

ثم إلى صدق المشاهدة في السر .

ويظل يصعد في هذا المعراج ، أياماً ، وشهوراً ، وأعواماً .

يتقلب بين الوجد ، والفقد ، والخوف ، والرجاء ، والهيبة ، والأنس .

حتى يمن الله عليه ، ويرضى عنه .

فتظهر له اللوائح ، وهي كالبرق ، سرعان ما يذهب .

ثم اللوامع ، وهي أظهر ، وأطول .

ثم الطوالع ، وهي أبقى وقتاً ، وأقوى سلطاناً .

حتى تحل عليه بغتةُ الشهود ، ومفاجآت اللقاء ، فيخر قلبه ساجداً ، ويصير مراداً ، بعد أن كان مريداً .

وليس هذا لكل من سلك الطريق ، والتزم الرياضات .

بل الفضل الإلهي يختص به عباداً ، دون غيرهم .

فلابد من المرور بأزمة شديدة ، يمر بها الوالهون .

لأنه لقاء من نوع جديد ، فريد . لقاء خلق ، بحق .

حتى اللغة ، لم تحسب حساباً لهذا الموقف الشديد .

ولم تضع له مفردات وتراكيب .

فسر بلاء هذا المحب بين الورى ، أن بداخله طاقة جبارة ، من تصارع الصفات المضادة لبعضها البعض ، وتسارعها .

فصدره يغلي كالمرجل ، ومع ذلك يستكثر الناس عليه كلمة شاطحة .

فالفقهاء له بالمرصاد ، يحاسبونه على أدنى تقصير في الشريعة .

فهو دوماً في عين الحب ، والإطلاق ، والتشريف .

وهم يطالبونه بأن يكون دوماً أسيراً مقيداً بالتكليف .

فمن علامة حفظ الله لهذا العبد في حالة الجمع أن يرده إلى الفرق والصحو كي يؤدي الفرائض في مواقيتها ، فلا يكون منه تقصير في حق الشريعة .

فمن هذا حاله ، إن نطق أهلك ، وإن سكت هلك .

وإن يهلك غيره ، أخف من أن يهلك نفسه .

ألا ترى الذي يهلك نفسه ، يدخل النار لا محالة .

ومن يقتل غيره ، قد يقبل منه الدية ، وقد يعفو عنه أولياء القتيل ، وبعد ذلك ، هو في المشيئة .

فهذه الشطحات ، وإن كانت في ظاهرها مستشنعة ، ولكن باطنها سليم .

وهكذا يعيش هذا العبد ، بين من يعرفه ، ومن لا يعرفه .

وذلكم هو سر بلائه بين الورى .

وهذه هي مأساة الحب الكبير .

إذ كل حب كبير ، تقاس عظمته ، بمقدار الصراع ، والمأساة فيه .

فالمحب هو كائن بائن ، كائن يخالط البشر ، يؤاكلهم ويشاربهم

ولكنه في واقع الأمر بائن عنهم بعلاقة خاصة بالله ، وهي علاقة الحب .

بداية ، يتجلى الله عليه بالهيبة

فيدخل في سكون تام . لا حركة ، ولا نطق ، ولا إرادة .

العبد هنا في درجة الصفر . حيث لم يعد هناك إلا واحد .

فنيت إرادته في إرادة مولاه .

ثم يتجلى عليه بالجمال ، فيبعثه الله من جديد .

وتبدأ حركته بالله ، ولله ، وفي الله ، وعن الله ، وإلى الله .

ويجد أن القيام بأعباء التكليف ، هي غاية اللذة ، والتشريف .

حيث العبادة لها طعم آخر . فالعبادة بالإرادة ، ليست كالعبادة بالعادة .

واعلم أن لكل قطيع شياهه السوداء .

فالأدعياء ، سيلفظهم الطريق ، والأيام كفيلة بذلك .

فصعوبة المحبة ، ومشقة التلوينات ، ستسقط أقنعة هؤلاء المنافقين .

وهم الذين أظهروا من أنفسهم ، بما لم يتحققوا به في بواطنهم .

فمنافق الطريق ، هو من خلط قصده ، بحظه . وشاب إرادته ، بهواه .

أما **المحب** فظاهره ، كباطنه . كما قال الجنيد رحمه الله : ﴿ **لون الماء ، لون إنائه** ﴾ ، يعني إذا خلص القلب ، وصدق ، فإن هذا الصدق يبدو على العبد ، من حركات ، وما ينطق به من كلمات .

فأهل المحبة ، هم القليل . حيث شكا الله تعالى ، أكثرهم ، لأقلهم ، حيث قال : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ {الأعراف : ١٠٢} .

فأهل المحبة أقل عدداً ، ولكنهم أكثر خطراً ، وأشد تأثيراً .

المحب هو ابن وقته ، لا يفكر في الطريق ، ولا في العواقب .

بل يشتغلون بمراعاة الوقت ، فهم لا ماضي لهم ، ولا مستقبل .

فالأيام ثلاثة :

يوم مفقود ، وهو الأمس ، ليس بيدك منه شئ .

ويوم مقصود ، وهو غد ، ولا تدري أتدركه ، أم لا .

ويوم مشهود ، وهو اليوم ، وهو يوم المحبين .

خرجوا عن رق المكان والزمان .

فهم لا يتبناهم كون ، فلا يحيط بهم مكان ، ولا يحصرهم زمان .

فهم يمرون على الأوقات ، ولا تمر عليهم الأوقات .

فيكون حاكماً ، لا محكوماً . عالماً ، لا معلوماً .

خرجوا عن رق الأوقات ، فكلمهم الله ، من غير ميقات .

وهم أهل مخاطرة ، ألم تر إلى الشهيد ، كيف يخاطر بروحه ونفسه ، في سبيل الله .

أما غيرهم ، فقد قال الله تعالى لهم : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ {البقرة : ١٩٥} .

وقال لهم : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ {النساء : ٢٩} .

المحب دائماً متضرع لمولاه متمسكن في هواه . ألم تر إلى أيوب عليه السلام حين قال : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ {الأنبياء : ٨٣} . أجابه تعالى فقال : ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ {الأنبياء : ٨٤} . والفاء تقتضي التعقيب ، أي فعافيناه في الوقت ، بمعنى ، يا أيوب : لو طلبت العافية قبل هذا ، لاستجبنا لك .

أهل المحبة يختصهم الله تعالى ، ويختارهم على نحو مخصوص منذ الأزل .

فالجهد الإنساني إذا لم يكن مصحوباً بالفضل الإلهي ، لا يتأتى منه شئ ، مهما تكررت المحاولات ، ومهما طال الزمان . فكثير يتحمسون ، ثم يخمدون ، وينصرفون . وخصوصاً في أخطر مرحلة ، وهي مرحلة أهل البدايات ، حيث الإنتقال من العادة ، إلى العبادة .

أهل المحبة دائماً أهل محو ، وإثبات .

والمحو ، هو رفع أوصاف العادة .

والإثبات ، إقـامة أحكام العبادة .

فهم دوماً ينفون عن أنفسهم أحوال الخصال الذميمة ، ويبدلونها بالأفعال والأحوال الحميدة ، وهذه هي رحلتهم ، من النكرة إلى المعرفة ، ومن الفرق إلى الجمع ، ومن الموت إلى الحياة .

فتح الله عليهم في العلم إلهاماً ، وفي المعرفة إكراماً .

وفي الذكر اصطناعاً لنفسه ، وفي الفتح اصطفاءً .

أهل الحب دائماً يغنيهم التلميح ، عن التصريح .

وهي سنة الأحباب في ستر المحاب .

ومكانهم في الحروف النورانية ، التي في بدايات السور .

حيث سر الحبيب ، الذي لا يطلع عليه رقيب .

الحب دائماً عذابه عذب ، وشقاؤه شيق .

ففيه يتقلب قلب المحب دوماً بين أصبعين من أصابع الرحمن .

فيمتحنهم بالسراء والضراء ، والخوف والرجاء ، والأنس والهيبة ، والوجد والفقد ، والوصل والفصل ، والبقاء والفناء ، حتى يتم له التجريد

والاستخلاص من كل ما هو سوى ، ويذوب في نهاية الأمر في إرادة مولاه ويصير صفراً .

والمحب حين يتفكر في مرارة البين ، يمنعه ذلك من التمتع بحلاوة الوصل . وما أن تقر عينه بالقرب ، حتى تسخن بالبعد . فما أن تهب نسائم الوصال حتى تهجم هواجم الفراق ، ونذائر البعاد . كما قال القائل :

وما في الدهر أشقى من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقاً فكم أحيا عليك وكم أموت

والمحب ينزه بساط المحبة عن طلب الحوائج .

فإن قيل له سل ، قال وماذا أسأل وقد أعطيت ، وماذا أبتغي وقد كفيت .

فما دام مع محبوبه ، فقد حالفه الوقت ، فلا ينقصه شئ .

والوقت له وقت ، ومن ناكده الوقت ، فالوقت عليه مقت .

المحب غذاؤه في رؤية محبوبه . فهو له الطعام والشراب .

فالعيش مع الله هو القوت ، الذي من أكله ، لا يجوع أبدا .

علومهم من عالم الأمر .

عالم الخلق ، ما وجد عند الأسباب .

وعالم الأمر ، مالم يخلق عند سبب .

هم أهل حقيقة في الباطن ، وأهل شريعة في الظاهر .

وإن كانوا نكرة عند الخلق ، فهم معرفة عند الحق .

سترهم الله تعالى عن أعين الخلق في الدنيا ، والآخرة .

فهم في قباب النور ، خلف حجاب الأنس ، لا يعرفون ، ولا يُعرفون .

الله أقرب إليهم من كل شئ ، قرب يُذهب الأكوان ، والأعيان ، والأذكار والزمان ، والمكان . إذ ليس بقريب من يشهد هذه الآثار ، إنما هو مجاور .

لا يكدرهم شئ ، ويصفو بهم كل شئ .

قد يجمع الطريق اثنين من أهل السلوك ، ولكن بالمقاصد تتفاوت المقادير .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

الحب الوهبي والكسبي

الحب ثلاثة :

حب الدنيا : وصاحبه لا يتكلم إلا عن الدنيا .

وحب الآخرة : وصاحبه لا يتكلم إلا عن الآخرة .

وحب الله : وصاحبه لا يتكلم إلا عن الله .

فالأول **دنياوي** ، والثاني **آخراوي** ، والثالث **إلهي** .

الحب الإلهي منه ما هو **كسبي** ، ومنه ما هو **وهبي** .

الحب الكسبي من عالم الخلق

وعالم الخلق هو عالم تبرز منه الأشياء عن أسبابها .

فالحب الإلهي الكسبي ، يكون إما عن ملاحظة الجمال

وكل جميل في نفسه محبوب .

إما جمال في الخَلْق .

وإما جمال في الصفات والخلق .

وإما عن رؤية الإحسان . فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .

ولما كان كل جمال في الكون ، هو نقطة من بحر الجمال الإلهي ﴿**إن الله جميل يحب الجمال**﴾ (١) .

ولما كان الله هو المحسن إلى كل خلقه تمام الإحسان .

فهو تعالى المستحق لهذا الحب الكسبي ، من العبد .

ولكن آفة الحب الذي عن سبب ، أنه قد يذهب عند تبدل هذا السبب .

فهو غير مستقر .

ثم أنه تعالى يقلب قلوب أهل هذا الحب الكسبي بين أصبعيه ، قبضاً وبسطاً خوفاً ورجاء ، هيبة وأنساً ، وجداً وفقداً ، وصلاً وفصلاً ، فناء وبقاء ، حتى يتم لهذا القلب التجريد والاستخلاص .

فحينئذ يكون قد تهيأ للحب الأكبر ، وهو **الحب الوهبي** .

والحب الوهبي هو حب من عالم الأمر .

يعني أنه يبرز عن غير سبب .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

وهذا الحب لا يذهب أبداً ، بل ولو حاول صاحبه أن يغفل عن الله لحظة ، لما استطاع .

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي

فيتغلغل هذا الحب في كل خلاياه ، حتى أن جسده بعد انتقاله لا يموت ، ويظل يحيى بهذا الحب أبدا ، فلا تأكله الأرض .

أهل الحب الوهبي ، سالكون من الله ، وإلى الله ، وفي الله .

أما أهل الحب الكسبي ، فسالكون من نفوسهم ، وإلى نفوسهم ، وفي نفوسهم .

أهل الحب الوهبي أحرار ، عن الدنيا ، والآخرة .

دخلوا الدنيا وهم عنها أحرار ، فارتحلوا إلى الآخرة وهم عنها أحرار .

قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ {الأنعام : ١٢٢} .

فأهل الدنيا ، أموات ، بالنسبة لأهل الآخرة .

وأهل الآخرة ، أموات ، بالنسبة لأهل الله .

وأهل الحب الكسبي ، أموات ، بالنسبة لأهل الحب الوهبي .

فأصحاب الحب الوهبي ، هم الأحياء على الحقيقة ، لا يموتون أبدا

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ {الأنعام : ١٢٢} .

أي أنوارهم تحملهم فلا يمشون بأنفسهم .

بل أنوارهم تسبقهم وتمشي بهم .

ولم يقل تعالى (مع الناس) ، وكأن أنوارهم تخترق قلوب من حولهم ، فإن (**في**) تفيد الظرفية .

فأهل الحب ، هم أهل الله

الذين يصفو بهم كل شئ

ولا يكدرهم شئ

شرح الديوان

التائية الكبرى

نظم السلوك

التائية الكبرى

نظم السلوك

١- سقتني حميَّا الحبِّ راحة مقلتي
وكأسي محيَّا منْ عنِ الحسنِ جلَّتِ

٢- وما هوَ إلَّا أنْ ظهرتِ لناظري
بأكملِ أوصافٍ على الحسنِ أربتِ

٣- فحلَّيتِ لي البلوى فخلَّيتِ بينها
وبيني فكانتْ منكِ أجمل حليةِ

٤- فلوْ كُوشِفَ العوَّادُ بي وتحقَّقوا
منَ اللوحِ ما مني الصَّبابةُ أبقتِ

٥- لما شاهدتْ منِّي بصائرهمْ سوى
تَخلُّل رُوحٍ بينَ أثْوابِ مَيِّتِ

٦- فطوفانُ نوحٍ عندَ نَوْحي كأدمعي
وإيقادُ نيرانِ الخليلِ كلوعتي
٧- فلولا زفيري أغرقتني أدمعي
ولولا دموعي أحرقتني زفرتي
٨- وحزني ، ما يعقوبُ بثَّ أقلَّهُ
وكُلُّ بَلَا أيوبَ بعْضُ بَلِيّتي
٩- وآخرُ مالاقى الألى عشقوا إلي الـ
ـرَّدى بعْضُ ما لاقيتُ أوّلَ محْنَتي
١٠- ويحسن إظهارُ التَّجلُّد للعِدى
ويقبح غيرُ العجز عند الأحبةِ
١١- ونفسٍ ترى في الحبِّ أنْ لا ترى عناً
متى مَا تَصَدَّت للصَّبابة صُدَّتِ
١٢- ومَا ظَفِرَتْ بالوُدِّ روُحٌ مُراحَةٌ
ولا بالولا نفسٌ صفا العيشِ ودَّتِ
١٣- وأينَ الصّفا ؟ هيْهات من عَيشِ عاشقٍ
وجنَّةُ عدنٍ بالمكارهِ حُفَّتِ

١٤- ولي نفسُ حرٍّ لو بَذَلْتِ لها على
تَسَلّيكِ ما فوْقَ المُنى ما تسلّتِ
١٥- ولو أُبْعِدَتْ بالصّدِّ والهجْرِ والقِلى
وقَطْعِ الرّجا عن خُلّتي ما تَخَلَتِ
١٦- وعن مذهَبي في الحُبّ ماليَ مذهبٌ
وإن مِلْتُ يوماً عنهُ فارَقتُ مِلّتي
١٧- وإنْ خطرتْ لي في سواكِ إرادةٌ
على خاطري سهواً قضيتُ بردَّتي
١٨- لكِ الحكمُ في أمري فما شئتِ فاصنعي
فلمْ تكُ إلّا فيكِ، لا عنكِ، رغبتي
١٩- لأنتِ مُنى قلبي وغايَةُ بُغْيَتي
وأقصى مُرادي واختياري وخِيرَتي
٢٠- وإنْ فتنَ النِّساكَ بعضُ محاسنٍ
لديكِ فكُلٌّ منكِ موْضِعُ فِتنَتي
٢١- فقالتْ: هوى غيري قصدتَ ودونهُ اقْ
ـتَصَدتَ عَمِيّاً عن سواء مَحجّتي

٢٢- وفي أنفَسِ الأوطارِ أمْسَيْتَ طامعاً
بنفسٍ تعدَّت طَورَهَا فتعدّتِ
٢٣- فقمتَ مقاماً حُطَّ قدرُكَ دونَهُ
على قدمٍ عن حظِّها ما تخطَّتِ
٢٤- ورُمتَ مراماً دونَهُ كم تطاوَلت
بِأعناقِها قومٌ إليهِ فجذَّتِ
٢٥- أتيتَ بيوتاً لم تُنَلْ من ظهورهَا
وأبْوابُهَا عَن قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتِ
٢٦- وبينَ يَدَي نَجْواكَ قَدَّمت زُخْرفاً
تَرومُ بهِ عِزّاً مَرامِيهِ عَزَّتِ
٢٧- وجِئْتَ بِوَجْهٍ أبيضٍ غيرَ مُسْقِطٍ
لِجَاهِكَ في دَارَيْكَ خَاطِبَ صَفْوَتي
٢٨- ولوْ كُنْتَ بي من نُقْطَةِ البَاءِ خَفضَةً
رُفِعْتَ إلى مالَمْ تَنَلْهُ بِحيلَةِ
٢٩- بحيثُ تَرَى أنْ لا تَرَى ما عَدَدْتَهُ
وأنَّ الذي أعْدَدْتَهُ غيرُ عُدَّتي

٣٠- ونَهْجُ سَبيلي واضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى
ولكنَّها الأَهْواءُ عَمَّتْ فأَعْمَتِ
٣١- حَليفُ غَرامٍ أنتَ لكنْ بِنَفْسِهِ
وإبقاكَ وصْفاً منكَ بعضُ أدِلَّتِي
٣٢- فَلَمْ تَهْوَني مالمْ تكُنْ فِيَّ فانِياً
ولمْ تَفْنَ ما لا تُجْتَلَى فيكَ صُورَتي
٣٣- هوَ الحُبُّ إنْ لَمْ تَقْضِ لم تَقْضِ مأرباً
مِنَ الحِبِّ فاخْتَرْ ذاكَ أو خَلِّ خُلَّتِي
٣٤- فقلتُ لها: رُوحي لديكِ وقَبْضُها
إليكِ ومَالِىَ أنْ تكونَ بِقَبْضَتي
٣٥- وإنِّي إلى التَّهديدِ بالمَوتِ رَاكِنٌ
وَمِنْ هَوْلِهِ أركانُ غَيْرِي هُدَّتِ
٣٦- ولمْ تُعسِفِي بالقَتْلِ نفسي بل لَها
بهِ تُسعِفِي إنْ أنتِ أتْلَفتِ مُهجَتِي
٣٧- فإنْ صحَّ هذا الفالُ منكِ رَفَعْتِنِي
وأعْلَيتِ مِقداري وأغليتِ قِيمَتي

٣٨- وها أنا مُستدعٍ قضاكِ وما بهِ
رضاكِ ولا أختارُ تأخيرَ مُدَّتي
٣٩- وعِيدُكِ لي وَعْدٌ وإنجازُهُ مُنى
وليٍّ بغيرِ البُعدِ إن يُرمَ يَثْبُتِ
٤٠- فقد صِرتُ أرجو ما يُخافُ فَأسعِدِي
به روح ميتٍ للحياةِ استَعَدَّتِ
٤١- بِكُلّ قَبِيلٍ كم قَتِيلٍ قَضَى بها
أَسىً لم يَفُز يوماً إليها بنظرةِ
٤٢- وكمْ في الورى مثلي أماتتْ صبابةً
ولوْ نَظَرَتْ عَطْفاً إليهِ لأحْيَتِ
٤٣- إذا ما أحَلّتْ في هواها دَمِي ففي
ذُرى العِزّ والعَلياءِ قَدْرِي أحَلّتِ
٤٤- فنَفْسيَ كانت قبلُ لَوّامَةً متى
أُطِعْها عصَتْ أوْ تُعْصَ كانت مُطيعَتي
٤٥- فأوردتُها ما الموتُ أيسرُ بَعْضِهِ
وأتْعَبْتُها كيما تَكون مُريحتي

٤٦- فعادتْ ومهما حُمّلَتْهُ تحَمَلَتْـ
ـهُ مِنّي، وإنْ خَفَّفْتُ عنها تأذَّتِ
٤٧- وأذهبتُ في تهذِيبِها كُلَّ لذَّةٍ
بإبعادِها عن عادِها فاطمأنَّتِ
٤٨- ولمْ يَبْقَ هَوْلٌ دونهَا ما ركبْتُهُ
وأشهَدُ نفسِي فِيه غيرَ زَكيَّةِ
٤٩- وكلُّ مقامٍ عن سُلوكٍ قطعتُهُ
عُبوديَّةً حقَّقْتُها، بعُبودةِ
٥٠- وكُنْتُ بِها صَبّاً، فلمّا تركْتُ ما
أُريدُ، أرادَتْني لها وأحبَّتِ
٥١- فَصِرْتُ حبيباً، بل مُحبّاً لِنفْسِهِ
وليسَ كقَولِ مَرَّ: نفسي حَبِيبتي
٥٢- خَرَجْتُ بها عنّي إليها، فَلَمْ أعُدْ
إليَّ ومِثلي لا يقولُ برجعةٍ
٥٣- فجاهِدْ تُشاهدْ فيكَ مِنْكَ وراءَ ما
وصّفْتُ سُكوناً عن وُجودِ سَكينةِ

٥٤- فَنِلْتُ هَواهَا لا بِسمعٍ وناظرٍ
ولا باكتسابٍ واجتلابِ جِبِلَّةِ
٥٥- وَهِمْتُ بها في عالمِ الأمرِ حيثُ لا
ظُهورٌ وكانت نَشوتي قبل نشأتي
٥٦- فأفنى الهوى ما لم يكُنْ ثَمّ باقياً
هُنا من صِفاتٍ بينَنا فاضْمَحَلَّتِ
٥٧- فَألفَيْتُ ما ألقَيتُ عنّيَ صادراً
إليَّ، ومنِّي، وارداً بِمَزيدَةِ
٥٨- وشاهدتُ نفسي بالصِّفاتِ الّتي بها
تَحَجَّبتُ عنِّي في شُهودي وحُجبَتي
٥٩- وإنِّي التي أحبَبْتُها، لا مَحالةً
وكانت لها نَفْسي عليَّ مُحِيلَتي
٦٠- أَمَمْتُ إمامِي في الحقيقة فالورى
وَرَائِي، وكانتْ حَيْثُ وجَّهتُ وجهتي
٦١- يراها أمامي في صَلاتي ناظري
ويَشْهَدُني قَلبي إمام أئمَّتي

٦٢- ولا غَرْوَ أن صلَّى الإمامُ إليَّ أنْ
ثوَتْ بفُؤادي وَهي قِبلةُ قِبلَتي

٦٣- وكلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوي تَوجَّهت
بما ثَمَّ مِن نُسكٍ وحَجٍّ وعُمرةِ

٦٤- وعنديَ عيدي كُلَّ يومٍ أرى بهِ
جَمالَ مُحَيّاها، بعَينٍ قريرةِ

٦٥- وكلُّ اللَّيالي ليلةُ القدرِ إنْ دنَتْ
كما كُلُّ أيَّامِ اللِّقا يومُ جُمعةِ

٦٦- وسعيي لها حجٌّ بهِ كُلُّ وَقفةٍ
على بابها قدْ عادلَتْ كُلَّ وَقفةِ

٦٧- وأي بلادِ اللّهِ حَلّتْ بها، فما،
أراها، وفي عيني حَلَتْ، غيرَ مكّةِ

٦٨- وأيُّ مكانٍ ضمّها حرمٌ كذا
أرى كلّ دارٍ أوْطَنَت دارَ هِجْرَةِ

٦٩- وما سكَنَتْهُ فَهوَ بَيتٌ مُقَدَّسٌ،
بقرَّةِ عيني فيهِ أحشايَ قرَّتِ

٧٠- لَها صَلواتي بالمقامِ أُقِيمُها
وأشهَدُ فيها أنّها ليَ صَلّتِ
٧١- فمِن بَعدِ ما جاهدتُ شاهدتُ مَشْهَدي
وهادِيَّ لي إيَّايَ بلْ بِيَ قُدْوَتي
٧٢- فكُلُّ مَليحٍ حُسنهُ مِنْ جمالها
مُعارٌ لهُ، أو حُسنُ كُلِّ مَليحةِ
٧٣- بها قيسُ لُبنى هامَ بلْ كلُّ عاشقٍ
كمجنون لَيْلَى أو كُثيِّرِ عَزَّةِ
٧٤- فكُلٌّ صَبا منهُمْ إلى وَصْفِ لَبْسِهَا
بصورةِ مَعْنىً لاحَ في حُسنِ صورةِ
٧٥- وما ذاكَ إلاّ أنْ بدَتْ بِمظاهِرٍ،
فظنُّوا سِواهَا وهيَ فيهم تجلَّتِ
٧٦- ففي النّشأةِ الأولى تَراءَتْ لآدَمٍ
بمظهرِ حوا قبلِ حُكمِ الأمومةِ
٧٧- فهامَ بها، كَيما يكونَ بها أباً،
ويَظْهَرَ بالزّوجينِ سر البُنُوّةِ

٧٨- وما برحَتْ تبدو وتخفَى لِعلَّةٍ
على حسبِ الأوقاتِ في كلِّ حقبةِ
٧٩- وتَظْهَرُ لِلْعُشّاقِ في كُلِّ مظْهَرٍ،
مِنَ اللّبسِ، في أشْكال حُسْنٍ بدِيعَةِ
٨٠- ولسنَ سِوَاها، لا ولا كُنَّ غيرهَا
وما إنْ لها، في حُسْنِها مِنْ شَريكَةِ
٨١- فلوْ منحتْ كلّ الوَرى بعضَ حُسنها،
خَلا يوسُفٍ، ما فاتَهُمْ بِمَزِيّةِ
٨٢- صرَفتُ لها كُلّي، على يدِ حُسنِها،
فضاعفَ لي إحسانُها كلَّ وصلَةِ
٨٣- يُشاهِدُ منّي حُسنَها كُلُّ ذرّة،
بها كلُّ طرفٍ جالَ في كلِّ طرفةِ
٨٤- ويثني عليها فيَّ كلُّ لطيفةٍ
بكُلّ لِسانٍ، طالَ في كُلّ لَفظَةِ
٨٥- وأنشَقُ رَيّاها بِكُلّ رَقيقَةٍ،
بها كلُّ أنفٍ ناشقٍ كلَّ هَبَّةِ

٨٦- ويسمعُ مني لَفْظَها كلُّ بِضعَةٍ
بها كلُّ سمعٍ سامعٍ متنصِّتِ
٨٧- ويَلْثُمُ منّي كُلُّ جُزْءٍ لِثامَها
بكلِّ فمٍ في لَثْمِهِ كلُّ قُبْلَةِ
٨٨- فلو بَسَطَتْ جِسْمي رأتْ كلَّ جَوْهَرٍ
به كلُّ قَلْبٍ فيه كلُّ مَحَبَّةٍ
٨٩- فتى الحبّ، ها قد بِنتُ عنهُ بحُكمِ مَن
يراهُ حِجاباً فالهوَى دونَ رُتبتي
٩٠- وجاوزتُ حدَّ العشقِ فالحبُّ كالقِلى
وعن شأوِ معراجِ اتّحاديَ رحلتي
٩١- فطِبْ بالهَوَى نَفساً، فقد سُدْتَ أنفُسَ الـ
ـعِبادِ مِنَ العُبّادِ، في كُلّ أُمّةِ
٩٢- فلا فَلكٌ إلاّ، ومن نورِ باطِني،
بهِ مَلكٌ يُهدي الهدى بِمشيئتي
٩٣- وروحي للأرواح روح، وكل ما
ترى حَسَناً في الكونِ من فيضِ طينتي

٩٤- فما عالِمٌ إلاّ بفَضلِيَ عالِمٌ
ولا ناطِقٌ في الكَونِ إلاّ بمِدْحَتي
٩٥- وأنظُرُ في مَرآةِ حُسْنِي كي أرى
جَمالَ وُجودي، في شُهوديَ طَلْعَتي
٩٦- فإنْ فُهتُ باسمي أُصغِ نحوي تشوُّقاً
إلى مُسْمِعي ذِكري بِنُطقي، وأُنصِتِ
٩٧- فكُلِّي لِسانٌ ناظرٌ، مِسْمَعٌ، يَدٌ
لِنُطْقٍ، وإدراكٍ، وسَمعٍ، وبَطْشَةِ
٩٨- فَعَيْنيَ ناجَتْ، واللّسانُ مُشاهِدٌ،
ويَنطقُ منِّي السَّمعُ، واليَدُ أصْغتِ
٩٩- وسَمْعِيَ عَينٌ تجتَلي كُلَّ ما بَدَا،
وعَيْنِيَ سَمعٌ، إنْ شدا القومُ تُنصِتِ
١٠٠- كذاكَ يَدِي عَينٌ تَرَى كلَّ ما بَدا،
وعَيني يَدٌ مَبسوطَةٌ عِندَ سَطْوَتي
١٠١- وسَمعي لِسانٌ في مُخاطَبَتي كذا
لِسانيَ، في إصغائِه، سَمْعُ مُنصِتِ

١٠٢- فأتْلُو عُلومَ العالِمينَ بِلَفْظَةٍ،
وأجْلُو عَلىَّ العالَمِينَ بِلَحْظَةِ
١٠٣- وأسْمَعُ أصواتَ الدُّعاةِ وسائرَ ال
لُّغاتِ بوَقتٍ، دونَ مِقدارِ لَمْحةِ
١٠٤- وأُحْضِرُ ما قدْ عَزَّ للبُعدِ حَمْلُهُ،
ولمْ يَرْتدِدْ طَرْفي إليَّ بِغَمْضَةِ
١٠٥- وأنشَقُ أرواحَ الجِنانِ، وعَرْفَ ما
يُصافِحُ أذْيالَ الرِّياحِ بنَسْمَةِ
١٠٦- وأسْتَعْرِضُ الآفاقَ نَحْوِي بِخَطْرَةٍ،
وأخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِخَطْوَةِ
١٠٧- فَمَنْ قالَ أوْ مَنْ طالَ، أو صالَ إنَّما
يَمُتُّ بإمْدَادِي لهُ برقَيقَةِ
١٠٨- وما سَارَ فَوْقَ الماءِ أوْ طَارَ في الهَوَا
أو اقْتَحَمَ النِّيرانَ، إلاَّ بِهِمَّتِي
١٠٩- وفي سَاعةٍ، أوْ دُوْنَ ذلكَ، مَنْ تَلا
بِمَجْمُوعِهِ جَمْعِي، تَلا ألْفَ خَتْمَةِ

١١٠- ومِنِّي، لوْ قامَتْ، بِمَيْتٍ، لَطِيفَةٌ
لَرُدَّتْ إليهِ نَفْسُهُ، وأعِيدَتِ
١١١- هِيَ النَّفسُ، إنْ أَلْقَتْ هَواهَا تَضاعَفَتْ
قُواهَا، وأعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةِ
١١٢- فحَيَّ على جَمْعي القديمِ، الَّذي بهِ
وَجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطفالَ صِبيَةِ
١١٣- ومِنْ فضلِ ما أسأرْتُ شربُ مُعاصري
ومَنْ كانَ قبلي، فالفضائلُ فَضْلَتي
١١٤- وفي البرِّ تسرِي العيسُ تخْتَرِقُ الفلا
وفي البحرِ تَجري الفُلكُ في وسطِ لُجّةِ
١١٥- ويَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضَاري دوابهِ
وتَظْفَرُ آسَادُ الشَّرى بالفَريسةِ
١١٦- ويصطادُ بعضُ الطَّيرِ بعضاً منَ الفضا
ويَقنِصُ بعضُ الوَحشِ بَعضاً بِقَفْرَةِ
١١٧- وَكلُّ الَّذي شاهدْتُهُ فِعلُ واحِدٍ
بمفرَدِهِ، لكنْ بِحُجْبِ الأكِنَّةِ

١١٨- إذا ما أزال السِّترَ لمْ ترَ غيرَهُ
ولمْ يَبقَ، بالأشكالِ، إشكالُ ريبةِ

التائية الكبرى

﴿ نظم السلوك ﴾

بدأ شرف الدين الإمام عمر بن الفارض ﷺ قصيدته المعجزة المسماه بـ ﴿ تائية السلوك ﴾ ، فقال :

سقتني حميَّا الحب راحةُ مقلتي

وكأسي محيَّا منْ عنِ الحسن جلَّتِ

الحميّا : هي الخمر ، **والراحة** : يعني كف يده ، **والمقلة** : باطن العين ، **والكأس** : هو الإناء بما فيه من الشراب ، **والمحيا** : هو الوجه .

عندما نظر المحبوب إلى محبوبته ، فرأى من جمالها ما رأى ، وكأن عينه يد شرب بها خمراً ، فأسكرته عن كل ما سوى معشوقته ، وهذه هي خمر المحبة الإلهية ، وما كانت هذه الكأس سوى نظرة واحدة إلى وجه محبوبته ، يعني به التجلي الذاتي ، الذي جل عن الحسن نفسه ؛ فالله تعالى أحسن من حسنه ، وأجمل من جماله ، وألطف من لطفه ، وأكرم من كرمه .

ومـا هـوَ إلاَّ أنْ ظهـرتِ لناظـري
بأكمـلِ أوصـافٍ على الحسـنِ أربـتِ

فحـلَّيتِ لي البلـوى فخلَّـيتِ بينها
وبيـني فكـانتْ منـكِ أجمـل حـلية

فمن أول نظرة إليك ، سبا في جمالك المطلق ، الظاهر بأوصاف جلت عن الحسن نفسه ، وتسامت عن الجمال وقدسه ، فدعاني حسنك الكامل إلى حبك ، فلبيته ، حتى تمكن من نفسي ، حتى رأيت أن كل بلية ابتليتني بها أزالت عني حجاباً حائلاً عنك ، وخلى البلاء في نفسي ، حتى صارت هذه البلايا أجمل حلية لنفسي وذاتي ، لكونها سبباً للقرب من الجمال الحقيقي ، والوصال الأصلي ، قال ﷺ : ﴿ **إذا أحب الله قوماً ابتلاهم** ﴾ (١) .

١- رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي .

فلو كُوشِفَ العوَّادُ بي وتحقَّقوا
منَ اللوحِ ما مني الصَّبابةُ أبقتِ
لما شاهدتْ مني بصائرهمْ سوى
تَخلُّل رُحٍ بينَ أثوابِ مَيِّتِ

حين اضمحلت كل قواي الظاهرة والباطنة ، وصرت ولا حول ولا قوة بي . فلا عقل ولا وهم ، ولا فهم ولا سوى الروح وأوصافها ، حتى أن صحبي الذين جاءوا لعيادتي لم يتمكنوا من رؤيتي بأبصارهم ، لفناء ما يدرك مني بالبصر ، فتوجهوا ببواطنهم وبصائرهم إلى الله تعالى ، ليكشف لهم عن حقيقة ما أبقت الصبابة بي ، فكوشفوا من اللوح المحفوظ عن حقيقة روح قد اضمحل بدنه ، وتلاشت صورته ، لفرط النحول ، وغاية الذبول .

فطوفانُ نوحٍ ، عندَ نَوْحي ، كأدْمُعي
وإيقادُ نيرانِ الخليلِ كلوعتي
فلولا زفيري أغرقتني أدمعي
ولولا دموعي أحرقتني زفرتي

فأين طوفان نوح عليه السلام من كثرة دموعي ، وأين نيران النمرود التي أوقدوها للخليل إبراهيم عليه السلام من نيران الحب في قلبي ؛ فالطوفان والنيران متناهية ، أما دموعي ولوعتي فهي لا تتناهى أبدًا .

وحزنـــي ، ما يعقـــوبُ بـــثَّ أقلَّـــــهُ
وكُـــلُّ بَـــلَا أيـــــوبَ بعضُ بَلِيّـــتي

فحزن يعقوب عليه السلام كان متناهياً ، انتهى بالوصال ، وصبر أيوب عليه السلام إلى أمد ، ثم كشف الله عنه البلاء ، أما سبب حزني وبلائي ؛ فسببه لي جمال غير متناهي ، فأين حزنهم وبلاءهم ، من حزني وبلائي .

وآخـر مـا لاقـى الألى عشقـوا إلى الـ
ـرَّدى ، بـعْضُ ما لاقيـتُ ، أوّل محنـــتَي

آخر ما يلقاه العشَّاق من الآلام ، حتى أسلمهم ذلك إلى الرضى بالتلف والهلاك ، أو يترقى إلى الفناء ، وذلك كله تخلصاً مما يلاقونه من الآلام ، كل ذلك هو بعض ما لاقيته أنا في ابتداء أمري .

ويحسن إظهارُ التَّجلُّد للعِدَى
ويقبح غيرُ العجز عند الأحبة

يعني أن الإنسان إذا أصابته شدة ومحنة ، يحسن أن يظهر تجلداً وقوة مقاومة لكيلا يشمت به أعداؤه ، وأما عند الأحبة ، فيقبح غير إظهار العجز والضعف ، وطلب الرحمة والمعونة منهم .

ونفــسٍ تــرى في الحــبِّ أنْ لا تـرى عنـاً
متـى مـا تَصَـدَّتْ للصَّــبابة صُــدَّتِ
ومــا ظَفِــرَتْ بـالــوُدِّ روُحٌ مُــراحَـــةٌ
ولا بالــولا نفـسٌ صــفا العيــشِ ودَّتِ

فالحب فطنة الفناء ، ومنشأ البلاء ، ومورد الفناء ، فلا تظفر روح أبدًا بالحب ، إلا بعد تطهيرها من أدران النفس ، وتوابع الحس ، أما النفوس التي غلبت أصحابها ، وأرادت شهواتها ولذاتها ، فهيهات بينها وبين حضرة المحبوب ، ولذا قال :

وأينَ الصّفا ؟ هيْهات من عَيشِ عاشقٍ
وجنَّــةُ عـــدنٍ بـالمكـارهِ حُفَّــتِ

فمن تمنّى الراحة وصفاء العيش في الحب ، فذلك محال ؛ فإذا كانت الجنة الحسية قد حُفّت بالمكاره ، قال ﷺ : ﴿ **حفّت الجنـة بالمكـاره** ﴾ (١) . فما بالك بالجنة المعنوية ، التي هي جنـة الحب . فطالب الله تعالى ، يطلب

١- متفق عليه .

أمراً مطلقاً لا نهاية له ، فلا ينتهي شوقه أبداً ، ولا ينتهي طلبه سرمداً ولا يتسلى عنه أبد الآبدين كما قال في البيت بعده :

ولي نفسُ حرٍّ ، لو بَذَلْتِ لها على

تَسَلّيكِ ، ما فوْقَ المُنى ما تسلّتِ

فلا الجنّة وما فيها تلهيني عنك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ {يس:٥٥} ، وإنما طلبي لك طلب دائم بدوام الذات المقدسة لا يتغير بتغير الأحوال والصفات .

ولو أُبْعِدَتْ بالصّدِّ والهجرِ والقِلى

وقَطعِ الرّجا ، عن خُلّتي ، ما تَخَلّتِ

فمهما أظهرتِ لنفسي المشتاقة إليك ، من مظاهر ومشاهدات ، تدل في ظاهرها عن صدك ، وهجرك ، وبغضك لي ، علمت أنها كلها من حضرة الشفعية ، والتضاد ، إذ الأحدية لا أضداد فيها ، بل كلها خير محض ، لا ضد فيه ، ولكن لا يبلغها إلا من ارتقى ، من حضرة تضاد الأسماء والصفات ، وتساما عن الشفع ، إلى الوتر ﴿ **إن الله وتر يحب الوتر** ﴾ (١) .

١- رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي .

وعن مذهبي ، في الحب ، ماليَ مذهبٌ
وإنْ مِلْتُ يـــوماً عنه فـارقتُ مِلّتـــي
وإنْ خطـرتْ لــي فـــي ســـواكِ إرادةٌ
على خـاطري ســهواً قضيتُ بردَّتـــي

فمذهبي في الحب هو الإعراض عن جميع الأغراض الدنيوية والأخروية ؛ فالحب هو ديني ومذهبي ، إن ملت عنه يوماً ، بالنظر إلى الحظوظ ، سواءً الدنيوية فيها من مال وجاه وغيرها ، أو الأخروية ، من جنان وحور وقصور فقد فارقته ، وأصبحت حلال المال والعرض والدم ، بل إن ديني يقتضي أن لا أغفل عن ذكرك ، ولا ألتفت إلى سواك ظاهراً ، وباطناً ، بحيث تكون جميع خواطري مستغرقة بذكرك ، وحبك ، حتى أن السهر والغفلة فيما يتعلق بك هو من أعظم الذنوب عندي ، والتي لا يشملها العفو والصفح .

لكِ الحكمُ في أمري فما شئتِ فاصنعي
فلم تكُ إلَّا فيكِ لا عنكِ رغبتي

حبك ثابت في قلبي مهما كان فيه من إنعام أو إيلام أو عناء أو نعماء ، أو تقريب أو إبعاد ، أو إضلال أو إرشاد ، أو وصال أو هجران أو حرمان ، أو إعزاز أو إذلال . فأمري إليكِ ، فتصرفي فيّ بكل ما تقتضيه مشيئتك .

لأنتِ مُنى قلبي ، وغايَةُ بُغْيَتي
وأقصى مُرادي ، واختياري ، وخِيرَتي

فكل ما يتمناه قلبي ، وغاية ما تصبوا إليه روحي في حبك ، منحصر في حبك ، والنظر إلى وجهك الكريم .

وإنْ فتنَ النِّساك بعضُ محاسنٍ
لديكِ ، فكُلٌّ منكِ موْضِعُ فِتْنَتي

فالزهاد ، والعباد ، رأوا منك بعض محاسنك ، فهم طالبوك لأغراض لطفك وإحسانك ورحمتك ، وجنانك وإنعامك ، يميلون إليك من حيث عزك وغناك هاربون من آثار قهرك وهجرك ، وعتابك وعقابك وعذابك ، إلى حلمك وعفوك وغفرانك ، متعلقون في ذلك كله بحظوظ أنفسهم ، أما أنا فأقول كل شيء من المليح ، مليح ، فكل ما يبدو منك من لطف أو عنف ، أو نعمة أو نقمة ، أو منحة أو محنة ، أو إنعام أو إيلام ، أو تقريب أو تبعيد ، كل ذلك يزيد في حبي لك ، متيقن أن ذاتك الأقدس كلها كمال لا نقص فيها ، وحكمة ، لا هزل ؛ فكل ما يفعل المحبوب ، محبوب .

فقـالت : هـوى غيري قصدتَ ودونــهُ أقـــ

ـتَصَدتَ ، عَمِيّــاً عن سـواء مَحجَّـتي

إنك في حبك الذي ذكرت ، ما قصدتني ، وإنما قصدت نيل حظوظ نفسك مني ، فتركت حظوظ نفسك الدنية ، لتنال مني حظوظًا أخرى ، من المشاهدة ، والمكاشفة ، وسماع خطابي المستطاب ، فما كان مطمح الحب عندك في الحالين إلا نفسك ، فمنا تجاوز مقصدك نفسك وحظوظها ولذاتها ، فعميت عن طريق إفرادي بالمحبوبية الخالصة من جميع الحظوظ والشوائب .

وفي أنفَسِ الأوطارِ أمْسَيْتَ طامعاً

بنفسٍ تعدَّت طَورَهَا فتعدّتِ

وها أنت ذا تطمع في نيل أغلى المطالب ، وأنفس المآرب ، بهذه النفس الخسيسة ، التي تعدت حدودها بالدعوى والغرور ، وبالقول الزور ، فقد غررت بك نفسك عن الطريق الصحيح .

فقمتَ مقاماً حُطَّ قدرُكَ دونَه
على قدمٍ عن حظِّها ما تخطَّتِ

إن مقامك لم يتعد بعد ، حدود النفس اللوامة والمطمئنة ، وهذا انحطاط عن قدر الروح وأحكامها ، وانحطاط عن مقام إدعاء حبي وطلب وصلي وقربي فما تخطت قدم حالك عن حظك خطوة ، ولا ترقت عن لذاتها ذرة .

ورُمتَ مراماً ، دونَهُ كم تطاولت ،

بِأعناقها قومٌ إليه فَجُذَّت

لقد طلبت مطلباً منيعاً عزيزاً ، وهو جناب وصلي ، وجمال سري . وكم من قوم قبلك أرادوه ، وهم على حالك ، أو يزيد ، فانقطعت آمالهم ، دون الوصول إليه ، وانتهت آجالهم ، قبل الدخول عليه .

وهم قوم خاضوا بحار الحب ، فلما توسطوا البحر ، غمرتهم سيول قهر البلاء ، وضر الفناء ، فأخذوا يسبحون في بحار الهلاك ، حتى أدركهم الغرق وأهلكهم الحكم الذي سبق ، فكانوا عند الله شهداء ولكنهم لم يصلوا إلى عز ذاك الجمال الأقدس .

أتيــت بيوتــاً لم تُنَــلْ من ظهورهــا
وأبـوابُهـا عَن قَـرْعِ مِثْـلِكَ ، سُـدَّتِ

أيها المدعي ، قد قرعت أبواب وصلي ، ومراتب قربي ، ملتفتاً إلى سواي ، مدّعياً ما ليس لك فيه قدم ، وهذه الأبواب لم تفتح قط بقرع مثلك ، فظهر البيت هو ثبوت آثار الغيرية ، وعدم التحقق بجمال الأحدية .

وبينَ يَدَي نَجْواكَ قَدَّمت زخرفا
تروُمُ بهِ عِزاً ، مَرامِيهِ عَزَّتِ

وجئت تطلب عزاًّ ، ورتبة عالية بكلام مذوق بالفصاحة والبلاغة ، ولكنني في حصن حصين ، من حكم ﴿ **سبحان من لا يُوصَل إليه إلا به** ﴾ وحرز نص ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ {الزمر : ٦٧} .

وجِئــتَ بِوَجْــهٍ أبيــضٍ ، غيـرَ مُسْـقِطٍ
لِجـاهِكَ في دَارَيْــكَ خَـاطِبَ صَفْــوَتي

فما دمت صاحب فصاحة ووجاهة ، طالباً دنياك وآخرتك ، فلن تصل أبداً إلى محبتنا ، فلا سبيل إلى رتب وصلنا وحقيقة حبنا ، إلا بالتجرد التام منهما والتفرد بالكلية عنهما ، والتحقق بالفقر التام عما سوى حضرة محبوبيتنا ، فلا تظهر بجاه ، ولا بحشمة ، ولا فضيلة ، عند أهل الدنيا والآخرة ، فإسقاط الجاه ، والفقر التام ، هي من شرائط التحقق برتبة الاصطفاء .

ولوْ كُنْتَ بِي من نُقْطَةِ البَاءِ خَفضَةً
رُفِعْتَ إلى مالَمْ تَنَلْهُ بِحيلَةِ
بحيثُ تَرَى أنْ لا تَرَى ما عَدَدْتَهُ
وأنَّ الذي أعْدَدْتَهُ غيرُ عُدَّتي

فلو تخليت عن كل علم ، وعمل ، وسير ، وسلوك ، وكشف ، ومعرفة ، ومحبة ، وعن كل صفة هي لك ، وأمسيت بمعزل عنها ، حتى الآن ، كما كنت في الأزل ، وحينئذٍ كنت بي ، أي بمددي ، وهدايتي ، وعنايتي ، وحولي ، وقوتي ، لا حولك وقوتك .

وأصبحت كالنقطة التي تحت الباء في (**بي**) ، رفعتك إلى رتبة البقاء بمحبتي وبقائي ، وأبدلت صفاتك الخلقية إلى صفات حقية ، حتى تصير أنت الباء كلها ، فأتكلم على لسانك ، وأبطش بيدك ، وأكون سمعك ، وبصرك ، ويسري حكم الباء فيك ؛ فبها تسمع وتبصر ، وبها تعقل ، وبها تبطش ، وبها تسعى ، بل بها تضاف جميع الآثار الإلهية إليك .

ونَهْجُ سَبيلي واضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى
ولكنَّها الأَهْواءُ عَمَّتْ فأَعْمَتِ

مراتب الطريق الموصل إلى حضرتي واضح ، لمن كتبت له الهداية ، أولها مرتبة الإسلام ، وثانيها مرتبة الإيمان ، وثالثها مرتبة الإحسان ، بإصابة النور الاختصاصي المراد بقوله : ﴿**فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى**﴾ (١) .

١- رواه الترمذي والطيالسي وأحمد وابن أبي عاصم وابن حبان والآجري والطبراني .

حَـليفُ غَــرامٍ أنــتَ لـكِنْ بِنَفْسِــهِ
وإبقــاكَ وصْــفاً منــكَ بعــضُ أدِلَّــتي

نعم أنت ذو غرام صحيح ، ولكن غرام بنفسك ، لا بي ، والدليل على ذلك ، أنك صرحت بأن فيك بقية إدراك ، من فيهم بها حصلت لذة الرؤية والسماع وطلبت مني إبقاء هذه البقية ، حالة اللقاء ، قبل فنائها بالكلية ، فلا يظهر أثر حبي فيك ، حتى تزول الممايزة بيني وبينك ، عنك .

فَلَـمْ تَهْـوَني مالـمْ تكُـن فِـيَّ فـانِياً
ولمْ تَفْـنَ ما لا تُجْتَلَى فيكَ صُـورتي

فما دام فيك شيء ، من أوصافك ، وحظوظك وميولك ، وآمالك وأمانيك فلا تظهر حقيقة الحب ، بك ، وفيك ، إلا بفناء ذلك كله عنك ، ويستهلك العاشق في المعشوق ، وصفا ، ثم أثراً ، ثم عيناً ، وهو مراتب :

المرتبة الأولى : هي التحقق بالمراتب ، والمقامات ، والأحوال الإيمانية كالتوبة ، والمحاسبة ، والمراقبة ، والمجاهدة ، والورع ، والاخلاص ، والصدق ، والزهد ، وذلك أول الفناء ؛ حيث تبدأ تتخلص من النفس ، وهواها ، فتفنى عن أحوالك المذمومة ، وصفات نفسك القبيحة .

المرتبة الثانية : من الفناء هو استهلاك الصفات الأصلية من المحب ، كالفعل ، والقول ، والسماع ، والإبصار ، والسعي . وتتأتى من التحقق بمقام الثقة ، والتسليم ، والتفويض ، والتوكل ، والرضى .

المرتبة الثالثة : حيث يظهر حكم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ {القصص : ٨٨} ، فيعم حكم هذا التجلي حقيقة المحب ، فيتخلل منه كل ذرة ، فلا تكون منه ذرة لغير الله ، ويصير الله تعالى سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، وعقله الذي يعقل به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يسعى بها .

هو الحُبُّ ، إنْ لَمْ تَقْضِ لم تَقْضِ مأرَباً

مِنَ الحِبِّ ، فاخْترْ ذاكَ ، أو خَلِّ خُلَّتِي

إما الفنا ، وإما أن تخلي دعوى خلتي .

فقلتُ لها : رُوحِي لديكِ وقَبْضُها

إليكِ ومَالِيَ أنْ تكونَ بِقَبْضَتي

لم يكره العبد الموت ، للموت ، بل إنما يكرهه تطلعاً إلى كمال إلهي ، متعلق حصوله بهذه النشأة ، لم يحصل له بعد ، أو ترقيات ينتظرها ، تنقطع جميعاً بالموت ، وليس هذا من شأن الكمَّل ، إذ الكمَّل لا تنقطع علومهم وترقياتهم بالموت ، بل تزيد ، إنما الذي ينقطع هي الأعمال الظاهرة .

فأنا راضٍ بانقضاء أجلي منتسباً إلى حبك ، ومحبتك ، وإن لم أتمكن من وصلك ، فإن مفخرة الانتساب إليك ، حتى ومن غير بلوغ ، إلى الوصل في هذه النشأة الدنيوية ، فإن تلك النسبة ، ولابد أن تجرني إلى الوصل في النشأة الأخرى .

حتى وإن لم يكن هناك شيء في مقابلة سفك دمي ، من هذه الحظوظ ، ولم أعد في زمرة الشهداء ، يكفيني منك أنك عالم بما يدعو بي إلى الموت ، ويبعثني على الرضا به . قال ﷺ : ﴿ **أنت مع من أحببت** ﴾ (١) .

١- متفق عليه .

ولــمْ تُعسِــفِي بالقَتْـلِ نفسِــي بل لَهَــا

بِــه تُسـعِفِي إن أنتِ أتْلَفــتِ مُهجِتِــــي

العسف : الظلم ، يعني إن قتلتيني في حبك ، لم تكوني لي ظالمة ، بل مكرمة لأنك إن أخذتي مني نفساً ، وهبتني ألف نفس ، وهذا هو طبع الكرام .

فإنْ صحَّ هذا الفالُ منكِ رَفَعْتِنِي

وأعْلَيتِ مِقداري وأغليتِ قِيمَتي

إن تحقق لي منكِ ما تفاءلتُ به ، من إتلافك مُهجتي ، رفعتني من حضيض الفناء ، إلى أوج البقاء ، وأعليت قدري ، إذ أفنيتني عني ، وأبقيتني بكِ ، وأبدلتي أخلاقي الخلقيّة ، بأخلاق حقيّة .

وهـــا أنـــا مُســتدعٍ قضــاكِ ، ومـــا بــــهِ
رضـــاكِ ، ولا أختـــارُ تـــأخيرَ مُـدَّتـــي

وها أنا طالب رضاك وإن كان فيه هلاكي ظاهراً ، ولكن فيه حياتي باطناً ، ولو خيرت بين تعجيل وفاتي ، وتأخير مدة حياتي ، لا أختار تأخير مدتي .

وعِيدُكِ لي وَعْدٌ ، وإنجازُهُ مُنى

ولِيٍّ ، بغيرِ البُعدِ إن يُرمَ يثبتِ

تخويفك لي بالموت وعد أنتظره ، وليس وعيداً أخافه ، وهو مرادي ؛ حيث قدمي ثابت في كل بلاء ، إلا البعد ، لأن الثبات في البلاء ، لا يتصور إلا عند شهود المحبوب ، **وهذا الشهود عين القرب** .

فقد صِرتُ أرجو ما يُخافُ ، فَأسعِدِي

بِه روحِ ميتٍ للحياةِ استَعَدَّتِ

فصرت أرجو تحقق هذا الموت ، ما دام سيوصلني إلى الحياة الأبدية ؛ حيث أرجع إلى بحر الذات الأحدية ، والصفات السرمدية .

بِكُلِّ قَبِيلٍ كَم قَتِيلٍ قَضَى بها

أَسىً ، لم يَفُز يوماً إليها بنظرةِ

فكم مقتول في كل أمة بحبها ، ولم يفز بنظرة إليها يوماً ، وهم المستهلكون في تيه الفناء ، غير واصلين إلى كعبة اللقاء ، ومقام البقاء .

وكَـمْ فـي الـورى مثلـي أمـاتتْ صبـابـةً
ولـوْ نَـظَـرَتْ عَـطْفـاً إليـهِ لأحْـيَتِ

وكم مثلي في الخلق أماتته المحبوبة ، لفرط المحبة والشوق ، وما نظرت إليه نظر العطف ، بعد الحتف ، ولو نظرت إليه ، لأحيته . **وهم الذين لم يعودوا من الفنـاء .**

إذا ما أحَـلّتُ ، في هــواها ، دَمي، فَـفي
ذُرى العِـزّ والعليـــاءِ قـــدري أحَلّــتِ

إذا جعلت دمي في هواها حلالاً ، فقد أحلت قدري في أعالي مقامات العز وهو البقاء بالله تعالى ، بعد الفناء ، **وهو مقام الوجود ببقـاء المحبوب** .

فنَفْسي كانت ، قبلُ ، لَوّامَةً متى
أُطِعْها عصَتْ ، أوْ تُعْصَ كانت مُطيعَتي
فأورَدْتُها ما الموتُ أيسرُ بَعْضِهِ
وأتْعَبْتُها ، كَيما تَكون مُريحتي
فعادتْ ، ومهما حُمّلَتْهُ تحَمّلَتْـ
ـهُ مِنّي ، وإنْ خَفّفْتُ عنها تأذّتِ
وأذهبتُ في تهذِيبِها كُلَّ لذّةٍ
بإبعادِها عن عادِها ، فاطمأنّتِ
ولَمْ يَبْقَ هَوْلٌ دونهَا ما ركبْتُهُ
وأشهَدُ نفسِي فيهِ غيرَ زَكيّةِ
وكلُّ مقامٍ عن سُلوكٍ قطعتُهُ
عُبوديَّةً حقّقْتُها ، بعُبودةِ

من المعروف أن ترك كل مألوف ، هو نوع من الموت ، بل أصبح الموت أيسر من بعض هذه الرياضات في السلوك ، فأخذ يلزم نفسه المشقات ، والرياضات ، حتى عادت مطمئنة ، وعادت من العصيان ، إلى الطاعة ، حتى أنها صارت تتلذذ بحمل مشقات السلوك .

العبادة للعامة غاية التذلل .

العبودية للخاصة ، الذين صححوا النسبة إلى الله تعالى ، بصدق القصد إليه في سلوك الطريق .

العبودة لخاصة الخاصة ، الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبوديتهم .

فالعبادة : تقيد النفس بالأحكام العامة ، في منازل الخدمة ، كالصلاة ، والصوم ، والحج ، وغيرها .

والعبودية : تقيدها لربها بالأحكام الخاصة ، في مقام القرب ، كالصبر ، والزهد ، والرضا ، والتوكل .

والعبودة : تقيدها بربها ، وقيامها بإرادته .

ولا قدرة على العبادة ، إلا بترك حظوظ البطالة ، ولا على العبودية ، إلا بترك حظوظ الدنيا ، ولا على العبودة ، إلا بترك حظوظ الآخرة . قياماً بإرادة المحبوب ، لا بإرادة نفسه .

وكُنْتُ بِها صَبّاً ، فلمّا تركْتُ ما
أُريدُ ، أرادَتْني لها وأحبَّتِ
فَصِرْتُ حبيباً ، بل مُحِبّاً لِنفْسِهِ

وليسَ كقَولٍ مَرَّ : نفسي حَبِيبتي
خَرَجْتُ بها عنِّي إليها ، فَلَمْ أعُدْ
إليَّ ومِثلي لا يقولُ برجعةٍ

كناية عن تبدل جميع صفاته الخلقية ، إلى صفات حقيّة ، وكيف أن روحه أصبحت مرآة صافية ، يرى الله تعالى فيها ، فصار محبًّا لهذا التجلي ، فى مرآة نفسه .

فجاهِدْ تُشاهدْ فيكَ مِنْكَ وراءَ ما
وصّفْتُ ، سُكوناً عن وُجودِ سَكينةِ

وذلك كله عن طريق المجاهدات ، والرياضات ، والسلوك .

والمعبر عنه في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾{العنكبوت:٦٩} .

وفي قوله : ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾{الشورى:١٣} .

وقد يقع هذا كله ، عن طريق الجذب ، ورؤية الجمال ، والمعبر عنه في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾{الشورى:١٣} .

فَنِلْتُ هَواهَا لا بِسمعٍ وناظرٍ
ولا باكتسابٍ واجتلابِ جِبِلَّةِ

وَهِـمْـتُ بهـا في عـالـمِ الأمـرِ حيثُ لا
ظُـهورٌ وكانت نَشوتـي قبل نشأتي

اجتلابِ الجِبِلَّة : يعني اقتضاء الفطرة .

وعالم الأمـر هو عالم التعيُّن في علم الله تعالى ، وهو أصل وطن الإنسان ، الذي منه بدأ ، وإليه يعود ، بعد انتهاء دورته . فهناك أحبها ، بلا عين ، ولا أذن ، ولكن بإسماع الله له ، وإبصار الله إياه ؛ فكان يسمع الله ، بالله ، ويرى الله تعالى ، بالله . وهو عالم تبرز فيه الأشياء لا عن سبب .

فأفنـى الهـوى ما لم يكُـنْ ثَمّ باقيـاً
هُـنا ، من صِفـاتٍ بينَنا فاضْمَحَلَّتِ

ولما نلت هواها في عالم الأمر ، لا بوصف مني ، حالت بيننا صفاتي في عالم الخلق ، تداركني الهوى ، فأفنى لغيرته علي في هذا العالم ، ما لم يكن ثابتاً في عالم الأمر ، من صفات حائلة بيننا ، فذهبت ، وصرت مع المحبوبة فريداً ، كما كنت أولاً .

فَـأَلفَيْتُ مـا ألقَيـتُ عنّـيَ صـادراً
إلـيَّ ومنّـي وارداً بِـمَـزيـدَةِ

عندما ارتفع حجاب النفس ، سطعت صفات الجمال ، والكمال ، في مرآة القلب . قال ﷺ : ﴿ **المؤمن مرآة المؤمن** ﴾ . فهو تعالى مرآتك ، في رؤيتك نفسك . وأنت مرآته ، في ظهور أسمائه وصفاته .

وشاهدتُ نفسي بالصِّفاتِ الّتي بها
تَحَجَّبتُ عنِّي في شُهودي وحُجبَتي
وإنِّي التي أحبَبْتُها ، لا مَحالةً ،
وكانت لها نَفْسي عليَّ مُحِيلَتي

حيث انقلبت جميع الصفات الخلقية ، إلى صفات حقية .

أَمَمْتُ إمامي في الحَقيقةِ فالورى
وَرَائي وكانتْ حيثُ وجَّهْتُ وجهتي
يَراها أَمامِي في صلاتي ناظِري
ويَشْهَدُني قَلبي إمَامَ أئِمَّتي

لما كانت محبوبته ، قد سكنت قلبه ، وملكت عليه كل جهاته ، فهو مصلٍ إليها ، والكل متجه نحوه ، حتى لو كان إماماً يؤمه في الصلاة .

ولا غَرْوَ أن صلَّى الإمامُ إلَيَّ أنْ

ثوَتْ بفُؤادي وَهي قِبلةُ قِبلَتي
وكلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوي تَوجَّهت
بما ثَمَّ مِن نُسكٍ وحَجٍّ وعُمرةٍ

فلو صلّى الإمام إلى الكعبة ، فلا غرو أن الكعبة ، والأكوان جميعاً ، متوجهون إلى الله تعالى ، وهو قبلتهم ، سواء في صلاة ، أو حج أو عمرة .

وعنديَ عيدي كُلَّ يومٍ أرى بهِ
جَمالَ مُحَيّاهابعَينٍ قريرةِ
وكلُّ اللَّيالي ليلةُ القدرِ إنْ دنَتْ
كما كُلُّ أيّامِ اللِّقا يومُ جُمعةِ
وسعيي لها حجٌّ بهِ كُلُّ وَقفةٍ
على بابها قدْ عادلَتْ كُلَّ وَقفةِ
وأي بلادِ اللّهِ حَلّتْ بها، فما،
أراها، وفي عيني حَلَتْ، غيرَ مكّةِ
وأيُّ مكانٍ ضمّهَا حرمٌ كذا
أرى كلّ دارٍ أوْطَنَت دارَ هِجْرَةِ
وما سكَنَتْهُ فَهوَ بَيتٌ مُقَدَّسٌ،

بقرَّةِ عيني فيهِ أحشايَ قرَّتِ

وحدة الشهود أن يغيب الكل في جمال المعبود ، فالعيد يوم التجلي بالجمال وليلة القدر ليلة الحب والوصال ، ويوم الجمعة هو يوم اللقاء والإتصال ، فالسعي إليها هو حج القلوب ، ووقفة عرفات هي الوقوف على ديار المحبوب ، قد شرفت بحلولها الأماكن ، وكذا يشرف المكان بالساكن ، فما كانت في دار إلا ووجبت الهجرة من دار الخراب إلى دار العمار التي هي دارها ، فهي في عيني كل شئ ، وكل شئ بدونها لا شئ .

لَها صَلواتي بالمقامِ أُقِيمُها
وأشهَدُ فيها أنّها ليَ صَلّتِ
فمِن بَعدِ ما جاهدتُ شاهدتُ مَشْهَدي
وهادِيَّ لي إيَّايَ بلْ بِيَ قُدْوَتي

إذ أن الله تعالى ، جعل في كل روحٍ ، كل شئ ، فالروح فيها الله ، والأنبياء والجنة ، والنار ، والعرش ، والكرسي . فمن رأى الله ، أو الجنة ، أو النار ، أو النبي ﷺ ، إنما رأى كل ذلك من داخله ، لا من شئ خارج عنه .

فكُلُّ مَليحٍ حُسنهُ مِنْ جمالها

مُعارٌ لهُ ، أو حُسنُ كُلِّ مَليحةِ
بها قيسُ لبْنى هامَ ، بلْ كلُّ عاشقٍ
كمجنونِ ليلى ، أو كُثيِّرِ عَزَّةِ
فكلٌّ صبَا منهم إلى وصفِ لَبْسِهَا
بصورةِ حُسنٍ ، لاحَ في حُسنِ صورةِ

فالله تعالى هو المحبوب في نظر كل محب .

وما ذاكَ إلاّ أنْ بدَتْ بِمظاهِرٍ،
فظنُّوا سِواهَا وهيَ فيهم تجلَّتِ
ففي النّشأةِ الأولى تَراءَتْ لآدَمٍ
بمظهرِ حوا قبلِ حُكمِ الأمومةِ
فهامَ بها، كَيما يكونَ بها أباً،
ويَظْهَرَ بالزّوجينِ سر البُنُوّةِ
وما برحَتْ تبدو وتخفَى لِعلّةٍ
على حسبِ الأوقاتِ في كلِّ حقبةِ
وتَظْهَرُ لِلْعُشّاقِ في كُلِّ مظْهَرٍ،

مِنَ اللّبسِ، في أشْكال حُسْنٍ بدِيعَةِ

ولسنَ سِوَاها، لا ولا كُنَّ غيرهَا

وما إنْ لها، في حُسْنِها مِنْ شَريكَةِ

لأن الله تعالى هو الظاهر في كل مظهر ، والمشهود في كل مشهد ، فما خلق الخلق ليظهر الخلق ، وإنما خلق الخلق ليظهر هو في الخلق ، فما من مظهر إلا وهو كالستار على العزيز الستار ، فهو المتجلي لآدم في حواء ، ولحواء في آدم ، ولهما في أبنائهما . وهو المتجلي بصورة المحبوب في عين كل محب ، وما بقي إلا رفع الحجاب .

فلوْ منحتْ كلّ الوَرى بعضَ حُسنها،

خَلا يوسُفٍ، ما فاتَهُمْ بِمَزِيّةِ

وهذه المحبوبة في غاية الحسن ، بحيث أنها لو أعطت كل الورى حسناً كحسن يوسف عليه السلام لكان بعضاً من حسنها .

صرَفتُ لها كُلّي، على يدِ حُسنِها،

فضاعفَ لي إحسانُها كلَّ وصلَةِ

فلما تخليت عن كلِّي وبعضي ذاتاً وصفاتاً ، فناءً واضمحلالاً ، حتى صرت صفراً بلا حياة ، فأحيتني بها حياة باقية دائمة ، بالنسبة للحياة التي كنت فيها كالإحسان للإسلام .

يُشاهِدُ منّي حُسنَها كُلُّ ذَرّة،
بها كلُّ طرفٍ جالَ في كلِّ طرفةِ

فلما حييت بها ، انفردت كل ذرة مني بتجلٍ يختلف عن الذرة الأخرى ، فالله واسع . فصارت لكل ذرة عين تشاهد تجلياً غير ما تشاهده الذرة الأخرى ، وذلك لأن المتجلي واسع ، والتجلي متسع .

ويثني عليها فيَّ كلُّ لطيفةٍ
بكُلّ لِسانٍ، طالَ في كُلّ لَفظَةِ

وأنطق حسنها مني كل ذرة ، فصار لساناً موقوفاً على مدحها .

وأنشَقُ رَيّاها بِكُلِّ رَقيقَةٍ،
بها كلُّ أنفٍ ناشقٍ كلَّ هَبَّةِ

وحين تهب عليَّ نسائم تجليات أنوارها ، فكل ذرة فيَّ أنف تشم .

ويسمعُ مني لَفْظَها كلُّ بِضعَةٍ
بها كلُّ سمعٍ سامعٍ متنصِّتِ

وإذا تكلمت انقلبت كل ذرة مني سمعاً ينصت إليها .

ويَلْثُمُ منّي كُلُّ جُزْءٍ لِثامَها
بكلِّ فمٍ في لَثْمِهِ كلُّ قُبْلَةِ

وكلما أحسست بهذا القرب منها إذا كل ذرة مني فم متعطش إلى تقبيلها

فلو بَسَطَتْ جِسْمي رأتْ كلَّ جَوْهَرٍ
به كلُّ قَلْبٍ فيه كلُّ مَحَبَّةٍ

يعني أنه قد استُهْلِكَ كلِّية في محبة ربه ، فلا ذرة فيه إلا وقد ظهر نور الله الأزلي عليها ، وفيها ، ومنها .

فتى الحبّ، ها قد بِنتُ عنهُ بحُكمِ مَن
يراهُ حِجاباً فالهوَى دونَ رُتبتي

وجاوزتُ حدَّ العشقِ فالحبُّ كالقِلى

وعن شأوِ معراجِ اتّحاديَ رحلتي

فطِبْ بالهَوَى نَفساً، فقد سُدْتَ أنفُسَ الـ

ـعِبادِ مِنَ العُبّادِ، في كُلّ أُمّةِ

ينبه على أنه قد تسامى في حبه من التعلق بالأسماء والصفات ، إلى التحقق بنور الذات ، فأصبح ثابتاً بإثبات الذات له بحيث لا يتأثر بتضاد الأسماء والصفات ، فلا حب ولا بغض . هو الآن يحب حباً ليس له ضد وعشقاً ليس له ضد ، وبذاك يكون قد فاق أهل عصره الذين حكمتهم الأحوال ، وتحكمت عليهم الأسماء والصفات .

فلا فَلكٌ إلاّ، ومن نورِ باطِني،

بهِ مَلكٌ يُهدي الهدى بِمشيئتي

فلما فنيت ذاته عن صفاته ، وصارت روحه هي روح الوجود ، فلا غرو أن تفيض روحه أنواراً على ما دونه من عالمي الملك والملكوت ، والغيب والشهادة .

وروحي للأرواح روح، وكل ما

ترى حَسَناً في الكونِ من فيضِ طينتي

هنا يشير إلى أنه صار قطب الوجود ، حيث يستمد منه كل موجود ، فروحه تمد جميع الأرواح ، ونفسه تمد جميع النفوس ، وجسمه يمد كل الأجسام .

فما عالمٌ إلاّ بفَضلِيَ عالِمٌ
ولا ناطِقٌ في الكَونِ إلاّ بمِدْحَتي

هذا مقام **جمع الجمع** ، وهو البقاء بعد الفناء ، حيث يرى العالم كله مقر بفضله ، مسبح بحمده ، مشغول بذكره . قال ﷺ : ﴿ **معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر** ﴾ . فما بالك بمن كان مقامه جمع الجمع .

وأنظُرُ في مَرآةِ حُسْني كي أرى
جَمالَ وُجودي، في شُهوديَ طَلْعَتي
فإنْ فُهتُ باسمي أُصغِ نحوي تشوُّقاً
إلى مُسْمِعي ذِكري بِنُطقي، وأُنصِتِ

ومن كان في مقام جمع الجمع ، أصبح يرى حسنه في كل شئ ، فصار هو الحُسْن والمرآة في آن واحد . فما نظر في مرآة نفسه إلا ورأى الحسن

مشهودا له في كل شئ . قال تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾(السجدة:٧).
وفي مقام جمع الجمع قد صار هو الذكر والذاكر والمذكور .

فكُلِّي لِسانٌ ناظرٌ، مِسْمَعٌ، يَدٌ
لِنُطْقٍ، وإدراكٍ، وسَمعٍ، وبَطْشَةِ
فَعَيْني ناجَتْ، واللّسانُ مُشاهِدٌ،
ويَنطقُ منّي السَّمعُ، واليَدُ أصْغتِ
وسَمْعِيَ عَينٌ تجتَلي كُلَّ ما بَدَا،
وعَيْنِيَ سَمعٌ، إنْ شدا القومُ تُنصِتِ
كذاكَ يَدِي عَينٌ تَرَى كلَّ ما بَدا،
وعَيني يَدٌ مَبسوطَةٌ عِندَ سَطْوَتي
وسَمعي لِسانٌ في مُخاطَبَتي كذا
لِسانيَ، في إصغائِهِ، سَمْعُ مُنصِتِ

وفي هذا المقام تنقلب جميع الحواس ، فتصير كل حاسة تنوب عن غيرها ، فاللسان ينظر ويسمع ويبطش ، والعين والسمع ينطقان ، واليد أذن تسمع ، والسمع عين تشاهد ، والعين تسمع ما يُقال ، واليد عين ترى ، والعين يد تبطش ، والسمع لسان ينطق .

فَأتْلُـو عُلومَ العالِميــنَ بِلَفْظـةٍ،
وأجْلُـو عَـلىَّ العـالَـمِينَ بِلَحْظَــةِ
وأسْمَـعُ أصواتَ الـدُّعــاةِ وسائـرَ الـ
لُّـغـاتِ بوَقـتٍ، دونَ مِقدارِ لَمْحــةِ
وأُحْضِـرُ ما قـدْ عَـزَّ لـلبُعــدِ حَمْلُهُ،
ولَـمْ يَـرْتَـدِدْ طَـرْفـي إلـيَّ بِـغَـمْـضَــةِ

ومن مقامه جمع الجمع ، فإنه يتكلم بالله ، وينظر بالله ، ويسمع بالله ، ويبطش بالله كما قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ **كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها** ﴾ .

وأنـشَـقُ أرواحَ الجِـنــانِ وعَـرْفَ مـا
يُـصـافِـحُ أذيـالَ الـرّيـاحِ بـنَـســمَـةِ

عَـرْف : الروائح الطيبة .

وأسْتَعْرِضُ الآفاقَ نَـحْوِي بِخَطْــرَةٍ،
وأخْتَـرِقُ الـسَّــبْعَ الطِّـبـاقَ بِخَطْـوَةِ

فَمَنْ قالَ، أوْ مَنْ طالَ، أو صالَ إنَّما
يَمُتُّ بإمْدَادِي لهُ برقَيقَةِ

وما سَارَ فَوْقَ الماءِ أوْ طَارَ في الهَوَا
أو اقْتَحَمَ النِّيرانَ، إلاَّ بِهِمَّتِي

وفي سَاعةٍ، أوْ دُوْنَ ذلكَ، مَنْ تَلا
بِمَجْمُوعِهِ جَمْعِي، تَلا أَلْفَ خَتْمَةِ

ومِنِّي، لوْ قامَتْ بِمَيْتٍ، لَطِيفَةٌ
لَرُدَّتْ إليهِ نَفْسُهُ، وأعِيدَتِ

ومن هذا حاله فلا تقيد له بالزمان والمكان ، إذ هو حاكم عليهما بقوة المنَّان ، مُمِدٌّ للعالمين بما يفوق الحسبان .

هِيَ النَّفسُ، إنْ أَلْقَتْ هَواهَا تَضاعَفَتْ
قُواهَا، وأعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةِ

ثم يبين جماع ذلك كله ، ومحصلة هذا العلم المصون ، إنما هو في معالجة النفوس وسياستها ، حتى تتروحن ، وتصير النفس روحاً كلها ، فلا يصير للنفس وجودٌ . فإذا أصبحت النفس روحاً خالصة ، ظهرت منها قوة

النفخة الإلهية ، والنفحة الربانية .

فحَيَّ على جَمْعي القديمِ ، الَّذي بهِ
وَجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطفالَ صِبيَةِ

يحث المريدين إلى الوصول إلى مرتبة الجمع والفناء التي وصل إليها ، حيث رأى بها مشايخ العرفان ، من حي العارفين ، بالنسبة إليه كالأطفال .

ومِنْ فضلِ ما أسأرْتُ شربُ معاصري
ومَنْ كانَ قبلي ، فالفضائلُ فَضْلَتي

فكل شيوخ العارفين في زمنه ، أو في الزمن قبله ، إنما شربوا من فضل ما أبقى لهم من أنوار الفناء والمحبة .

وفي البرِّ تسرِي العيسُ تخْتَرِقُ الفلا
وفي البحرِ تَجري الفُلكُ في وسطِ لُجّةِ

العيس : الإبل .   **واللجة** : هي الموج العالي .

ويَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضَاري دوابهِ
وتَظْفَرُ آسَادُ الشَّرى بالفَريسةِ

ويصطادُ بعضُ الطَّيرِ بعضاً منَ الفضا

ويَقنِصُ بعضُ الوَحشِ بَعضاً بِقَفْرَةِ

وَكلُّ الَّذي شاهدْتُهُ فِعلُ واحِدٍ
بمفرَدِهِ، لكنْ بِحُجْبِ الأكِنَّةِ

يعني أن الله تعالى هو الفاعل على الحقيقة ، وهذا الخلق كله ما هو إلا حجاب على صفة من صفاته .

إذا ما أزال السِّترَ لمْ ترَ غيرهُ
ولمْ يَبقَ ، بالأشكالِ ، إشكالُ ريبةِ

فإذا ارتفعت هذه الحجب والستائر والأسباب ، رأيت الله تعالى ، بغير شك ولا إشكال . وذهابها بالفناء عنها .

التائية الصغرى

كعبة الحسن

التائية الصغرى

كعبة الحسن

١- نعم بالصَّبا قلبي صَبا لأحِبتي ،
فيا حبذا ذاك الشّذى حينَ هبَّتِ

٢- أرومُ ، وقدْ طالَ المدَى ، منكِ نظرةً
وكمْ منْ دماءٍ ، دونَ مَرْمايَ ، طلّتِ

٣- فلمْ أرَ مثلي عاشِقاً ، ذا صَبابَةٍ
ولا مثلها مَعشوقةً ، ذاتَ بهجةِ

٤- هيَ البدرُ أوصافاً ، وذاتي سَماؤها
سَمَتْ بي إليها همَّتي ، حينَ همَّتِ

٥- أخذتمْ فؤادي ، وهوَ بعضي ، فما الَّذي
يَضُرُّكُمُ أنْ تتبعوهُ بجُملتي؟
٦- وجَدتُ بكمْ وجْداً ، قُوَى كلِّ عاشقٍ
لوِ احتملتْ منْ عبئهِ البعض ، كلَّتِ
٧- وعُدتُ بما لمْ يُبْقِ منِّي مَوْضِعاً
لِضُرٍّ ، لعُوَّادي حُضوري كغيبتي
٨- كأنِّي هِلالُ الشَّكِّ ، لوْلا تأوُّهي
خَفِيتُ ، فلمْ تُهْدَ العُيونُ لرُؤيتي
٩- وجنَّبني حُبِّيكِ وَصْلَ مُعاشِرى
وحَبَّبَني ، ما عشتُ قطعَ عَشيرتي
١٠- وأبعَدَني ، عنْ أرْبُعي ، بُعدُ أربعٍ
شبابي ، وعقلي ، وارتياحي ، وصِحَّتي
١١- تذكِّرُني العَهْدَ القديمَ ، لأنَّها
حَدِيثةُ عَهْدٍ منْ أُهَيْلِ مَوَدَّتي
١٢- تُتِيحُ المَنايا إذْ تُبيحُ ليَ المُنى
وذاكَ رَخيصٌ مُنيتي بمَنيَّتي

١٣- وما غَدَرَتْ في الحُبِّ أنْ هَدَرَتْ دَمي
بشرعِ الهوى ، لكنْ وَفتْ إذْ توفَّتِ
١٤- متى أوْعَدَتْ أوْلَتْ ، وإنْ وَعدتْ لَوَتْ
وإن أقسمتْ ، لا تُبرئُ السُّقْمَ بَرَّتِ
١٥- وإنْ عَرَضَتْ أُطْرِقْ حَياءً وهَيبَةً
وإنْ أعْرَضَتْ أُشفِقْ ، فلم أَتَلَفَّتِ
١٦- ولوْ لمْ يَزُرْني طيفُها ، نحوَ مَضْجَعي
قضيتُ ، ولمْ أسطِعْ أراها بمُقلتي
١٧- وكُنتُ أرَى أنَّ التعشُّقَ مِنْحَةٌ
لقلبي ، فما إنْ كانَ ، إلاَّ لِمِحْنتي
١٨- مُنعَّمَةٌ أحْشايَ كانتْ قُبَيْلَ ما
دَعَتها لِتشقي بالغرامِ ، فلبَّتِ
١٩- فلا عادَ لي ذاكَ النَّعيمُ ، ولا أرى
منَ العيشِ ، إلاَّ أنْ أعيشَ بشقوتي
٢٠- فجسْمي وقلبي ، مستحيلٌ ووَاجبٌ
وخدِّيَ مندوبٌ لجائزِ عَبْرتي

٢١- وقالوا : جَرَتْ حُمْراً دُمُوعُكَ ، قلتُ : عنْ
أمورٍ جَرَتْ ، في كَثرةِ الشَّوقِ ، قَلَّتِ

٢٢- نحَرتُ لضيفِ الطَّيفِ ، في جَفنيَ الكرى
قِرًى فجَرى دَمْعي دَماً فوقَ وَجْنتي

٢٣- ولما توَافيْنا ، عِشاءً ، وضمَّنا
سَوَاءُ سبيلَيْ ذي طُوىً ، والثَّنِيَّةِ

٢٤- ومَنَّتْ ، وما ضَنَّتْ عليَّ بوقفةٍ
تُعادِلُ عندي ، بالمُعَرَّفِ وَقفتي

٢٥- عَتبتُ فلمْ تُعتِبْ ، كأنْ لمْ يكنْ لِقىً
وما كانَ إلاَّ أنْ أشرتُ وأوْمَتِ

٢٦- أيا كعبةَ الحُسنِ ، الَّتي ، لِجمالِها
قلوبُ أولي الألبابِ ، لبَّتْ وحَجَّتِ

٢٧- فلا تحسبي أنِّي فنيتُ ، منَ الضَّنى
بغيركِ ، بل فيكِ الصَّبابةُ أبلتِ

٢٨- فلي ، بَعْدَ أوطاني ، سكونٌ إلى الفلا
وبالوَحشِ أُنسي إذْ منَ الإنس وَحْشتي

٢٩- وبانتْ ، فأمَّا حسنُ صبري فخانني
وأمَّا جُفُوني بالبكاءِ فَوَفَّتِ

٣٠- وقدْ كانَ عندي وَصْلُها دونَ مطلبي
فعادَ تمَنيِّ الهَجرِ ، في القربِ ، قُرْبَتي

٣١- غرامي أَقِمْ ، صبري انصرمْ ، دمعي انسجمْ
عدوّي انتقمْ ، دهري احتكمْ ، حاسدي اشمتِ

التائية الصغرى

كعبة الحسن

١- نعم بالصَّبا قلبي صَبا لأَحِبتي ،
فيا حبذا ذاك الشّذى حينَ هبَّتِ

الصبا : ريح طيبة ، تحبها العرب . **ونعم** : جواب سؤال .

كأنهم سألوا هذا المحب : أصبا قلبك ، فأجاب : نعم ، وذلك بسبب اتصال الصبا بجسمي ، وهي كناية عن **النفخة الإلهية** في الإنسان ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ {الحجر:٢٩، ص:٧٢} . فهو حن ومال إليها ، لأنها روح محبوبة .

فيا حبذا ما تنقله إليه هذه الريح ، من العلوم اللدنية ، والمعارف الإلهية .

٢- أرومُ ، وقدْ طالَ المدَى ، منكِ نظرةً
وكمْ منْ دماءٍ ، دونَ مَرْمايَ ، طلّتِ

أتمنى منكِ نظرة ، وقد طال العهد بيني وبين تمنيها ، ولكن كيف الوصول إليها ، وقد هُدرت قبل الوصول إليها دماء كثيرة ، ولم يصلوا إلى مرادهم إما لبعد الطريق ، ومن وصل منهم رشقته بسهام البلايا والمصائب والرزايا ومن صبر منهم ، قطعته بقواطع الظنون .

٣- فلمْ أرَ مثلي عاشِقاً ، ذا صَبابَةٍ
ولا مثلها مَعشوقةً ، ذاتَ بهجةِ

العشق هو افراط المحبة ، فلم أرى مثلي صاحب صبابة ، لأن عشقي حقيقي ، وعشق العشاق غيري مجازي ، فهم يعشقون الصور ، وأنا أعشق المصوِّر ، ولم أر مثل جمال محبوبتي ، لأن الحسن كله لها ، وكل الجمال منها ﴿ **إن الله جميل يحب الجمال** ﴾ . رواه مسلم .

٤- هيَ البدرُ أوصافاً ، وذاتي سَماؤها
سَمَتْ بي إليها همَّتي ، حينَ همَّتِ

هي البدر التام في الظهور بالنور والعلو والإرتفاع ﴿ **إنكم سترون ربكم**

كما ترون البدر ، هل تضامون في رؤيته ﴾ .

وفي رواية : ﴿ **كما ترون الشمس** ﴾ .

يا طلعة الشمس أو يا طلة القمر تختال في حلل الأشباح والصور

وذاتي سماؤها : ﴿ **ووسعني قلب عبدي المؤمن** ﴾ . وهو وسع معرفة ، لا وسع إحاطة . وقد رفعتني إلى هذا البدر ، بحيث صرت سماء له ، همتي ، حين عزمت على الترقي إلى المراتب العلية .

٥- أخذتمْ فؤادي ، وهوَ بعضي ، فما الَّذي
يَضُرُّكُمُ أنْ تتبعوهُ بجُملتي؟

قال ﷺ في لاميته :

أخذتمْ فؤادي ، وهوَ بعضي ، فما الَّذي
يَضُرُّكمُ لو كان عندكم الكل

وما ألطف من قال وأجاد :

ولي في الحجاز وديعة خلفتها أودعتها يوم الوداع مودعي
وأظنها ، لا ، بل يقيني أنها قلبي لأني لم أجد قلبي معي

٦- وجَدتُ بكمْ وجْداً ، قُوىَ كلِّ عاشقٍ
لوِ احتملتْ منْ عبئهِ البعض ، كلَّتِ

وجدت بكم في المحبة وجداً شديداً ، بحيث تضعف عن حمله بعضه جميع قوى المحبين .

٧- وعُدتُ بما لمْ يُبْقِ منِّي مَوْضِعاً
لِضُرٍّ ، لعُوَّادي حُضوري كغيبتي

صرت بسبب هذا الفناء في الحب حضوري لمن جاء يعودني كغيبتي عنهم كما قال الشيخ في لاميته :

خفيت ضنا حتى لقد ضل عائدي وكيف ترى العواد من لا له ظل

٨- كأنِّي هِلالُ الشَّكِّ ، لوْلا تأوَّهي
خَفِيتُ ، فلمْ تُهْدَ العُيونُ لرُؤيتي

هلال الشك : هو الهلال الذي يتحدث الناس برؤيته ، ولم تثبت رؤيته

يقول أنه عند نفسه بمنزلة هلال الشك ، لأن رؤيتي لم تثبت عندي ، لأن المرئي عندي هو الوجود الحق المطلق ، فالوجود كله لله تعالى ، لا لنفسه ، فلولا تألمه وتوجعه من نسبة الوجود إليه ، عند قيامه بالتكاليف الشرعية التي لابد لها من فاعل تصدر منه عن قصد ونية ، لم تربي عيون الناس ، ولم يتبين حتى لنفسه ، وإنما تراه العيون معتوهاً مجنوناً ، لا يوثق بكلامه .

٩- وجنَّبني حُبِّيكِ وَصْلَ مُعاشِرى
وحَبَّبَني ، ما عشتُ قطعَ عَشيرتي

حبيك : يعني حبي إياكِ

وإذا تجنب من يعاشره بسبب اشتغال قلبه بمحبتها ، فكيف لا يتجنب مواصلة غير المعاشر له ، وهو **مقام العزلة** والتجرد عن الأغيار ، وهو من أحوال السالكين الأخيار في ابتداء الطريق .

١٠- وأبعَدَني ، عنْ أرْبُعي ، بُعدُ أربعٍ
شبابي ، وعقلي ، وارتياحي ، وصِحَّتي

الأربع : جمع ربع ، وهي الدار .

فحبك أولاً أبعدني عن شبابي ، فأصبحت كهلاً قبل الأوان ، وعن عقلي وارتياحي ، وصحتي ، فجننت بكِ ، وذهبت راحتي وصحتي .

فتبدلت كل عاداتي حباً لكِ .

١١- تذكِّرُني العَهْدَ القديمَ ، لأنَّها
حَدِيثةُ عَهْدٍ منْ أُهَيْلِ مَوَدَّتي

العهد القديم هو أخذ الميثاق ﴿**وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ**﴾{الأعراف:١٧٢} .

لأن الروح من عالم الأمر ، فتحن إلى هذا العالم الذي جاءت منه .

١٢- تُتِيحُ المَنايا إذْ تُبيحُ ليَ المُنى
وذاكَ رَخيصٌ مُنيتي بمَنيَّتي

وما أحسن قوله في تائيته الكبرى

هو الحبُ إن لم تقض لم تقض مأرباً
من الحِبِّ فاختر ذاك أو خلِّ خُلَّتي

فمن أراد مناه منها ، فلابد أن يتهيأ للمنايا ، من مخالفة النفس ، وتحمل أذى الخلق ، وكثرة المجاهدات .

١٣- وما غَدَرَتْ في الحُبِّ أنْ هَدَرَتْ دَمي
بشرعِ الهوى ، لكنْ وَفتْ إذْ توَفَّتِ

فهدرها دمي لم يكن غدراً ، ولكن كان وفاء منها بشرطها .

ويا أحسن قوله في قصيدته اليائية :

كم قتيل من قبيل ماله قود في حبنا من كل حي

لأن الله تعالى ، وهو المحبوب الحقيقي ، يأبى إلا انفراده في حضرته ، التي هي الوجود ، فليس هناك من يزاحمه في جماله وجلاله ، فلابد من

أن يقتل محبة بسيف الفناء ، ثم يحيه به .

١٤- متى أَوْعَدَتْ أَوْلَتْ ، وإنْ وَعدتْ لَوَتْ
وإن أقسمتْ ، لا تُبرئُ السُّقْمَ بَرَّتِ

إبعادها بالهجر معجل ، ووعدها بالوصل ممطول ، وحلفها على عدم شفاء سقم محبها قسم صادق لا خلف فيه .

فالله تعالى يحب عباده المقربين ، ويحب فيهم البلاء . كل بلاء هو نظرة من الحبيب إليهم ، وهو من البلاء الحسن﴿ **وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا** ﴾ {الأنفال:١٧} .

ومعنى **وإن أقسمت** : هو تأكيد ابتلائه كما قال ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** ﴾ .

١٥- وإنْ عَرَضَتْ أُطْرِقْ حَياءً وهَيبَةً
وإنْ أعْرَضَتْ أُشفِقْ ، فلم أَتَلَفَّتِ

قال ﷺ : ﴿ **إذا تجلّى الله تعالى لشئ ، خشع له** ﴾ . رواه الحاكم وصححه ، وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وصححه .

وإن زال ذلك التجلي ، فإن آثاره ما زالت معارفاً في القلب ، وأنواراً في الروح ، وأدباً في الفعل ، فلا التفات لغيرها ، إجلالاً وتعظيماً واحتراماً .

١٦- ولَوْ لَمْ يَزُرْنِي طيفُها ، نحوَ مَضْجَعي
قضيتُ ، ولَمْ أسطِعْ أراها بمُقلتي

الطيف : مجئ الخيال في النوم . **والمضجع** : مكان النوم .

قضيت : يعني : مت .

والمقلة : هي مقلة العين ، التي تجمع السواد والبياض .

رؤية الله تعالى لا تكون إلا في عالم الخيال والمعنى ، وهي هجومية ، يعني لا تستجلب بحيلة من الحيل ، ولا بعبادة من العبادات ، ولكن الله تعالى يتنزل على من يشاء من عباده ، وإن لم يزر هو فلا يستطيع أحد أن يستنزل تلك التجليات القدسية ، والمواهب اللدنية . قال ﷺ : ﴿ **إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** ﴾ . رواه مسلم ، والحاكم وصححه والطبراني وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والضياء .

١٧- وكُنتُ أَرَى أنَّ التعشُّقَ مِنْحَةٌ
لقلبي ، فما إنْ كانَ ، إلاَّ لِمِحْنتي

وكنت أعتقد أن العشق هبة من الله لقلبي ، حتى رمتني سهام الحب الإلهية . وسهام حبه ونظراته للعبد ، ما هي إلا بلايا ومصائب

واختبارات جسام ، يختبر الله تعالى بها صدق أهل المحبة ، ويميز بها بين الصادقين ، والمدعين .

١٨- مُنعَّمَـةٌ أحْشـايَ كانتْ قُـبَيْـلَ مـا
دَعَتـها لِتـشـقي بـالغـرامِ ، فلـبَّـتِ

الأحشاء : جمع حشي ، وهي ما انضمت عليه الضلوع .

يقول أنه كان منعماً ، مستريحاً براحة الغفلة والجهل ، متلذذاً في الدنيا بيسير العبادة ، وذلك قبل أن يدعوه داعي الجمال ، ويناديه نداء الحسن ، وتنكشف له تجليات المحبوب . فلا رقاد ، ولا راحة . بل فكر وألم ، وقلب هائم ، وجسد مضنى . فوإن شقى جسده ، فقد سعدت روحه .

١٩- فلا عـادَ لي ذاكَ الـنَّعيـمُ ، ولا أرى
منَ العيـشِ ، إلاَّ أنْ أعـيشَ بشـقوتـي

ما أقاسيه وأكابده من البلاء ، في هذا الحب الرباني ، قد اخترته على نعيم الغفلة ، والجهل بالله ، واللذائذ الفانية .

٢٠- فجسْمي وقلـبي ، مستحيلٌ ووَاجبٌ

وخـدِّيَ منـدوبٌ لجائـزِ عَبْرتـي

أما جسمي ، فقد استحال ، واضمحل ، وانمحق ، لفنائه في التجلي .

أما قلبي ، فواجب ، أي خافق ، شديدة خفقاته لهذا التجلي .

أما الخدود ، فذات ندوب .

والندب هو أثر الجروح على الجلد ، يعني أن خده مجروح بكثرة سيلان دموعه ، وبكائه .

٢١- وقالوا : جَرَتْ حُمْراً دُمُوعُكَ ، قلتُ : عنْ
أمورٍ جَرَتْ ، في كَثرةِ الشَّوقِ ، قَلَّتِ
٢٢- نحَرتُ لضيفِ الطَّيفِ ، في جَـفنيَ الكرى
قِـرًى فجَـرى دَمْـعي دَماً فوقَ وَجْنتي

قال أحبته : لم جرت دموعك ممزوجة بالدم ؟ فقلت : هذا من جراء أمور كثيرة جرت لي في طريق المحبة ، كالصد ، والهجران ، ومكابدة السهر ، وغيرها كثير . إلا أنها على كثرتها ، تعد قليلة بالنسبة إلى كثرة شوقي لكم .

ومن هذه الأمور أني قد ذبحت النوم في جفني لما زارني خيال محبوبي ،

وهو شهود الحق ، فهذا الدم فوق خدي من ذلك السهر والبكاء .

٢٣- ولما توَافـيْنا ، عِشـاءً ، وضمَّنا
سَـوَاءُ سـبيلَيْ ذي طُـوىً ، والثَّـنِـيَّـةِ

يعني ولما أجننا الليل ، تلاقينا في مكان وسط ، بين وادٍ معروف قرب مكة ، و**الثنية** موضع آخر .

٢٤- ومَنَّتْ ، وما ضَنَّتْ عليّ بوقفـةٍ
تُعـادِلُ عنـدي ، بالمُـعَرَّفِ وَقفتـي

وتفضلت عليَّ ، وما بخلت ، بوقفة ، تعادل عندي موقف عرفات .

٢٥- عَتبتُ فلمْ تُعتِبْ ، كأنْ لمْ يكنْ لِقىً
ومـا كـانَ إلاَّ أنْ أشـرتُ وأوْمَـتِ

فلما وقفت معها ، وصفت لها ما أجد من الضنى ، ولكنها لم ترض مني بذلك . فما كان إلا أن أشرت مصرحاً إليها بذلي وافتقاري ، فأومأت هي ، إما بالكف ، أو العين ، أو الحاجب ، بعدم قبوله .

وذلك أن جميع أفعاله هذه تدل على أنه ما زال ناظراً إلى نفسه وحاله ، لا إلى جمال محبوبه ، إذ من نظر إلى جمال محبوبه شغله ذلك عن كل محنة .

٢٦- أيا كعبةَ الحُسنِ ، الَّتي ، لِجمالِها
قلوبُ أولي الألبابِ ، لبَّتْ وحَجَّتِ

الخطاب هنا للحضرة الإلهية .

٢٧- فلا تحسبي أنِّي فنيتُ ، منَ الضَّنى
بغيرِكِ ، بل فيكِ الصَّبابةُ أبلتِ

فحبي لكِ ، وصدكِ عني ، هو محصلة بلائي .

٢٨- فلي ، بَعْدَ أوطاني ، سكونٌ إلى الفلا
وبالوَحشِ أُنسي إِذْ منَ الإنس وَحْشتي

فصار يجد راحته بعيداً عن العذال ، في الفيافي والصحارى ، ويأنس إلى الوحوش في القفار .

٢٩- وبانتْ ، فأمَّا حسنُ صبري فخانني

وأمَّا جُفُوني بالبكاءِ فَوَفَّتِ

وذلك حين يرد إلى نفسه ، وتسدل الحجب بينه ، وبين حبيبته .

بانت : يعني فارقت .

٣٠- وقدْ كانَ عندي وَصْلُها دونَ مطلبي
فعادَ تمَنيِّ الهَجرِ ، في القربِ ، قُرْبَتي

كان يريد فوق وصل محبوبته ، وزيادة عليه ، فلما رأى قطرة من جمالها ، وصب عليه من البلاء بذلك ، من الوصل والهجر ، والصد والقطع ، وكابد ما كابده في هذا الطريق ، فعاد يتمنى هجرها ، كما كان يتمنى وصلها .

٣١- غرامي أقِمْ ، صبري انصرمْ ، دمعي انسجمْ
عدوّي انتقمْ ، دهري احتكمْ ، حاسدي اشمتِ

يا غرامي كن لي ملازماً ، ويا صبري على أحبتي انقطع ، ويا دمعي انسكب على بعدهم ، ويا عدوي انتقم مني على قدر طاقتك ، ويا دهر امض في أحكامك عليَّ من خير أو شر ، ونفع أو ضر ، ويا حاسدي اشمت بي ، فرغم كل ذلك ، فلن ارجع عن طريق الحب ، ولن ابرح

بساحتـه .

وفي بعض الروايات : **عدوّي احتكمْ** ، **دهري انتقمْ** .

قلبي

يحدثني

قلبي يحدثني

١- قلبي يُحَدّثُني بأنّك مُتْلِفي

روحي فِداكَ ، عرَفْتَ أمْ لمْ تَعرِفِ

٢- ما لي سوَى روحي ، وباذِلُ نَفسِهِ

في حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ ، ليسَ بمُسرفِ

٣- فلَئِنْ رَضِيْتَ بها ، فقدْ أسعَفْتَني

يا خَيبَةَ المَسْعى ، إذا لمْ تُسْعِفِ!!

٤- يا مانِعي طيبَ المَنامِ ، ومانِحي

ثوبَ السّقامِ بهِ ووَجْدي المُتْلِفِ

٥- فالوَجْدُ باقٍ ، والوِصالُ مُماطِلي

والصَّبرُ فانٍ ، واللِّقاءُ مُسَوِّفي

٦- فالمَطْلُ مِنكَ لَدَيَّ ، إنْ عزَّ الوَفا

يَحْلو كَوَصْلٍ مِنْ حَبيبٍ مُسْعِفِ

٧- يا أهْلَ وُدّي !! أنتمُ أمَلي ، ومَنْ

ناداكُمُ يا أهْلَ وُدّي قدْ كُفي

٨- عُودوا لِما كُنتمْ عليهِ مِنَ الوَفا

كَرَماً ، فإنّي ذلِكَ الخِلُّ الوَفي

٩- وحياتِكُمْ وحياتِكُمْ ، قسَماً ، وفي

عُمري ، بغيرِ حياتِكُمْ ، لمْ أحْلِفِ

١٠- لوْ أنَّ رُوحي في يَدي ووَهَبْتُها

لِمُبشِّري بقدومِكم ، لم أنصِفِ

١١- لا تحسَبوني ، في الهوى ، مُتَصَنِّعاً
كَلَفي بكمْ خُلُقٌ بغيرِ تَكَلُّفِ

١٢- أخفَيتُ حُبَّكمُ ، فأخفاني أسىً
حتَّى ، لعَمري ، كِدتُ عنِّي أختَفي

١٣- أنتَ القَتيلُ بأيِّ مَنْ أحْبَبْتَهُ
فاخترْ لِنفسِكَ في الهوى مَنْ تصطفي

١٤- فإنِ اكتَفى غيري بطَيفِ خَيالِهِ
فأنا الَّذي ، بوِصَالِهِ لا أكْتَفي

١٥- وَقْفاً عليهِ مَحبَّتي ، ولِمِحْنَتي
بأقلِّ مِنْ تَلَفى بهِ ، لا أشْتَفي

١٦- وهَواهُ ، وهْوَ أَلِيَّتي ، وكَفَى بهِ
قَسَماً ، أكادُ أُجِلُّهُ كالمُصْحَفِ

١٧- لوْ قالَ تِيهاً : قِفْ على جَمْرِ الغَضا
لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلاً ، ولمْ أتَوَقّفِ
١٨- أوْ كانَ مَنْ يَرْضَى بخدِّي ، مَوْطِئاً
لَوَضَعْتُهُ أرْضاً ، ولمْ أسْتَنْكِفِ
١٩- مِنِّي لَهُ ذُلُّ الخضُوعِ ، ومنهُ لي
عِزُّ المَنُوعِ ، وقوَّةُ المُستَضْعِفِ
٢٠- لوْ أسمَعوا يَعقُوبَ ذِكْرَ مَلاحَةٍ
في وَجْهِهِ ، نَسِيَ الجَمالَ اليوسُفي
٢١- كلُّ البُدورِ ، إذا تجَلَّى مُقْبِلاً
تَصْبُو إليهِ ، وكلُّ قَدٍّ أَهْيَفِ
٢٢- إنْ قُلتُ : عِندي فيكَ كلُّ صَبابَةٍ
قالَ : المَلاحةُ لي ، وكلُّ الحُسنِ في
٢٣- كَمُلَتْ مَحاسِنُهُ ، فلوْ أهْدَى السَّنا

للبَدرِ ، عِندَ تَمامِهِ ، لمْ يُخسَفِ

٢٤- وعلى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِحُسْنِهِ
يَفْنَى الزَّمانُ ، وفيهِ ما لمْ يُوْصَفِ

قلبي يحدثني

١- قلبي يُحَدّثُني بأنّك مُتْلِفي
روحي فِداكَ ، عرَفْتَ أمْ لمْ تَعرِفِ

والقلب إذا حدث ، صدق. فحديث القلب دوماً ، حديث رباني .

ومتلفي : يعني مهلكي . إن كان في فنائي ظهورك ، فروحي فداك .
وفي المواقف : ﴿ **خلقتك لأظهر ، لا لتظهر** ﴾ .

فعندما خرجت عن وجودي ، الذي كنت أدعي أنه وجودي ، فإذا هو وجودك ، لا وجودي ، وإذا أنت الوجود كله .

وإذا اتصل وجودك بوجوده ، تمتعت ذاتك بشهوده .

ولما كان الله تعالى له مرتبة الغيب والشهادة ، ومرتبة الباطن والظاهر ، والأول والآخر ، والرافع والخافض ، والتنزه والتنزل ، أشار إلى ذلك بقوله **عرفت أم لم تعرف** .

فأنا فانٍ في الله ، ظاهر به في كل هذه المراتب .

٢- ما لي سوَى روحي ، وباذِلُ نَفسِهِ
في حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ ، ليسَ بمُسرفِ

أي ليس لي إلا روحي ، لأني مت عن الجسد ، بمقتضى الفناء المطلق

إن قلت ، يا روحي ، لسبوحي يقول لي ، بل أنت ، يا روحي

٣- فلَئِنْ رَضِيْتَ بها ، فقدْ أسعَفْتَني

يا خَيبَةَ المَسْعى ، إذا لمْ تُسْعِفِ!!

فإن قبلتها ، وهي روحك أصلاً ، فقد أفنيتني عن مرادي . وإن لم ترض برفع نسب روحي إليك ، فأنا ما أندب إلا حظي السئ .

٤- يا مانِعي طيبَ المَنامِ ، ومانِحي
ثوبَ السِّقامِ بهِ ووَجْدي المُتْلِفِ

المانع خلاف **المانح** .

يا مانعي : أي في الحال والإستقبال . فهذا شرط في اسم الفاعل ، أن يكون بمعنى الحال والإستقبال .

والسقام : يعني الأمراض .   **والوجد** : هو شدة الحب .

٥- فالوَجْدُ باقٍ ، والوِصالُ مُماطِلي
والصَّبرُ فانٍ ، واللِّقاءُ مُسَوِّفي

الوجد : ما يجده المحب من شدائد المحبة .

وباق : يعني ملازم ، لا ينفك عني ، ولا يزول . وذلك من أجل أن وصلي بمحبوبي معدوم .

ومُسَوِّفي : يعني مؤجل .

٦- فالمَطْلُ مِنكَ لَدَيَّ ، إنْ عزَّ الوَفا
يَحْلو كَوَصْلٍ مِنْ حَبيبٍ مُسْعِفِ

يقول لمحبوبته : عديني وأمطلي ، فهذا الوعد يحلو لي ، كأنك وصلتني .

٧- يا أهْلَ وُدِّي !! أنتمُ أمَلي ، ومَنْ
ناداكُمُ يا أهْلَ وُدِّي قدْ كُفي

ياأهل محبتي ، أنتم رجائي ومطلوبي ، وكل من ناداكم ، واستند إليكم ، فقد كفيتموه جميع المهمات .

٨- عُودوا لِما كُنتمْ عليهِ مِنَ الوَفا
كَرَماً ، فإنّي ذلِكَ الخِلُّ الوَفي

خطاب لأهل المحبة ، أن يعودوا إلى ما عودوه من كرم الوفاء ، إذا أنه مع طول البعاد على وفائه لهم .

يريد أن يرجع إلى علم الله ، كما كان قديماً في علم الله ، متلذذاً بالله ،

لا بشئ زائد أو زائل .

٩- وحياتِـكُمْ وحياتِـكُمْ ، قسَماً ، وفي

عُمْـري ، بغيرِ حيـاتِكُمْ ، لمْ أحْلِفِ

فهو لم يقسم قط إلا بمحبوبه لفنائه فيه وعدم رؤية غيره حتى يقسم به .

١٠- لوْ أنَّ رُوحي في يَـدي ووَهَبْتُـها

لِمُبشِّـري بـقدومِكــمْ ، لــمْ أنـصِفِ

فلو كنت أملك روحي تصرفاً ، لأعطيتها هدية لمن يبشرني بقدومكم . أي لمن يبشرني بتجليكم الأقدس الأكبر عليَّ ، تجلياً يأخذني عن نفسي وعن كلي ، ومع ذلك لم أكن لأوفيه حقه بإعطائه روحي .

١١- لا تحسَـبوني ، في الهوى ، مُتَصَنِّعاً

كَـلَفـي بكـمْ خُـلُـقٌ بـغيـرِ تَكَلُّفِ

لا تحسبوني بما قلته من إعطائي روحي لمبشري بقدومكم متكلفاً ، أو مدعياً ، مبالغة في المحبة ، بل هي دعوى صادقة بغير زيادة ولا نقصان .

١٢- أخـفَـيتُ حُـبَّـكمُ ، فأخـفـاني أسـىً

حتَّى ، لعَمري ، كِدتُ عنِّي أختَفي

إخفاء الحب من قوانين المحبين ، فيحرم إظهار الحب ، أو البوح بالغرام .

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح

يقول : أخفيت حبي وكتمته ، حتى صرت من السقم خافياً عن العيون ، وكدت عني أختفي . **هو الفناء في أوله .**

١٣- أنتَ القَتيلُ بأيِّ مَنْ أحْبَبْتَهُ

فاخترْ لِنفسِكَ في الهوى ، مَنْ تصطفي

ولما كان القتل في سبيل المحبوب من لزوميات المحبة ، فليختر المحب لنفسه حبيباً يصلح لأن يفديه بنفسه . ولكن ليس الحب اختياراً بل قدر واقع .

١٤- فإنِ اكتَفى غيري بطَيفِ خَيالِهِ

فأنا الَّذي ، بوِصَالِهِ لا أكْتَفي

بيت يشير إلى علو همة قائله .

فإن اكتفى العارفون ببعض التجليات الأسمائية والصفاتية ، فأنا لا أكتفي إلا إذا وصلت إلى التجليات الذاتية فناءً ، ثم بقاءً بالله تعالى .

وصدق من قال :

بخيالكم إن كان غيري يكتفي

فأنا الذي لا أكتفي بوصاله

١٥- وَقْفاً عليهِ مَحبَّتي ، ولِمِحْنَتي

بأقلِّ مِنْ تَلَفى بهِ ، لا أشْتَفي

يقول : حبست نفسي على محبته وقفاً ، ولا يرضيني إلا أن تهلك نفسي فناءً فيه ، ولا يرضيني أقل من ذلك .

١٦- وهَواهُ ، وهْوَ أَلِيَّتي ، وكَفى بهِ

قَسَماً ، أكادُ أُجِلُّهُ كالمُصْحَفِ

١٧- لوْ قالَ تِيهاً : قِفْ على جَمْرِ الغَضا

لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلاً ، ولمْ أتَوَقّفِ

١٨- أوْ كانَ مَنْ يَرْضَى بخدِّي ، مَوْطِئاً

لَوَضَعْتُهُ أرْضاً ، ولمْ أسْتَنْكِفِ

يقسم بهوى محبوبه ، وهو عنده قسم جليل ، قديم ككلام الله تعالى ، أن محبوبه لو قال له ، خيلاءً وإدلالاً ، لا لسبب آخر ، ولا لحكمة عقلية : قف على الجمر المتقد ، الذي لا تنطفئ ناره ، لسارعت بالوقوف ممتثلاً أمره .

ولو كان يرضى بخدِّي موطئاً لنعاله ، لوضعت خدي أرضاً يمشي عليه ، فهذا نهاية شرفي ، وغاية مقصدي ، وهو رضاه بأي ثمن .

١٩- مِنّي لَهُ ذُلُّ الخضُوعِ ، ومنهُ لي

عِزُّ المَنُوعِ ، وقوَّةُ المُستَضْعِفِ

هذا حاله بعد غلبه الهوى ، وتمكن الجوى . فصفات العبودية : الذل ، والعجز ، والجهل ، والفقر ، يقابلها من الربوبية : العز ، والقوة ، والعلم ، والغنى .

٢٠- لوْ أسمَعوا يَعقُوبَ ذِكْرَ مَلاحَةٍ

في وَجْهِهِ ، نَسِيَ الجَمالَ اليوسُفي

إذ أن الله تعالى ، هو الجمال المطلق ، وكل جمال من جماله .

٢١- كلُّ البُدورِ ، إذا تجَلَّى مُقْبِلاً

تَـصْبُـو إلـيـهِ ، وكـلُّ قَـدٍّ أَهْيَــفِ

القـــد : هو الخصـر .

فمن جمال محبوبه ، أن البدور في السماء تميل إليه ، والبدور هنا كناية عن الكُمَّـل من أهل الله ، كما أن جماله في خلقه يظهر ظهوراً واضحاً لا مراء فيه .

٢٢- إنْ قُلتُ : عِنـدي فيـكَ كلُّ صَبـابةٍ
قـالَ : المَلاحـةُ لي ، وكـلُّ الحُسـنِ في

٢٣- كَـمُلَـتْ مَحَاسِـنُـهُ ، فلوْ أهْدَى السَّنا
للبَـدرِ ، عِنـدَ تَمـامِـهِ ، لـمْ يُخسَـفِ

الســنا : الضوء والنور .

يقول : إن شرحت للحبيب ما عندي من الصبابة به ، وقلت له جميع الصبابة حاصلة عندي ، قال أنا مستحق لذلك ، لأن جميع الحسن والملاحة في . فمن ملك جميع الجمال ، تملّك قلوب الرجال .

فلو فرض أنه أهدى نوره إلى القمر وقت كماله ، لم يتطرق إليه الكسوف ، لأن نوره الذي أهداه يمنع ذلك .

٢٤- وعلى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِحُسْنِهِ
يَفْنَى الزَّمانُ ، وفيهِ ما لمْ يُوْصَفِ

أي على تفنن القوم الذين وصفوا جمال هذا المحبوب ، فلم يستطيعوا حتى الآن أن يبلغوا غاية وصفه ، ولا أن يستغرقوا ما فيه من وافر الجمال ولو استمروا على ذلك إلى انتهاء الزمان .

هو

الحب

هو الحب

١- هُوَ الحُبُّ ، فاسْلَمْ بالَحشَا ما الَهوَى سَهْلُ
فما اخْتارَهُ مُضْنًى بهِ ، وله عَقْلُ
٢- وعِشْ خاليا ، فالُحبُّ رَاحَتُهُ عَناً
وأوَّلُهُ سُقْمٌ ، وآخِرُهُ قَتْلُ
٣- ولكِنْ لَدَيَّ الموتُ فيه صَبَابَةً
حياةٌ لمنْ أَهْوَى ، عَلَّي بها الفَضْلُ
٤- نَصَحْتُكَ علمًا بالَهوى ، والذي أرى
مُخَالَفتي ، فاخْتَر لنفسِك ما يَحْلُو
٥- فإنْ شِئْتَ أنْ تَحْيا سَعِيدًا ، فَمُتْ به
شَهيدًا ، وإلاَّ فالغَرامُ له أَهْلُ
٦- فمنْ لمْ يَمُتْ في حُبِّهِ لمْ يعشْ بهِ ،
ودونَ اجتِناءِ النَّحلِ ما جنتِ النَّحلُ
٧- تَمَسّكْ بأذيالِ الهوَى ، واخلَعِ الحيا
وخَلِّ سَبيلَ النَّاسكينَ ، وإنْ جَلُّوا

٨- وقُلْ لقتيلِ الحبِّ : وَفَّيتَ حَقَّهُ ،
وللمدَّعي : هيهاتَ ما الكَحَلُ الكُحْلُ
٩- أحِبَّةَ قلبي ، والمَحَبَّةُ شافِعي
لدَيكمْ ، إذا شِئتُمْ بها اتَّصَلَ الحبلُ
١٠- عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عَليَّ بِنَظْرةٍ
فقد تَعِبَتْ بَينِي وبَينكُمُ الرُّسْلُ
١١- أحِبَّايَ أنتم ، أحْسَنَ الدَّهْرُ أمْ أسَا
فكُونُوا كما شِئْتُمْ ، أنا ذلك الخِلُّ
١٢- إذا كانَ حَظِّي الهَجْرُ منكم ، ولم يَكُنْ
بِعَادٌ ، فَذَاكَ الهَجْرُ عِنْدي هُوَ الوَصْلُ
١٣- ومَا الصَّدُّ إلا الوِدُّ ، مالم يَكُنْ قِلًى
وأصْعَبُ شيءٍ غَيْرَ إعْراضِكُمْ سَهْلُ
١٤- وتَعْذِيبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ ، وجَوْرُكُم
عَلَّي ، بما يَقْضِي الهَوى لكُمُ ، عَدْلُ
١٥- أَخَذْتُمْ فُؤادِي ، وَهْوَ بَعْضِي ، فما الذي
يضُرُّكُمُ لو كانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ

١٦- فسُهديَ حَيٌّ ، في جُفوني ، مُخَلَّدٌ
ونَومي بها مَيتٌ ، ودمعي لهُ غُسْلُ
١٧- وماذا عسى عنِّي يُقالُ سِوى غَدا
بنُعمٍ ، لهُ شُغلٌ ، نعَمْ لي بها شُغلُ
١٨- وقالَ نِساءُ الحَيِّ : عَنَّا بذِكرِ مَنْ
جَفانا ، وبعدَ العزِّ لَذَّ لهُ الذلُّ
١٩- إذا أنعَمَتْ نُعْمٌ عليَّ بنظْرةٍ
فلا أسعدتْ سعدَى ولا أجملتْ جُملُ
٢٠- وقدْ صَدِئتْ عَيني برُؤيةِ غَيرها
ولَثمُ جُفُوني تُربَها للصَّدا يجلو
٢١- وقدْ عَلِمُوا أنِّي قَتيلُ لِحاظِها
فإنَّ لها ، في كلِّ جارحَةٍ ، نَصْلُ
٢٢- حَديثي قديمٌ في هواها ، وما لهُ
كما عَلِمتْ ، بَعْدٌ ، وليسَ لها قبلُ
٢٣- وما ليَ مِثْلٌ في غَرامي بها ، كما
غَدَتْ فِتْنَةً في حُسنِها ، ما لها مِثلُ

٢٤- حَرامٌ شِفا سُقْمي لديها ، رضيتُ ما
بهِ قسمَتْ لي في الهوَى ، ودمي حِلُّ
٢٥- فحالِي وإنْ ساءَتْ فقد حَسُنَتْ بها
وما حَطَّ قدْرِي في هواها به أَعْلُو
٢٦- خفيتُ ضنًى ، حتى لقد ضلَّ عائدي
وكيفَ ترى العُوَّادُ من لا له ظِلُّ
٢٧- وما عَثَرَتْ عَينٌ على أثَري ، ولمْ
تَدَعْ ليَ رَسماً في الهوى الأعينُ النُّجلُ
٢٨- ولي هِمَّةٌ تَعلو ، إذا ما ذَكَرْتُها
وروحٌ بذِكراها ، إذا رَخُصَتْ ، تغلُو
٢٩- جَرَى حُبُّها مَجرَى دمي في مَفاصِلي
فأصْبَحَ لي ، عنْ كلِّ شُغلٍ ، بها شغلُ
٣٠- فنافِسْ بِبَذْلِ النَّفْسِ فيها أخا الهَوَى
فإنْ قَبِلَتْها منكَ ، ياحَبَّذَا البَذْلُ
٣١- فمَنْ لم يَجُدْ ، في حبِّ نُعْمٍ ، بنَفْسِهِ
ولو جادَ بالدُّنيا ، إليه انْتَهَى البُخلُ

٣٢- ولَولا مراعاةُ الصِّيانةِ ، غَيْرَةً ،
ولو كَثُرُوا أهْلُ الصَّبابةِ ، أو قلُّوا
٣٣- لقُلتُ لِعُشَّاقِ الملاحةِ : أقبِلوا
إليها ، على رأيي ، وعَنْ غيرِها وَلُّوا
٣٤- وإنْ ذُكِرَتْ يومًا ، فَخرُّوا لذكرِهَا
سُجودًا ، وإنْ لاحَتْ ، إلى وجْهَها ، صَلُّوا
٣٥- وفي حُبِّها بِعْتُ السَّعادةَ بالشَّقا
ضَلالاً ، وعَقْلي عنْ هُدايَ ، بهِ عقلُ
٣٦- وقلتُ لِرُشْدِي والتَّنسُّكِ ، والتُّقَى :
تَخَلُّوا ، وما بَيْني وبينَ الَهوَى خَلُّوا
٣٧- وأصبو إلى العذال ، حبا لذكرها
كأنهم ، ما بيننا في الهوى ، رسل
٣٨- فإنْ حَدَّثوا عَنها ، فَكُلِّي مسامِعٌ
وكُلِّي ، إنْ حَدَّثْتُهُم ، ألسُنٌ تَتْلوا
٣٩- تَخالَفَتِ الأقوالُ فينا ، تبايُناً
برَجْمِ ظُنونٍ بَينَنا ، ما لها أصلُ

٤٠- فشَنَّعَ قومٌ بالوِصالِ ، ولمْ تَصِلْ
وأرْجَفَ بالسِّلوانِ قَومٌ ، ولمْ أسلُ

٤١- فما صَدَقَ التَّشنيعُ عنها ، لشِقْوَتي
وقد كذبَتْ عنِّي الأراجيفُ والنَّقلُ

٤٢- وكيفَ أُرَجِّي وَصْلَ مَنْ لو تَصَوَّرَتْ
حِماها المُنى ، وَهْماً ، لضاقتْ بها السُّبلُ

٤٣- وإنْ وعَدَتْ لمْ يلْحَقِ الفعلُ قولَهَا
وإنْ أوْعَدتْ فالقولُ يَسْبِقُهْ الفِعْلُ

٤٤- عِديني بِوَصْلٍ ، وامْطُلي بِنَجَازِهِ ،
فعِندي ، إذا صَحَّ الهوَى ، حَسُنَ المطلُ

٤٥- وما برِحوا مَعنىً أراهُمْ مَعي ، فإنْ
نأوا صورَةً ، في الذِّهنِ قامَ لهمْ شكلُ

٤٦- فهم نَصْبَ عينِي ظاهِرًا حيثُما سَرَوْا
وهُمْ في فؤادي ، باطِنا ، أينما حَلُّوا

٤٧- لهم أبدًا مِنّي حُنُوٌّ ، وإنْ جَفَوْا
ولِي أبَدَا مَيْلٌ إليهم ، وإنْ مَلُّوا

هو الحب

١- هُوَ الحُبُّ ، فاسْلَمْ بالَحشَا ما الَهوَى سَهْلُ

فما اخْتـارَهُ مُضْـنًى بهِ ، ولـه عَقْلُ

أسلوب تعظيم ، لتعظيم مقام الحب ، وتهويله . فالله تعالى هو الحب ، والمحبوب ، والمحب .

وحيث علمت مرتبة هذا الحب العظيمة ، التي لا يكاد الذهن أن يتصورها ، فاسلم بحشاك ، وإلا احترق حشاك من شدة هواك .

فالحب منه تعالى ، له ، قال تعالى : ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . فإتيانه بهم يدل على استيلائه على حولهم وقوتهم ، وأنه تعالى هو البادئ بالحب ، وهو المجتبي لمن يصلح لمحبته .

واسلم بالحشا كناية عن السلامة من جميع التعلقات الدنيوية ، والأخروية ، حتى يصلح للمحبة .

والعقل يقول أن الإنسان لابد وأن يبتعد عن كل ما يضره ، فمن اختار ضنى الحب وعذابه ، على راحة باله ، فهذا رجل فقد عقله .

وهي كناية عن أن الحب لا يكون بالعقل ، ولكن لابد أن يسجد العقل حتى تشرق أنوار الحب في الروح ، فالحب الصادق هو الذي لا عقل فيه وإنما تتنزل أنوار تجليات الجمال على أرواح المحبين ، فتذهب بعقولهم ، وتجذب أرواحهم إلى الله ، الذي هو وطنهم الحقيقي .

٢- وعِشْ خاليا ، فالْحبُّ رَاحَتُهُ عَناً
وأوَّلُهُ سُقْمٌ ، وآخِرُهُ قَتْلُ

ينصحه أن يعيش خالي البال من الحب ، فراحة الحب عناء ، فكيف بعنائه ، فأوله مرضٌ ، وآخره قتل في سبيل محبوبه . وهذا كناية عن المجاهدات التي يمر بها المحب في بدايته ، حتى يقتل نفسه ، ويصير فانياً في حبيبه .

٣- ولكِنْ لَدَيَّ الموتُ فيه صَبَابَةً
حياةٌ لمنْ أَهْوَى ، عَلَّي بها الفَضْلُ

ولكن الموت في سبيل المحبوب ، هو عين الحياة ، فالله تعالى يأخذ منك حياة فانية ، ويعطيك ألف حياة باقية ، فله الفضل عليك بهذا الموت .

٤- نَصَحْتُكَ علمًا بالهَوى ، والذي أَرى

مُخَالَفتي ، فاخْتَر لنفسِك ما يَحْلُو

بذلت لك النصيحة ، لأجل علمي بالهوى ، وما ينشأ عنه من متاعب .

وهذه النصيحة على مقتضى ما عليه عامة الناس ، وأما رأيي أنا ، وعلى ما تقتضيه خصوصيتي ، هو مخالفة هذا الرأي .

فإن شئت فاتبع طريق السلامة ، وإن شئت سلكت سبيل الملامة .

٥- فإنْ شِئْتَ أنْ تَحْيا سَعِيدًا ، فَمُتْ به

شَهيدًا ، وإلاَّ فالغَرامُ لهُ أَهْلُ

فالشهداء في سبيل الله لا يموتون ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾{آل عمران : ١٦٩} ، وقال ﷺ : ﴿ **موتوا ، قبل أن تموتوا** ﴾ .

وفي التائية الكبرى :

هوَ الحُبُّ ، إنْ لَمْ تَقْضِ لم تَقْضِ مأرباً

مِنَ الحِبِّ ، فاخْتزْ ذاكَ ، أو خَلِّ خُلَّتِي

والشهداء ثلاثة : أولها وأعلاها شهيد الحب الإلهي .

والثاني شهيد الدنيا والآخرة ، فلا يغسل ، ولا يصلى عليه في الدنيا ، ويشهد الله له في الآخرة .

والمرتبة الثالثة هو شهيد الآخرة ، فيغسل في الدنيا ، ويصلى عليه ، ويحسب في الآخرة من الشهداء ، وهو الغريق ، والحريق ، والمبظون ، والغريب ، وغيره .

٦- فمن لم يَمُتْ في حُبِّهِ ، لَمْ يَعِشْ بِهِ ،
ودُونَ اجْتِناءِ النَّحلِ ما جَنَت النَّحْلُ

فشرط قبول المحبين ، موت نفوسهم بالمجاهدات .

والإجتناء هو إخراج أقراص العسل من مواضعها .

فقبل أن تصل إلى العسل في خلاياه ، لابد أن يصيبك النحل بأذاه .

٧- تَمَسَّكْ بأذيالِ الهَوى ، واخْلَعِ الحَيَا
وخَلِّ سَبيلَ النَّاسِكينَ وإن جَلُّوا

لابد من قتل النفس في طريق المحبة ، وقتل النفس يستدعي عدم النظر

إلى مكانتها عند الخلق ، فلابد أن يلجأ المحبون إلى القيام ببعض المجاهدات ، التي تكون في ظاهرها مكروهة في الشرع ، وفي باطنها محبوبة ، حتى تذهب مكانته في عين الخلق ، فيموتون في نظره ، فلا يلاحظ حينها إلا نظر الله تعالى . وهذا قد يجر العلماء والعابدين الذين لا سلوك لهم في الطريق ، إلى الإنكار عليه ، فلا يلتفت إلى ذلك . فإن كان مشتهراً في مكان بالعلم ، ويشار إليه بذلك ، فإنه يتخفى بإظهار الجهل ، وعدم المعرفة ، حتى ينفض الناس من حوله ، ويخلو ذهنه وقلبه لله تعالى .

٨- وقُلْ لِقَتيلِ الحُبِّ : وفَّيتَ حَقَّهُ
وللمُدَّعِي : مالْكَحَلُ الكُحْلُ

الكَحَل : الكحل المصنوع

والكُحْل : العيون الكحلاء طبيعة .

٩- أحِبَّةَ قلبي ، والمَحَبَّةُ شافِعي
لدَيكمْ ، إذا شِئتُمْ بها اتَّصَلَ الحبلُ

أضاف الأحبة إلى قلبه ، لصدقه في محبتهم ، ولا وسيلة إلى قربكم ،

والوصول إلى لقائكم ، إلا محبتي .

١٠- عسَى عَطفَةٌ منكمْ عَليَّ بنظرةٍ
فقدْ تَعِبَتْ بَيني وبَينكمُ الرُّسلُ

يترجى من محبوبه أن يحنو عليه بنظرة منه ، إليه ، يصلح بها ظاهره وباطنه ، وتنتعش بها روحه .

والرسل هنا ، هم الأنبياء والمرسلون من الله إلى الخلق ، لإصلاحهم على طبق الشريعة .

١١- أحِبَّايَ أنتمْ ، أحسَنَ الدَّهرُ أمْ أسا
فكونوا كما شِئتمْ ، أنا ذلكَ الخِلُّ

أنتم أحبابي على كل حال ، لا أتحول عن محبتكم أبداً ، فمحبتي لكم مجبولة على الشكر ، في السراء ، والضراء .

١٢- إذا كانَ حَظِّي الهَجْرَ منكمْ ، ولمْ يكنْ
بِعادٌ ، فذاكَ الهجرُ عندي هوَ الوَصْلُ

إذا كان هجركم لي للتاديب ، ولم يكن لإبعادي عنكم ، وطردي ، فما

هو إعراض ، بل هو إقبال واعتناء .

١٣- وما الصَّـدُّ إلاَّ الـوُدُّ ، ما لمْ يكـنْ قِـلىً
وأصْعَبُ شيءٍ غيرَ إعراضِـكمْ سَـهلُ

إذا كان الصد ناشئاً عن الدلال ، دون الملال ، فهو من مطالب المحبين ، ومن مقاصد العاشقين . كما قال القائل : **ويدل هجركم عَلَى أني خطرت ببالكم** . وهو كناية عن قوله ﷺ : ﴿ **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا** ﴾ . رواه الترمذي والحاكم وأبو يعلى وابن عدي والطحاوي والبغوي . فهذا تأديب وإصلاح للعبد ، وإن كان في ظاهره صد وهجر . أما إذا كان الصد والإعراض ، عن بغض وكراهة للعبد ، كان وبالاً على العبد ، وعقاباً له . فأصعب البلايا سهل دون هذا الإعراض .

١٤- وتَعذيبُكمْ عَذبٌ لَدَيَّ ، وجَوْرُكمْ
عليَّ ، بما يَقضي الهَوَى لكُمُ ، عَدلُ

لكل شئ ظاهر ، وباطن . والظاهر عكس الباطن ، فإن عذب المحبوب حبيبه ، فذلك هو النعيم ، وإن جار عليه ، فذلك هو العدل .

فإن المحب لا يرى البلاء ، بل يرى المبتلي ، فيسكر برؤيته جمال من ابتلاه ، فيشرب البلاء ، ولا يشربه البلاء .

١٥- أخَذتُمْ فؤادي ، وهوَ بَعضي ، فما الَّذي

يَضُرُّكُمُ لوْ كانَ عِندَكُمُ الكُلُّ

خطاب لحضرة الذات العلية بأن تخلصه من حضرة الأسماء والصفات التي حضرة الشفعية ، وتجذبه إلى الذات المقدسة التي هي حضرة الوترية .

١٦- فسُهديَ حَيٌّ ، في جُفوني ، مُخَلَّدٌ

ونَومي بها مَيتٌ ، ودمعي لهُ غُسْلُ

السهد : هو الأرق . فحال المحبين أرق دائم ، ودمع سائل .

١٧- وماذا عسى عنّي يُقالُ سِوى غَدا

بنُعمٍ ، لهُ شُغْلٌ ، نَعَمْ لي بها شُغلُ

وما آخر ما يشنع به المشنعون عليّ ، إلا أن يقولوا أني مشغول بحب **نُعم** وأنا أقول لهم : نَعَم ، أنا مشغول بحبها ، حتى عن نفسي .

١٨- وقالَ نِساءُ الحَيِّ : عَنّا بذِكرِ مَنْ

جَفانا ، وبعدَ العِزِّ لَذَّ لهُ الذلُّ

عنَّا : فعل أمر بمعنى تنحى .

لما علم نساء الحي بأنه أحب فتاة من غيرهم ، أظهرن الغيرة ، وقلن أنه كان في حبنا عزيزاً ، ولكنه الآن قد ذلّ بحب غيرنا .

ومن عرف الله تعالى ، وتحقق به ، عرف فناء كل ما سواه ، ولا يكون له عز إلا عز الحق والإنقياد إليه ، وما عدا ذلك من الأكوان فذل وهوان .

١٩- إذا أنعَمَتْ نُعْمٌ عليَّ بنظْرةٍ
فلا أسْعَدتْ سُعْدَى ولا أجْمَلَتْ جُمْلُ

نُعم ، و**سُعدى** ، و**جُمل** ، أسماء محبوبات مشهورات .

فإذا أنعمت عليّ **نُعم** بنظرة منها ، فلا أسْعَدَت **سُعدى** بوصلها ، ولا أجملَت **جُمل** بفضلها ، فلا يريد إلا حبيباً واحداً .

ونُعم ، هي كناية عن **الحضرة الإلهية** .

٢٠- وقدْ صَدِئتْ عَيني برُؤيةِ غَيرِها
ولَثمُ جُفُوني تُربَها للصَّدا يجلو

يقول : فإن صدئت مرآة قلبي ، وصفاء وجودي بملاحظة الأكوان ، فما إلا أن تقبل جفوني للتراب الذي تمشي عليه ، وهو كناية انمحاق الآثار ، حيث تنكشف عن عين قلبه الأغيار ، وتظهر له أسرار الواحد القهار .

٢١- وقدْ عَلِمُوا أنِّي قَتيلُ لِحاظِها
فإنَّ لها ، في كلِّ جارحَةٍ ، نَصْلُ

اللحاظ : موخر العين . وأنا قتيل تجليات الجمال الإلهية ، متوصلاً بها إلى الفناء ، والإضمحلال بالكلية . ولا يتوصل إلى ذلك إلا بعد مكابدة الأهوال . فكأن في كل عضو من أعضائه نصل . و**النصل** هي حديدة السيف أو الرمح أو السهم ، من هذه المجاهدات والبلاءات .

٢٢- حَديثي قديمٌ في هواها ، وما لَهُ
كما عَلِمتْ ، بَعْدٌ ، وليسَ لها قبلُ

فمحبتي لها قديمة ، حيث كنت أولاً في علم الله ، ينعمني الله بنفسه ، لا بشئ آخر . وهذا المعبر عنه بـ **الأزل** ، ثم المرور بالدورة الخلقية ، حيث الخروج إلى عالم الشهادة ، الدنيا ، ثم البرزخ ، ثم الآخرة ، ثم الجنة ثم الأبد ، حيث الرجوع إلى علم الله مرة أخرى **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾** {الأعراف:٢٩} .

٢٣- وما ليَ مِثْلٌ في غَرامي بها ، كما
غَدَتْ فِتْنَةً في حُسنِها ، ما لها مِثلُ

فهو مفرد في هواها ، وهي فريدة ، في حسنها ، وبهاها .

٢٤- حَرامٌ شِفا سُقْمي لديها ، رضيتُ ما
بهِ قسمَتْ لي في الهوَى ، ودمي حِلُّ

رضيت بكل ما يرضيها ، وإن أهدرت دمي ، وابتلتني بالأسقام والأوجاع .

٢٥- فحالي وإنْ ساءَتْ فقدْ حَسُنَتْ بهِ
وما حطَّ قدري في هواها به أعْلو

فحالي ، وإن كانت في ظاهرها سيئة ، ففي باطن الأمر هي في غاية الحسن ، لكونها سبب كل ما أنا فيه ، فأنا لا أشعر إلا بها ، وكأن هذه الإبتلاءات ما هي إلا نظرات من محبوبتي إليّ .

٢٦- خَفيتُ ضَنىً ، حتَّى لقدْ ضَلَّ عائدي
وكيفَ ترَى العُوَّادُ مَنْ لا لهُ ظِلُّ

لما جاء عائده يعوده في أمراضه وأسقامه وأوجاعه ، لم يجده ، لأن أسقامه من شدتها عليه ، نحلتـه ، وكأنه لا ظل له .

٢٧- وما عَثَـرَتْ عَيـنٌ عــلى أثَـري ، ولـمْ
تَـدَعْ ليَ رَسماً في الهوى الأعينُ النُّجلُ

ولما أن الأعين النجل ، وهي العيون السود الواسعة ، لما تركته عدماً ، ولم تترك له رسماً ، فإن أعين الحساد لم تطله .

وهذا كناية على أن المشاهدين في حال شهودهم ، يصبحون غيباً عن الكون كله ، فيعلمون كل شئ ، ولا يعلمهم شئ .

٢٨- ولي هِمَّــةٌ تَعلــو ، إذا مـا ذَكَـرْتُـها
وروحٌ بـذِكـراهـا ، إذا رَخُـصَتْ ، تَغْــلُو

فبذكر الله تعالى ، تعلو الهمم ، وتغلو الأرواح ، بعد أن كانت رخيصة بالغفلة عن الله تعالى .

٢٩- جَرَى حُبُّها مَجرَى دمي في مَفَاصِلي

فأصْبَحَ لي ، عنْ كُلِّ شُغْلٍ ، بها شُغْلُ

فما بقى إلا الحق تعالى ، قائم بنفسه ، وقائم به ، فلم يعد يرى نفسه ، حيث ذهبت مع الذاهبين ، ولم يعد يرى إلا الله ، بالله .

٣٠- فنافِسْ ببَذلِ النَّفسِ فيها أخا الهوَى
فإنْ قَبِلَتْها منكَ ، يا حَبَّذا البَذلُ
٣١- فمَنْ لمْ يجُدْ ، في حُبِّ نُعْمٍ ، بنفسِهِ
ولوْ جادَ بالدُّنيا ، إليهِ انتهَى البُخلُ

عليك بمغالبة غيرك يا أخا الهوى من المحبين ، فابذل في سبيلها نفسك ، وإن كانت نفيسة ، فإن قبلتها منك ، بأن بدلت جميع صفاتها الخلقية ، إلى صفات حقية ، فيا حبذا هذا البذل ، بهذا القبول ، فهي تعطيك كل شئ ، ولا تريد منك إلا شيئاً واحداً . إن قدمت لها الدنيا جميعها ، ولم تقدم لها هذا الشئ ، فأنت أبخل الناس ، فأخرج عن كل ما سواه تعالى من الدنيا والآخرة ، وقدِّم نفسك إليه .

٣٢- ولَولا مراعاةُ الصِّيانةِ ، غَيْرَةً
ولو كَثُرُوا أهْلُ الصَّبابةِ ، أو قلُّوا

٣٣- لقُلتُ لِعُشَّـاقِ الملاحـةِ : أقبِـلوا
إليهـا ، على رأيـي ، وعَنْ غيـرِها وَلُّـوا
٣٤- وإنْ ذُكِـرَتْ يَوْماً ، فخُـرُّوا لذِكـرِها
سُجوداً ، وإنْ لاحتْ ، إلى وجهها ، صَلُّوا

الصيانـة : هي الحفظ .

يقول : فلولا أن يفتن الجاهلون من عشاق النساء والدنيا بما أقول لهم ، فيخرجون عن الشرع الشريف ، وينتهكون حرمات الله تعالى ، لدعوتهم جميعاً إلى طريق حبها ، فتظهر عليهم الأحوال ، والشطحات ، التي قد تكون مخالفة في ظاهرها لظاهر الشرع ، ولكني أغار على الشرع الشريف أن تنتهك حدوده ، فلن أدعو أحداً إليها ، صيانة لظاهر الشرع الشريف بل الله تعالى يختار منهم من يشاء .

ولما كانت جميع الملاحة الظاهرة في الأكوان من ملاحتها ، فكل من رأى شيئاً يذكره بمحبوبه ، فليخر ساجداً لذكره ، وليصل حيث رآه **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾**{البقرة:١١٥} .

٣٥- وفي حُبِّـهـا بِعْتُ السَّعـادةَ بالشَّـقـا

ضَـلَالاً ، وعَقْـلي عنْ هُـدايَ ، بـهِ عقْـلُ

وفي حب الله تعالى بعت السعادة الدنيوية الفانية ، بالإعراض عنها . بعتها بما قاسيته من أهوال في طريق المجاهدة والسلوك ، واعتراض أهل الغفلة ، وما كان ذلك إلا هياماً في محبوبتي . وأصبح عقلي غائباً عن تدبير أمور معاشي ونفسي ، لشغله بتحصيل المعرفة الإلهية ، والفتوحات الربانيــة .

و**العَقْـلُ** : هو القيـد . من عِقال الناقة .

٣٦- وقُلتُ لـرُشْدي والتَّنَسّكِ ، والتُّقى :
تخَـلُّوا ، وما بيـني وبيـنَ الهـوَى خَلُّــوا

فهو الآن أصبح مشغولاً بالمعبود ، لا بالعبادة . وبالمذكـور ، لا بالذكر ، وبالمعلوم ، لا بالعلم .

٣٧- وأصْبـوا إلى العُـذّالِ ، حُـبّـاً لذِكـرِها
كأنَّهـمُ ، ما بيـننا في الهـوَى ، رُسْـلُ

أصبح يرى كل ما يقع في الكون ، من خير ، أو شر ، من الله تعالى ، وأنه كله منافع للعباد ، تترتب عليه مصالحهم ، فليس هناك في الكون

شر محض ، بل مشوب بخير .

يقول أن اللائمين له على المحبة ، أشبهت حالهم حال الرسل الذين ينقلون أخبار حبيبته إليه ، وأخباره إلى حبيبته .

٣٨- فإنْ حَدّثوا عَنها ، فكلِّي مَسامعٌ
وكلِّي إنْ حَدَّثتُهُمْ ، ألسُنٌ تَتلُو

فلو حدثوا عنها ، ولو بالعذل ، فجميع جوارحي مسامع ، وكل عضو فيّ سامع . وإن حدثتهم عنها ، حدثتهم عنها بكلّي ، فجوارحي كلها ناطقة ، وجوانحي تروي الغرام ، وهي صادقة .

٣٩- تَخالَفَتِ الأقوالُ فينا ، تَبَايُناً
برَجْمِ ظُنونٍ بَينَنا ، ما لها أصلُ
٤٠- فشَنَّعَ قومٌ بالوِصَالِ ، ولمْ تَصِلْ
وأرْجَفَ بالسّلوانِ قَومٌ ، ولمْ أسْلُ
٤١- فما صَدَقَ التَّشنيعُ عنها ، لشِقْوَتي
وقد كذبَتْ عنِّي الأراجيفُ والنَّقلُ

الأقوال : هي أقوال الوشاة المبغضين .

برجم ظنون : أباطيل . فكانت ظنون كاذبة باطلة ، من نفوس عاطلة .

فشنع : الشناعة هي الفظاعة .

فالوصول إلى تلك المحبوبة محال ، وليس لمخلوق إليه مجال .

فهؤلاء الواشون قد شنعوا أني وصلت فاتصلت ، وما صدق قولهم ، وكذلك أشاعوا أني قد سلوتها وانصرفت عنها ، لما أقاسيه في محبتها . فما هي وصلتني ، وما أنا سلوتها .

٤٢– وكيفَ أُرَجّي وَصْلَ مَنْ لو تَصَوَّرَتْ
حِماهـا المُنى وَهْماً ، لضاقتْ بها السُّبلُ

يتعجب ممن يرى إمكانية وصل هذه الحبيبة ، فهي من العزة في مرتبة عالية ، ومن المنعة في منزلة غالية ، بحيث أن المنى ، وهي جميع ما يتمنى المتمنون من أماني ، لو تصورت حمى هذه الحبيبة ، وهو مكانها الذي تحتمي فيه ، لضاقت بها الطرق ، لأنها ما تصورت إلا وهماً .

وحماها كناية عن حضرة الأسماء والصفات ، فكيف بالذات .

٤٣- وإنْ وَعَدَتْ لمْ يَلحَقِ الفِعلُ قَوْلَها

وإنْ أوْعدَتْ فالقولُ يَسْبُقُهُ الفِعلُ

كيف أُرَجِّي وصل حبيبة وعدها بالخير قول لا يُنْتِج فعلاً ، أما إيعادها بالهجر ، هو فعل يسبق قولها .

٤٤- عِديني بِوَصْلٍ ، وامْطُلي بِنَجَازِهِ

فعِندي ، إذا صَحَّ الهوَى ، حَسُنَ المطلُ

هو يكتفي بالوعد ، ولو تأخر نجازه ، فإنه يتعلل بكونه موعوداً بالوصال وإن طال المطال . وهو يرتضي بصحة المحبة ، وإن لم ينتج وعد الوصال وفاءً ، فالصادقون في الحب يرتضون بصحة الحب ، وإن لم يكن وفاء .

٤٥- وما برِحوا مَعنىً أراهُمْ مَعي ، فإنْ

نأوا صورَةً ، في الذِّهنِ قامَ لهمْ شكلُ

هو يراهم معه دائماً ، من جهة المعنى ، لا من جهة الحس ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ {الحديد:٤} .

٤٦- فهـمْ نَصْبُ عيـني ، ظاهراً ، حيثُما سرَوا
وهُـمْ في فُـؤادي ، باطِنـاً ، أينمـا حلُّـوا

سروا : يعني ساروا ليلاً . أي : في أي مكان سروا فيه ، فهم أمامه . وأينما أقاموا ، فقد أقاموا في قلبه .

٤٧- لهـمْ أبـداً مِنِّـي حُنُـوٌّ ، وإنْ جَفَـوْا
ولـي أبَـداً مَيْـلٌ إلَيْـهِـمْ ، وإنْ مَلُّـوا

أني أشتاق إليهم دائماً ، يعني أشتاق إلى شهود التجليات الإلهيـة ، وإن استترت عني ، وحجبتني عن مشاهدتها ، فالله تعالى له التجلي ، والإستتار ، على حسب ما يشاء ، ويختـار .

أحاديث

الحبيب

أحاديث الحبيب

١- أَدِرْ ذِكْـرَ من أهـوى ولو بمـــلامي
فإن أحـــاديثَ الحبيـــبِ مُـــدامي
٢- لِيشْـــهَدَ سَـمْعي مَن أُحب وإن نأى
بِطيـــفِ مَـلامٍ لا بِطيـــفِ منـــام

٣- فلي ذكرُها يحلو على كلِّ حالة
وإن مزجوه عُذَّلي بخصام
٤- بروحيَ من أتلفت نفسي بحبها
فحان حِمامي قبل يوم حمامي
٥- ومن أجلها طابَ افتضاحي ولَذَّ لي اطِّـ
ـرَاحِي وذُلِّي بعد عِز مَقَامي
٦- وفيها ، حلى لي ، بعد نُسْكي ، تَهَتُّكي
وخَلعُ عِذاري ، وارتكاب آثامي
٧- أصلي فأشْدُو حين أتلو بذكرها
وأطربُ في المحراب وهي إمامي
٨- وبالحج إن أحرمتُ لبّيتُ باسمها
وعنها أرى الإمساكَ فِطرَ صيامي
٩- أروحُ بقلبٍ ، بالصَّبابَةِ ، هائِمٍ
وأغْدُو بطَرْفٍ ، بالكآبَةِ ، هامِ
١٠- فقلبي وطرفي : ذا بمَعنى جمالها
مُعَنًّى ، وذا مُغْرىً بِلِينِ قَوَامِ

١١- صحيحٌ عليلٌ فاطلبوني من الصبا
ففيها كما شاء النُّحول مُقامي
١٢- خَفيتُ ضَنىً ، حتَّى خَفيتُ عَنِ الضَّنى
وعَنْ بُرْءِ أسقامي ، وبَرْدِ أُوامي
١٣- فأمَّا غَرامي واصطباري وسلوتي
فلمْ يَبْقَ لي منهنَّ غيرُ أسامي
١٤- لِيَنْجُ ، خَلِيٌّ مِنْ هَوايَ ، بِنَفْسِهِ
سَليماً ، ويا نَفس : اذْهبي بسَلامِ
١٥- وقالَ ، اسْلُ عنها ، لائمي ، وهوَ مُغرَمٌ
بِلَوْمِيَ فيها ، قلتُ : فاسْلُ مَلامي
١٦- بمنْ أهتَدي في الحبِّ لو رُمْتُ سَلوَةً
وبي يقتَدي ، في الحبِّ ، كلُّ إمامِ
١٧- وفي كلِّ عُضوٍ فيَّ كلُّ صبابَةٍ
إليها ، وشَوْقٍ جاذِبٍ بِزِمَامي
١٨- تَثَنَّتْ ، فَخِلْنا كُلَّ عِطْفٍ تَهُزُّهُ
قَضِيبَ نقاً ، يَعْلُوهُ بَدْرُ تَمامِ

١٩- ولي كلُّ عُضوٍ ، فيهِ كلُّ حشىً بها
إذا ما رَنَتْ ، وَقْعٌ لكلِّ سِهامِ
٢٠- ولوْ بَسطَتْ جسْمي رأتْ كُلَّ جوهرٍ
بهِ كُلُّ قلبٍ ، فيهِ كُلُّ غَرامِ
٢١- وفي وَصْلِها ، عامٌ لدَيَّ كَلَحْظَةٍ
وساعَةُ هِجْرَانٍ عَلَيَّ كَعَامِ
٢٢- ولمَّا تَلاقَينا عِشاءً ، وضَمَّنا
سواءُ سَبيلَيْ دَارِها وخِيامي
٢٤- فرَشْتُ لها خدِّي ، وِطاءً ، على الثَّرَى
فقالتْ : لكَ البُشرَى بِلَثْمِ لِثامي
٢٥- فما سَمَحَتْ نَفسي بذلِكَ ، غَيْرَةً
على صَوْنِها مِنِّي لِعزِّ مرامي
٢٦- وبِتْنا ، كما شاءَ اقتراحي ، على المُنى
أرَى المُلكَ مُلكي والزَّمانَ غُلامي

أحاديث الحبيب

١- أَدِرْ ذِكْرَ من أهوى ولو بملامي

فإن أحاديث الحبيب مُدامي

الخطاب للعذول .

ولما كان ذكر الحبيب يسكر ، شبهه بكأس الخمر الدائر على الندمان و**المُدام** هنا كناية عن معاني التجليات الإلهية ، فإنها تسكر المحبين

والعارفين ، فيغيبون عن ملاحظة كل شئ ، فناء في محبوبهم .

٢- ليشــــهدَ سَـمْعِي منْ أُحِبُ وإن نأى

بِطَيــفِ مَـلامٍ لا بِطَيــفِ مَنـَـام

لما كان المشهود حديثاً ، كان الشاهد سمعاً ، والله تعالى لا يدرك بالأبصار ، ولكن تشهده البصائر طيفاً زائراً ، ونوراً مفاضاً ، فشهودي لمحبوبي بواسطة الخيال الذي يلم بي في وقت لوم العذول لي على محبته ولما كان المحبون لا ينامون ، لأنهم ملازمون للسهر ، فلا يكون طيف حبيبهم منام .

٣- فلي ذكرُها يحلــو على كلِّ حالة

وإن مـزجــوه عُــذَّلي بــخصـام

٤- بروحــيَ من أتلفت نفسي بحبـها

فحــان حِمــامي قبل يوم حمامي

اتلاف النفوس واجب في شرع المحبة :

ومن لم يجـد في حب نُعـم بنفسـه

ولو جـاد بالدنيـا إليـه انتـهى البخـل

فاذا ارتفع حجاب النفس ، ألفى العارفون ربهم في أرواحهم ساكن ، وقد كانوا يطلونه من خارجها .

٥- ومن أجلها طابَ افتضاحي ولَذَّ لي اطِّـ
ـــرَاحِي وذُلِّي بعـد عِـز مَقَـامِي

فبعد أن كان عزيزاً ، عالماً ، يشار إليه ، أصبح في حبها لا حول له ولا قوة ، ولذّ له كتم أحواله السنية عن الخلق ، وظهوره لهم بما لا يليق بمقامه السابق في العلوم .

٦- وفيهـا ، حلى لي ، بعد نُسْكي ، تَهَتُّكي
وخَلـعُ عِـذاري ، وارتكـاب آثـامي

فبعد تحليه ظاهراً بين الناس بالعبادة ، وكانت كلها عبادات مدخولة ، لرؤية نفسه فيها ، فأصبح الآن لا يهتم بكلام الخلق فيه ، فهؤلاء المحبون قد يفعلون أشياء ظاهرها قد يكون مخالفاً للشرع ، ولكن في حقيقة الأمر هي من الشرع الشريف ، لتسقط مرتبتهم عند الناس ، فلا يلتفتوا لكلامهم ، ولا ينشغلوا بمدحهم وذمهم .

٧- أصلي فأشْدُو حين أتلو بذكرها
وأطربُ في المحراب وهي إِمامي

إشارة إلى الحضرة الإلهية . فالمحبون على ذكر دائم ، بقلب هائم ، تؤمهم المعارف والتنزلات ، إلى أقدس الحضرات .

٨- وبالحج إن أحرمتُ لبّيتُ باسمها
وعنها أرى الإمساكَ فِطرَ صيامي

وما الحج عنده إلا بذكر اسمها .

أي فلا إمساك عنها ، بل حب دائم بغير إمساك ، فإن توقف حبه لحظة ، فقد أفطر في صيامه ، ولا قبول لعبادته .

٩- أروحُ بقلبٍ ، بالصَّبابَةِ ، هائِمٍ
وأغْدُو بطَرْفٍ ، بالكآبَةِ ، هامِ

الرواح : السير بعد الظهر ، و**الغدو** : هو السير قبل الظهر .

و**الصبابة** : هي شدة الحب والشوق .

و**الكآبة** : الحزن

و**هام** : يعني مهراق الدمع .

١٠- فقلبي وطرفي : ذا بمَعنى جمالها
مُـعَـنًّى ، وذا مُـغْـرىً بِلــينِ قَــوَامِ

لي قلب دائماً في تعب ، من توارد خواطره حول رضا حبيبه من عدمه وله بصر ولع بالنظر إلى جمال محبوبه .

١١- صحيـحٌ عليــلٌ فاطلبــوني من الصبا
ففيــها كما شــاء النُّحـول مُقامي

هو صحيح الروح والإعتقاد والتوجه ، ولكن جسده عليل ، لشدة هيامه وغرامه . و**الصبا** هي ريح البشائر ، حيث تأتي بالخير .

فيا من تطلبوا حالي ، وترغبون في شأني ، أطلبوني من عالم الأرواح ، لا من عالم الأشباح ، ومن عالم الأمر ، لا من عالم الخلق ، فهناك منزلتي ، ومرتبتي .

١٢- خَفيتُ ضَنىً ، حتَّى خَفيتُ عَنِ الضَّنى
وعَـنْ بُــرْءِ أســقامي ، وبَـرْدِ أُوامــي

أوصلته كثرة الأشواق في مقام المحبة ، إلى أن صار شبحاً ، لا وجود له وبحيث لو أراد أحد زيادة سقمي ، لما أمكنه ، لتناهي السقم فيه

بحيث لا يقبل الزيادة ، وخفى حتى لو أراد أحد أن يبرئ أسقامه ، ويشفيه من علته ، لما استطاع ، لأنه الآن أصبح في حال الفناء ، حيث اضمحلال كل الصفات الخلقية ، إذ قد زالت عنه بالكشف والتحقيق ، وظهور كل الصفات الحقية . وخفى أيضاً حيث لا يستطيع أحد أن يروي عطشه ، وهو عطش المحبة الإلهية ، لأن عطشه لا يقبل الزوال ، لأن هذا العطش معه من الأزل إلى الأبد . **والأوام** هو العطش .

١٣– فأمَّا غَرامي واصطباري وسلوتي
فلمْ يَبْقَ لي منهنَّ غيرُ أسامي

١٤– لِيَنْجُ ، خَلِيٌّ مِنْ هَوايَ ، بِنَفْسِهِ
سَليماً ، ويا نَفس : اذْهبي بسَلامِ

ينصح من يريد أن يمشي على درب المحبة مثله ، أن ينجو بنفسه ، لصعوبة الطريق ، وبعد المراد ، ويدعو نفسه هو لأن تستسلم لحكم المحبة ، وقضاء المودة ، إذ لا رجوع من وسط الطريق .

١٥– وقالَ ، اسْلُ عنها ، لائمي ، وهوَ مُغرَمٌ

بِلَـوْمِيَ فيها ، قلتُ : فاسْـلُ مَـلامي

يقول أن لائمه مغرم بأن يثنيه عنها ، ولكن غرامه بحبيبته أشد من غرام لائمه في لومه ، فيقول للائمه : لا تحاول لومي ، فأنا لن أسلوَ عنها أبداً .

١٦- بمنْ أهتَـدي في الحبِّ لو رُمْتُ سَلوَةً

وبي يقتَـدي ، في الـحبِّ ، كـلُّ إمامِ

يقول أنه القدوة لكل إمام في طريق الحب ، فلو رام السلو ، فما وجد إماماً يصلح أن يكون له في السلو .

١٧- وفي كلِّ عُضـوٍ فـيَّ كـلُّ صبـابَـةٍ

إليـها ، وشَـوْقٍ جَـاذِبٍ بِزِمَــامي

فكل عضو منه على حدى قد اشتمل بمفرده على كل صبابة ، فكيف باجتماع الأعضاء .

١٨- تَثَـنَّتْ ، فَخِـلْنا كُـلَّ عِطْـفٍ تَهُـزُّهُ

قَضِـيبَ نقاً ، يَعْلُـوهُ بَـدْرُ تَــمامِ

إذا تثنى العود وتمايل ، صار اثنين ، فكل طرف مال عكس الآخر .

وهذه هي شفعية الأسماء والصفات ، فإذا فنيت بهذا الجمال ، صرت لا تجد ، ولا ترى إلا واحداً ، وصرت وتراً ، بعد أن كنت شفعاً ، وهو المعبر عنه بـ **بدر تمام** .

١٩- ولي كلُّ عُضوٍ ، فيهِ كلُّ حشىً بها
إذا ما رَنَتْ ، وَقْعٌ لكلِّ سِهامِ

يعني كل ظاهر وهو المعبر عنه بـ **الأعضاء** له حقيقة باطنة مستند إليها وهو المعبر عنها بـ **الحشا** ، فإذا رنت محبوبته ، يعني نظرت إليه بحب وأدامت النظر، والنظر من الله إلى العبد هو رميه بسهام المحن والإبتلاء

٢٠- ولوْ بَسطَتْ جسْمي رأتْ كُلَّ جوهرٍ
بهِ كُلُّ قلبٍ ، فيهِ كُلُّ غَرامِ

لإنتشار المحبة الإلهية في كل جزء من أجزائه ، وتخللها كل عضو من أعضائه .

٢١- وفي وَصْلِها ، عامٌ لَدَيَّ كَلَحْظَةٍ
وساعَةُ هِجْرَانٍ عَلَيَّ كَعَامِ

٢٢- ولمَّا تَلاقَينا عِشاءً ، وضَمَّنا

سواءُ سَبيلَيْ دَارِها وخِيامي

حين التقوا في وسط الطريق بين دارها وخيام قومه وكان الوقت ليلاً . يعني أن معشوقته لما كانت عالية المقام ، واسعة الملك ، وهو حقير الشأن ، فلا يستطيع أن يذهب إليها في قصرها ، وهي لا تستطيع أن تزوره في كوخه الصغير ، فليلتقوا في مكان وسط .

فالله تعالى يتجلى في الليل بالنزول إلى أحبابه ، وأحبابه يترقون إليه ، بالتبتل ، والتذلل والتضرع . وفي رواية : **ولما توافينا** .

٢٣- ومِلْنا كذا شيئاً عنِ الحيِّ ، حيثُ لا

رَقيبٌ ، ولا وَاشٍ بِزَوْرِ كَلامِ

إذ لابد لكل حبيبين من خلوة ، فلا رقيب يرى ، ولا واش مبغض يزوِّر عليهم كلاماً يفسد هواهم ، والرقيب هنا هي النفس البشرية ووساوسها ، والواشي هو الشيطان القرين ، لأنه في هذه الحالة قد تسامى عن الأكوان والحظوظ ، والزمان والمكان .

٢٤- فرَشْتُ لها خَدِّي ، وِطاءً ، على الثَّرَى

فقالتْ : لكَ البُشرَى بِلَثْمِ لِثامي

فلما تواضع لها شدة التواضع بأن وضع خده لها تمشي عليه ، فبشرته بأنها سمحت له بتقبيلها . وهي كناية عن لذة الفناء ، وتحكمه فيه .

٢٥- فما سَمَحَتْ نَفسي بذلِكَ ، غَيْرَةً
على صَوْنِها مِنِّي لِعزِّ مرامي

أي امتنعت نفسه عن لثم ذلك اللثام ، فمرامه أبعد من ذلك ، هو لثم فمها بنفسه ، بغير لثام ، وأن يكونا واحداً ، هو بها ، وهي به ، وهو مقام **البقاء** وهو **الفناء عن الفناء** .

٢٦- وبِتْنا ، كما شاءَ اقتراحي ، على المُنى
أرَى المُلكَ مُلكي والزَّمانَ غُلامي

أي قد تم له المقصود ، ورضي عنه المحبوب ، وأصبح خليفة الله في كونه ، ومظهر جمال الله فيه . من نظر إليه ، ولم ير الله فيه ، فقد أشرك .

الخمرية

الخمرية

١– شَرِبْنَـا على ذِكْرِ الحبيـــبِ مُـدَامَـةً

سَـكِـرْنَـا بها ، مِنْ قبلِ أنْ يُخْلَقَ كَـرْمُ

٢- لـها الـبدرُ كأسٌ وَهـيَ شَمْسٌ يُديـرُها

هِـلالٌ ، وكـمْ يبـدو إذا مُـزِجَـتْ ـمُ

٣- ولولا شَـذَاها ما اهْتَـدَيتُ لِحَانِها

ولـولا سَـنَـاهـا ما تَصَـوَّرَهَـا الـ ـمُ

٤- ولمْ يُبْـقِ مِنْـها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ

كـأنَّ خَفاهَـا ، في صُـدورِ الـنُّهَى ـمُ

٥- ومِنْ بيـنِ أحْشاءِ الدِّنـانِ تَصـاعَـدَتْ

ولم يبقَ مِنْها ، في الحقـيقةِ ، إلَّا ـمُ

٦- فَإنْ ذُكِرَتْ في الحَـيِّ أصْبَـحَ أهْلُـهُ

نَشَـاوَى ولا عَـارٌ عليـهِـمْ ولا ـمُ

٧- وإنْ خَطَرَتْ يَوماً على خَاطِرِ امـرِئٍ

أقامَـتْ بـهِ الأفــراحُ ، وارتَـحَلَ الـهَـ

٨- ولـوْ نَظَرَ النُّـدْمَانُ خَـتـمَ إنـائِهـا

لأسكَـرَهُمْ مـنْ دونِـها ذلـكَ الخَـ مُ

٩- ولـوْ نَضَحـوا منـها ثَـرَى قَبرِ مَـيِّتٍ

لعـادتْ إليـهِ الرُّوحُ ، وانتَـعشَ الجِـ مُ

١٠- ولو طـرَحوا في فَيءِ حـائطِ كَـرْمِـها

عَـليـلاً ، وقدْ أشـفى ، لَفَارَقَـهُ الـ مُ

١١- ولـوْ قـرَّبوا ، منْ حـانِها ، مُـقعَداً ، مَـشَى

وتَنْـطِقُ مِنْ ذِكْـرَى مَـذاقـتِـها الـ مُ

١٢- ولوْ عَبَـقتْ في الشَّـرْقِ أنفـاسُ طيبِـها

وفي الغربِ مزْكـومٌ ، لَعَـادَ لـهُ ا مٌّ

١٣- ولـو أنَّ رَكْبـاً يَـمَّـموا تُـرْبَ أَرْضِـهـا

وفي الرَّكْبِ مَلْسوعٌ لَمَا ضَرَّهُ الـ

١٤- ولوْ رَسَمَ الرَّاقي حُروفَ اسمِها ، على

جَبينِ مُصابٍ جُنَّ ، أبْرَأهُ الـ مُ

١٥- تُهَذِّبُ أخْلاقَ النَّدامى ، فيَهتدي

بها ، لطَريقِ العَزْمِ ، مَنْ لا لهُ زْمُ

١٦- ويكرُمُ مَنْ لمْ يَعرِفِ الجودَ كَفُّهُ

ويَحْلُمُ ، عِندَ الغيظِ ، مَنْ لا لهُ مُ

١٧- يَقولونَ لي : صِفْها ، فأنتَ بوَصْفها

خبيرٌ ، أجَلْ ! عِندي بأوصافِها مُ

١٨- صَفاءٌ ، ولا ماءٌ ، ولُطْفٌ ، ولا هَواً

ونورٌ ، ولا نارٌ ، وروحٌ ، و سْمُ

١٩- تَقَدَّمَ كُلَّ الكائناتِ حَديثُها

قـديماً ، ولا شكـلٌ هنـاكَ ، و رَسْـمُ

٢٠- وقـامَتْ بها الأشـيـاءُ ثَـمَّ ، لحكمَـةٍ

بها احتَجَبَتْ عنْ كـلِّ منْ لا ا ـهْمُ

٢١- وهـامَتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا ، اتّـ

ـحـاداً ، ولا جِـــرمٌ تخـلَّـلـ جِـرْمُ

٢٢- وقالوا : شـرِبتَ الإثـمَ ! كلاَّ ، وإنَّـما

شَرِبتُ الَّتي ، في تَركِهـا ، عنـد لإثـمُ

٢٣- هَنيئـاً لأهـلِ الدّيـرِ ! كَمْ سَكِـرُوا بها

وما شـرِبـوا مــنـهـا ، ولكِنَّـه ـمُّوا

٢٤- فعِنـدِيَ مِنـها نَشـوَةٌ ، قبلَ نَشـأتي

مـعـي أبـــداً تَبـقي ، وإنْ بَـلِيَ ـظْمُ

٢٥- فما سَـكَنَتْ والهَـمَّ ، يومـاً ، بموضعٍ

كذلكَ لمْ يسـكُنْ معَ النَّغمِ الغَـمُّ

٢٦- وفي سَـكرَةٍ منها ، ولو عُـمْرَ سـاعةٍ

تَرى الدَّهرَ عَبْداً طائِعاً ولكَ كمُ

٢٧- فلا عيشَ ، في الدُّنيا ، لمنْ عاشَ صاحيـاً

ومنْ لمْ يَمُتْ سُكراً بها فاتَـ حَزْمُ

٢٨- على نفسِـهِ ، فَليَبكِ مَنْ ضَـاعَ عُمـرُهُ

وليسَ لـهُ فيـها نصيـبٌ ، وا ـهمُ

الخمرية

١- شَرِبْنَـا على ذِكْـرِ الحبيـبِ مُـدَامَـةً

سَـكِـرْنَـا بها ، مِنْ قبلِ أنْ يُخْلَقَ الكَـرْمُ

المدام : يعني الخمر .

وهي كناية عن الذات الإلهية .

فهو يقول : لقد شربنا – معشر السالكين في طريق الله تعالى – كؤوس التجليات الجمالية ، مما جعلنا في حال سكر ، ونشوة ، وغيبة بالكلية عن جميع الأعيان الكونية ، واتصلت أرواحنا بوجودها الحق القديم في علم الله تعالى ، حيث طربت أرواحنا ، وانتشت حين سمعت من الله تعالى : **﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾**{الأعراف:١٧٢} .

وبما أن الكرم الذي هو العنب حادث ، وهذا السكر بتلك الخمرة رجع بنا إلى أصلنا القديم ، فقد قال في البيت : **من قبل أن يخلق الكرم .**

٢– لهـا البـدرُ كـأسٌ وَهـيَ شَـمْـسٌ يُديرُها

هِـلالٌ ، وكَـمْ يـبـدو إذا مُـزِجَـتْ نَـجْـمُ

البدر هنا هو رسول الله ﷺ . **والهلال** هم نـوابه ﷺ ، من أنبياء ، وكمل الأولياء . و**النجوم** هم الأولياء الملتزمون بظاهر الشرع ، حيث مزج المعرفة

بالعلوم الشرعية . قال ﷺ : ﴿ **أصحابي كالنجــوم ، بأيـهم اقتـديـتم ، اهتـديـتم** ﴾ .

نعم نجوم أشرق الكون بهم بعـد ما كـانت نواحيـه ظلاما
كل من لم ير فرض حبهم فهم في النار وإن صلّى وصام

٣- ولـولا شَــذَاهـا مـا اهْـتَـدَيـتُ لِـحَـانِـهـا
ولـولا سَــنَـاهـا مـا تَـصَـوَّرهَـا الوَهْـمُ

الشَذا : هي الرائحة الطيبة . **والحان** : هي بيت الخمر . **والسنا** : النور . فلولا ما أفاض الله تعالى على أوليائه من معرفته وتجلياته وأنواره ، ما استطاع أحد الوصول إليه ، فسبحانه لا يتوصل إليه بعلم ولا معرفة ، ولا يهجم عليه بذكر ، ولكن من أراده اجتباه بلا سبب .

٤- ولـمْ يُـبْـقِ مِـنْهـا الدَّهْرُ غيرَ حُـشاشَةٍ
كأنَّ خَفاهَا ، في صُدورِ الـنُّـهَى كَـتْـمُ

الحُشَـاشـة : هي بقية الروح في المريض . يقول : لما كثرت زخارف الدنيا ، الشاغلة للقلوب الغافلة ، تقاصرت الهمم عن النهوض لمشاهدة تجليات

الحق . فـ **الدهر** هنا كناية عن الزخارف الباطلة . فلم تبق إلا بقية روح ، كأنها سر مكتوم في قلوب أولي العلم والنهى .

٥- ومِنْ بيـنِ أحْشاءِ الدِّنـانِ تَصاعَـدَتْ
ولم يبقَ مِنْها ، في الحقيقةِ ، إلَّا اسْـمُ

حتى هذه الروح المتبقية ، صارت تتصاعد شيئاً فشيئاً ، حتى خفيت ، فمعظم هذه العلوم الإلهية ، والأنوار السنية ، من صدور الرجال .

٦- فَإنْ ذُكِـرَتْ في الحَـيِّ أصْبَـحَ أهْلُـهُ
نَشَاوَى ولا عَـارٌ علـيهـمْ ولا إثْـمُ

النشاوى : جمع نشوان ، وهو السكران . ولا عار عليهم بسكرهم من ذكرها ، لأنهم لم يقترفوا ذنباً ، ولم يتعاطوا إثماً . كما أن تعاطيها بالمساء يوجب تحكم النشوة بهم ، حيث فراغ البال من الأمور الدنيوية .

قال ﷺ : ﴿ **اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون** ﴾ . رواه أحمد وأبو يعلي .

وقال ﷺ : ﴿ **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا** ﴾ قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : ﴿ **حلق الذكـر** ﴾ . رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان .

٧- وإنْ خَطَرَتْ يَوماً على خَاطِرِ امرِئٍ

أقامَتْ بهِ الأفراحُ ، وارتَحَلَ الهَمُّ

فإن تجلى الحق تعالى بأي صورة من الصور – إذ الحق له الإطلاق في التجلي في الصور – على روح عبده ، ارتحل عنه الهم وثبتت لديه الأفراح .

وهذا إن خطرت ، فكيف إن أقامت . وهذا كناية عن **البوارق** و **الشوارق** التي تكون في أول الفتح .

٨- ولوْ نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتمَ إنائِها

لأسكَرَهُمْ مِنْ دونِها ذلكَ الخَتمُ

الندمان : هم السالكون . **والختم** : هو أثر التجلي الرباني في قلب العبد من المعارف . **والإناء** : هو النفس الإنساني ، فإن الختم واقع عليه بالتجلي الخاص .

٩- ولوْ نَضَحوا منها ثَرَى قَبرِ مَيِّتٍ

لعادتْ إليهِ الرُّوحُ ، وانتَعشَ الجِسْمُ

النضح : الرش . يعني لو أن هؤلاء النُّدمان توجهوا بأنوار ما سطع فيهم من الحقائق الربانية إلى قبر ميت ، والميت هو الذي لا يذكر الله ، قال ﷺ : ﴿ **مثل الذي يذكر الله ، والذي لا يذكر ، كمثل الحي ، والميت** ﴾ . لو توجهت أنوارهم إلى ذلك الغافل لسطع نور الحق في قلبه وصار قلبه حياً

١٠- ولو طرَحوا في فَيءِ حائطِ كَرْمِها
عَليلاً ، وقدْ أشفى ، لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

دليل على أن هذا المريض لا يستطيع الحراك . **والفيء** : بمعنى الظل .

يعني لو كان هذا المريض لم يفارق الحياة بعد ، ووضعوه في ظل حديقة العنب التي تصنع منه هذا الخمر ، لذهبت كل أسقامه ، وانتعش جسمه من جديد . قال ﷺ : ﴿ **هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** ﴾ .

١١- ولوْ قرَّبوا ، منْ حانِها ، مُقعَداً ، مَشَى
وتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَي مَذاقتِها البُكْمُ

ولو قرب الندمان من ليس له نهوض إلى معرفة ربه ، لو قربوه من مجالس أهل العلوم الإلهية ، انطلق من قيود أوهامه وشهواته ، وسلك حيث أراد

من مسالك أهل التحقيق ، بعناية التوفيق . و**البكم** : جمع أبكم . كني بذلك عن الغافل ، المحجوب عن تجليات علام الغيوب .

١٢- ولوْ عَبَقتْ في الشَّرْقِ أنفاسُ طيبِها

وفي الغربِ مزْكومٌ ، لَعَادَ لهُ الشَّمُّ

ولو فاحت ، وشاعت ، وانتشرت في الشرق أنفاس طيب هذه المدامة ، وكان في الغرب مزكوم ، ليس له من حاسة الشم نصيب ، لعاد إليه شمه ، وذهب عنه سقمه . وهي كناية عن روائح التحقيق والعرفان ، من كلام أهل الكشف والعيان .

١٣- ولو أنَّ رَكْباً يَمَّموا تُرْبَ أَرْضِها

وفي الرَّكْبِ مَلْسوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

الركب : هم راكبوا الإبل ، عشرة فصاعداً ، وقد يطلق على راكبي الخيل . والمقصود بهم هنا المحمولون من أهل السلوك على **لا حول ولا قوة إلا بالله** فهم محمولون بالله ، في طريق القوم ، فإن كان فيهم **ملسوع** ، أي محب عاشق ، واللسع يكون لمن لسعته عقرب بمؤخرتها ، أما **الملدوغ** ، فبالفم

كالثعبان ، **ما ضرَّه السم** أي ما ضرته القواطع الدنيوية ، ما دام عند شيخ كامل .

١٤- ولوْ رَسَمَ الرَّاقي حُروفَ اسمِها ، على
جَبينِ مُصابٍ جُنَّ ، أبْرَأهُ الرَّسْمُ

لو فرض أن من يرقي الأدواء المعنوية ، كالجنون والصرع ، رسم حروف اسم المدامة ، وهي كلمة **الله** على جبين مجنون ، شفاه ذلك الرسم .

و**الراقي** كناية عن الإنسان الكامل ، وهو الشيخ المرشد .

و**المصاب المجنون** ، هو الغافل المحجوب ، المنقاد لتخيلات عقله .

١٥- تُهَذِّبُ أخْلاقَ النَّدامى ، فيَهتدي
بها ، لطَرِيقِ العَزْمِ ، مَنْ لا لهُ عَزْمُ

الندامى هم السالكون في طريق الله . فهذه المعارف الربانية تهذب أخلاقهم ، وتهديهم إلى طريق الله .

١٦- ويكرُمُ مَنْ لمْ يَعرِفِ الجودَ كَفُّهُ
ويَحْلُمُ ، عِندَ الغيظِ ، مَنْ لا لهُ حِلْمُ

تتبدل جميع أوصافه الخلقية ، إلى أوصاف حقية .

١٧- يَقولونَ لي : صِفْها ، فأنتَ بوَصْفها

خبيرٌ ، أجَلْ ! عِندي بأوصافِها عِلمُ

أي أن طالبوا طريق الله طلبوا منه وصف هذه المدامة ، فهو بوصفها خبير ، وبها بصير ، ظناً منهم بأن السكر يحصل لهم بمجرد وصفها ، وانطباع ذلك الوصف في خيالهم كما تحصل لهم عامة المعارف الكونية . ولكن هيهات فالمعرفة لا تؤدي إلا إلى المعرفة ، والعلم لا يدل إلا على العلم . أما **الله** ، فليس إليه طريق ، ولا تهدي إليه معرفة ، ولكن إذا أراد هو عبداً ، ناداه في سره ، وجذبه إلى قربه .

١٨- صَفاءٌ ، ولا ماءٌ ، ولُطْفٌ ، ولا هَواً

ونورٌ ، ولا نارٌ ، وروحٌ ، ولا جِسْمُ

هذا كله إيماء إليها ، لا دلالة على سرها وكشفاً لسترها ، كما قال القطب سيدي أحمد الرفاعي :

ومستخبري عن سر ليلى تركته بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

١٩- تَقَدَّمَ كُلَّ الكائِناتِ حَديثُها

قديماً ، ولا شكلٌ هناكَ ، ولا رَسْمُ

فالله تعالى متكلم بكلام قديم ، قبل حدوث جميع الكائنات .

٢٠- وقامَتْ بها الأشياءُ ثَمَّ ، لحكمَةٍ
بها احتَجَبَتْ عنْ كلِّ منْ لا لهُ فَهْمُ

يعني أن جميع الأشياء لما خرجت إلى الوجود ، افتقرت إلى قيومية الله تعالى فهو القائم عليها وهي قائمة به مستندة في وجودها إلى قيوميته ، وأصبحت هذه الأشياء وتلك الأسباب وكأنها حجاب وستائر على تلك الحضرة المقدسة ، ولكن كل من أمسك بسبب منها ، على وجه الأدب ، وصل به إلى مسببه .

٢١- وهامَتْ بها روحي ، بحيثُ تمازَجا ، اتّـ
حاداً ، ولا جِرمٌ تخلَّلهُ جِرْمُ

لما فنى عن الخلق ، تم له وحدة الشهود ، بحيث لم يشهد نفسه ، ولا الكون أصلاً ، ولم يشهد إلا الله تعالى ، فليس هناك اثنان في حضرته تعالى ،بل هو واحد .إذا ماتت نفسك ، رأيت ربك .

٢٢- وقالوا : شرِبتَ الإثمَ ! كلاَّ ، وإنَّما
شَرِبتُ الَّتي ، في تَركِها ، عنديَ الإثمُ

ولما رأوني قد سكرت بخمرة الحب وظهر عليّ الوجد والشطح ، لامني علماء الرسوم والشرع ، وقالوا لي قد تعاطيت إثماً ، وفي شرعي وشرع أهل المحبة أن الآثم على التحقيق هو الذي لا يتعاطى مثل الذي تعاطينا من الحب والغرام

٢٣- هَنيئاً لأهلِ الدّيرِ ! كَمْ سَكِرُوا بها
وما شربوا منها ، ولكِنَّهمْ هَمُّوا

الدير : مكان عبادة النصارى . والمقصود هنا أهل المعارف الربانية ، وارثي المقامات العيسوية ، فهم فانون في الأسماء والصفات ، ولم يصلوا بعد إلى مقام الجمعية المحمدية ، حيث الفناء في الذات .

٢٤- فعِندِيَ مِنها نَشوَةٌ ، قبلَ نَشأتي
معي أبداً تَبقي ، وإنْ بَلِيَ العَظْمُ

فإن روحي نشيطة بهذا النور الإلهي ، الذي دبّ فيها ، وغمرها ، وهذا النور لا ينقطع بالموت ، إذ أنه تشريف ، لا تكليف ، بل ينمو ويزيد ، ويزدهر ، بعد الموت .

٢٥- فما سَكَنَتْ والهَمَّ ، يوماً ، بموضعٍ
كذلكَ لَمْ يسكُنْ معَ النَّغمِ ، الغَمُّ

لأن الهم من مستلزمات الحياة المادية ، حيث تتابع الأسماء والصفات على الإنسان من حيث تضادها ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ {النجم: ٤٣ - ٤٤} ، أما هؤلاء القوم ، فهم فانون عن الأكوان ، بالمكون ، فلا مجال لهذه الضدية .

فنغم ألحان الخلود ، على أوتار الشهود ، سبب للسعود .

٢٦- وفي سَكرَةٍ منها ، ولو عُمْرَ ساعةٍ

تَرى الدَّهرَ عَبْداً طائِعاً ولكَ الحُكمُ

فمن نظر الله تعالى إليه نظرة ، ووقعت له منها سكرة ، رأى الدهر الذي هو معنى الزمان ، لا الذي هو اسم من أسماء الله تعالى ، حيث يقول ﷺ : ﴿ **لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر** ﴾ . وقد قال الكفار : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ {الجاثية:٢٤} ويقصدون الزمان ، إذ لو كانوا يقصدون الدهر الذي هو اسم الله لم يكونوا بذلك كفار .

رأى الدهر عبداً له : يعني أصبح يقول للشئ كن فيكون .

٢٧- فلا عيشَ ، في الدُّنيا ، لمنْ عاشَ صاحياً

ومنْ لمْ يَمُتْ سُكراً بها فاتَهُ الحَزْمُ

فالفناء في الله تعالى ، هو العيش الحقيقي ، وهي الحياة الدائمة ، التي لا يعتريها موت أصلاً .

٢٨- على نفسِهِ ، فَليَبكِ مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ

وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ، ولا سَهمُ

فمن عاش في الدنيا خالياً من محبة الله تعالى ، فهو جسد بلا روح ، يغدو ويروح ، كالجسد المطروح .

ومن نفذ عمره ، ولم يكن له نصيب من تلك المدامة ، فقد ضاع عمره ، وذهب سدى ، فحق له أن يبكي على نفسه .

وجه ليلى

العينية

وجه ليلى

العينية

١- أبَرْقٌ ، بدا منْ جانِبِ الغَوْرِ ، لامعُ
أمِ ارْتَفَعتْ ، عنْ وجهِ ليلي ، البراقِعُ
٢- نعمْ أسْفَرَتْ ليلاً ، فصارَ بوجْهِهَا
نهاراً ، بهِ نورُ المحاسنِ ساطعُ
٣- ولمَّا تجلَّتْ للقلوبِ ، تزاحمتْ
على حُسنها ، للعاشقينَ ، مطامعُ
٤- لِطلعتها تَعْنُو البدورُ ، ووجْهُها
لهُ تسجدُ الأقمارُ ، وهيَ طوالعُ
٥- تجمَّعتِ الأهواءُ فيها ، وحُسنها
بديعٌ ، لأنواعِ المحاسنِ جامعُ

٦- سكرتُ بخمرِ الحُبِّ في حانِ حَيِّها

وفي خمرهِ ، للعاشقينَ ، منافعُ

٧- تواضَعْتُ ذلاًّ ، وانخِفاضاً لِعزِّها

فَشَرَّفَ قَدْري في هواها التَّواضعُ

٨- فإنْ صرتُ مَخفوضَ الجنابِ ، فحبُّها

لِقَدْرِ مَقامي ، في المحبَّةِ ، رافِعُ

٩- وإنْ قَسَمَتْ لي أنْ أعيشَ مُتَيَّماً

فشوقي لها بينَ المحبِّينَ ، شائِعُ

١٠- يقولُ نساءُ الحيِّ : أينَ دِيارُهُ؟؟

فقلتُ : دِيارُ العاشقينَ بلاقِعُ

١١- فإنْ لمْ يكنْ لي في حِمَاهُنَّ مَوْضِعٌ

فلي في حِمى ليلى بليلي مواضِعُ

١٢- هوَى أُمِّ عَمْرٍو جَدَّدَ العُمرَ في الهوَى

فها أنا فيهِ ، بَعدَ أنْ شِبْتُ يافِعُ

١٣- ولمَّا تراضَعْنا بِمَهْدِ وَلائِها
سَقَتْنا حُمَيَّا الحُبِّ فيهِ المراضعُ

١٤- وما زِلتُ ، مُذْ نِيطَتْ عَلَيَّ تَمائِمي
أبايِعُ سُلطانَ الهَوَى ، وأتابعُ

١٥- لقدْ عرَفَتْني بالوَلا وعَرَفْتُها
وَلِي وَلَهَا ، في النَّشأتينِ ، مَطالِعُ

١٦- وإنِّي ، مُذْ شاهَدْتُ فيَّ جَمالَها
بِلَوْعَةِ أشْواقِ المَحَبَّةِ وَالِعُ

١٧- وكلُّ مَقامٍ ، في هواها ، سلَكتُهُ
وما قطَعَتني فيه ، عنها ، القَواطِعُ

١٨- عزيزةَ مِصرِ الحُسْنِ !! إنَّا تِجَارُهُ
وليسَ لنا إلاَّ النُّفوسَ بضائعُ

١٩- لِأَرْضِكِ فَوَّزنا بها ، فَتصدَّقِي
علينا ، فقدْ نَمَّتْ علينا المدامعُ

٢٠- عسى تَجعَلي التَّعويضَ عنها قُبُولَها
لِيَرْبَحهُ مِنَّا مَبيعٌ وبائِعُ

٢١- خَلِيلَيَّ !! إنِّي قدْ عَصَيتُ عَواذِلِي
مُطيعٌ لأمْرِ العامِريَّةِ ، سامعُ

٢٢- فقولا لها : إنِّي مُقيمٌ على الهَوَى
وإنِّي ، لِسُلطانِ المحبَّةِ ، طائعُ

٢٣- وقولا لها : يا قُرَّةَ العينِ !! هلْ إلى
لِقاكَ سبيلٌ ، ليسَ فيهِ موانعُ؟؟

٢٤- ولي عندها ذَنْبٌ برؤيةِ غيرِها
فهلْ لي ، إلى ليلى المليحةِ ، شافعُ

٢٥- سَلَا : هلْ سَلَا قلبي هَواها ، وهلْ لهُ
سِواها ، إذا اشتدَّتْ عليهِ الوقائعُ؟؟

٢٦- إذا ما بَدَتْ ليلى ، فكلِّي أعْيُنٌ

وإنْ هيَ ناجتني ، فكلِّي مَسامِعُ

٢٧- ومِسْكُ حديثي في هَواها ، لأهلِهِ

يَضوعُ ، وفي سَمعِ الخليِّينَ ضائعُ

٢٨- تجافتْ جُنوبي ، في الهوى ، عنْ مضاجعي

إلى أنْ جَفَتْني ، في هَواها ، المضَاجِعُ

٢٩- وسِرْتُ بركبِ الحُسنِ بينَ محاملِ

وهَوْدَجُ ليلى ، نورُها منهُ ساطعُ

٣٠- ونادَيْتُ لمَّا أنْ تبدَّى جَمالُها :

لعَمْرُكَ ، يا جَمَّالُ ، قلبيَ قاطِعُ

٣١- فسيروا على سَيري ، فإنِّي ضعيفُكمْ

وراحِلَتي ، بينَ الرَّواحلِ ، ضالِعُ

٣٢- فيا أيُّها النَّفسُ ، الَّتي قدْ تحجَّبتْ

بذاتي ، وفيها بَدْرُها لِي طَالعُ

٣٣- لئنْ كنتِ ليلى ، إنَّ قلبي عامِرٌ

بِحُبِّكِ ، مجنونٌ بوَصْلِكِ ، طامعُ

٣٤- فيا قلبُ شاهِدْ حُسنها وجَمالها
فَفيها ، لأسرارِ الجَمالِ ، وَدائعُ

٣٥- فإحياءُ أهلِ الحبِّ مَوتُ نُفُوسِهِمْ
وقوتُ قلوبِ العاشقينَ مصارِعُ

٣٦- لقدْ قُلْتُ في مَبدا أَلَسْتُ بِرَبِّكمْ
بَلى قدْ شَهِدْنا ، والوَلا مُتتابعُ

٣٧- فيا حبَّذا تلكَ الشهادةُ ، إنَّها
تُجادِلَ عَنِّي سائِلي ، وتُدافعُ

٣٨- وأَنجو بها يَومَ الوُرودِ ، فإنَّها
لقائِلِها حِرْزٌ ، مِنَ النَّارِ مانعُ

٣٩- هيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى بها فتَمَسَّكي
وحَسْبي بها أنِّي إلى اللهِ راجعُ

٤٠- فيا رَبِّ !! بالخِلِّ الحبيبِ ، محمدٍ
نَبِيِّكَ ، وهوَ السيِّدُ المتواضعُ

٤١- أنِلْنَا معَ الأحبابِ رؤيتَكَ ، الَّتي
إليها قلوبُ الأولياءِ ، تُسارِعُ

٤٢- فبَابُكَ مَقصُودٌ ، وفَضْلُكَ زَائِدٌ
وجُودُكَ ، مَوْجودٌ ، وعَفوُكَ وَاسِعُ

وجه ليلى

العينية

١- أبَـرْقٌ ، بـدا منْ جـانِبِ الغَـوْرِ ، لامـعُ

أمِ ارْتَـفَعتْ ، عنْ وجـهِ ليـلي ، البراقِـعُ

الغور من كل شئ قعره ، ويطلق على الوادي ، وادي تهامة .

بداية الكشف بوارق ، وشوارق ، ولوامع ، ثم ترى جميع الأشياء التي كنت تراها وتحسبها خالية من وجود الله فيها ، إذا هي عامرة بظهور الله فيها ، وتتحقق من قوله تعالى : ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ**﴾ {القصص:٨٨} .

٢- نعـمْ أسْـفَرَتْ ليـلاً ، فصـارَ بوجْـهِـهَـا

نــهــاراً ، بـهِ نـورُ المحاسـنِ سـاطـعُ

الليل هنا هو عالم الأكوان ، حين ظهر فيها جمال الله الجميل ، صار الكل جميـلاً .

٣- ولمَّا تجلَّتْ للقلوبِ ، تزاحمتْ
على حُسنها ، للعاشقينَ ، مطامعُ

ولما كان القلب محل التجلي الأول ، صارت جميع الجوارح تريد حظها من هذا التجلي .

٤- لِطلعتها تَعْنُو البدورُ ، ووجْهُها

لهُ تسجدُ الأقمارُ ، وهيَ طوالعُ

البدور : جمع بدر ، وهو الإنسان الكامل ، لأنه مرآة نور الله تعالى ، كما القمر مرآة الشمس ، من غير أن يحل أحدهما في الآخر .

٥- تجمَّعتِ الأهواءُ فيها ، وحُسنها

بديعٌ ، لأنواعِ المحاسنِ جامعُ

من وجده ، فقد وجد كل شئ . ومن فقده ، فَقَدْ فَقَدَ كل شئ .

٦- سكرتُ بخمرِ الحُبِّ في حانِ حَيِّها
وفي خمرهِ ، للعاشقينَ ، منافعُ
٧- تواضَعْتُ ذلاًّ ، وانخِفاضاً لِعزِّها

فَشَرَّفَ قَدْري في هواها التَّواضعُ

٨- فإنْ صرتُ مَخفوضَ الجنابِ ، فحبُّها

لِقَدْرِ مَقامي ، في المحبَّةِ ، رافِعُ

الحان هو حانوت الخمار . **وحيِّها** : قبيلتها . ففي حان حيِّها مجمع أهلها وعشيرتها ، وهم العارفون بها .

٩- وإنْ قَسَمَتْ لي أنْ أعيشَ مُتَيَّماً

فشوقي لها بينَ المحبِّينَ ، شائِعُ

١٠- يقولُ نساءُ الحيِّ : أينَ دِيارُهُ؟؟

فقلتُ : دِيارُ العاشقينَ بلاقِعُ

١١- فإنْ لمْ يكنْ لي في حِمَاهُنَّ مَوْضِعٌ

فلي في حِمى ليلى بليلي مواضِعُ

شائع : يعني ظاهر بين المحبين ، إذ غيرهم لا يعرفون الشوق .

ونساء الحي : هم أصحاب النفوس من الغافلين المحجوبين . يسألونه أين ديار محبوبتك ، فقال أن دياره شؤون متقلبة ، من سكون إلى حركة ، من

رفع إلى خفض ، وهي تجليات الأسماء والصفات . فإذا فاز بالتجلي الذاتي أصبحت هذه التجليات في حكم الفناء والاضمحلال .

١٢- هوَى أُمِّ عَمْرٍو جَدَّدَ العُمرَ في الهوَى
فها أنا فيهِ ، بَعدَ أنْ شِبْتُ يافِعُ

أم عمرو كناية عن أصل عمار الكون ، وهي الحقيقة الوجودية ، والمحبوبة الحقيقية ، فالله تعالى هو الوجود كله ، فكلما كبر سنه ازداد معرفة وعرفاناً .

١٣- ولمَّا تراضَعْنا بِمَهْدِ وَلائِها
سَقَتْنا حُمَيَّا الحُبِّ فيهِ المراضعُ

حيث كان الإنسان مظهر ظهور الأسماء والصفات :

﴿ إنما خلقتك لأظهر ، لا لتظهر ﴾

١٤- وما زِلتُ ، مُذْ نِيطَتْ عَلَيَّ تَمائِمي
أبايِعُ سُلطانَ الهَوَى ، وأتابعُ

١٥- لقدْ عرَفَتْني بالوَلا وعَرَفْتُها
وَلِي وَلَها ، في النَّشأتينِ ، مَطالِعُ

والتمائم هي ما يوضع ويعلق على الصغير من الآيات لتقيه الحسد وغيره . يعني أنه على عهده القديم بالحب ، منذ أخذ العهد عليه في عالم الذر .

و**النشأتين** هما الدنيا ، والآخرة . ولقدأحببت ظهوره في المظاهر في الدنيا ، وفي الآخرة ، إلا أن التجلّي في الآخرة أعظم وأعلى .

١٦- وإنِّـي ، مُـذْ شـاهَـدْتُ فيَّ جَـمَـالَـهـا

بِلَـوْعَـةِ أشْـواقِ المَـحَبَّـةِ وَالِـعُ

فحين ظهر الله تعالى في مرآة قلبي ، بنور جماله ، فقد جذبني هذا الجمال ، ورماني في بحر أشواقه ، حتى أصبحت شديد التعلق به .

١٧- وكـلُّ مَقـامٍ ، في هـواهـا ، سـلَكـتُـهُ

ومـا قـطَعَـتني فيـه ، عنها ، القَواطِـعُ

يعني أنه بدأ طريقه سلوكاً ، حيث قطع كل المقامات ، وما شغله عن ذلك أي قاطع ، من الأشغال الدنيوية ، والشهوات النفسانية .

١٨- عـزيـزةَ مِـصْرِ الحُسْنِ !! إنَّـا تِجَـارُهُ

وليـسَ لـنـا إلاَّ النُّفـوسَ بضـائـعُ

١٩- لِأَرْضِـكِ فَـوَّزنـا بهـا ، فَـتـصـدَّقِـي

علينـا ، فـقـدْ نَـمَّـتْ علينـا المدامـعُ

٢٠- عسى تَجعَلي التَّعويضَ عنها قَبُولَها
لِيَرْبَحَهُ مِنَّا مَبيعٌ وبائِعُ

فحبيبته هي ملكة مصر ، أي ملكة مملكة الحسن ، وهو تاجر ، بضاعته حب هذا الحسن ، وهو على استعداد لشرائه بنفسه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾{التوبة:١١١} .

والنفوس تباع وتشترى ، ويسترقها كل من غلب عليها من الشهوات وغيرها أما القلوب ، فهي ملك لله تعالى .

وقد قطعنا المفازة لأرضك حيث تحملنا مشقات السلوك وأهوال المجاهدات - و**المفازة** هي الصحراء الموحشة - وها هي مدامعنا قد أعلنت عما تسره قلوبنا من حبك ، فاجعلينا عندك مقبولين غير مردودين . فإن قبلتيها منا فقد ربحت السلعة وربح البائع . وهذا هو الوصول إلى **مقام الشهود** .

٢١- خَلِيلَيَّ !! إنِّي قدْ عَصَيتُ عَواذِلِي
مُطيعٌ لأمْرِ العامِريَّةِ ، سامِعُ

٢٢- فقولا لها : إنِّي مُقيمٌ على الهَوَى
وإنِّي ، لِسُلطانِ المحبَّةِ ، طائعُ

٢٣- وقولا لها : يا قُرَّةَ العينِ !! هلْ إلى

لِقَاكَ سبيلٌ ، ليسَ فيهِ موانعُ؟؟

والموانع هي النفس ، والدنيا ، والشيطان ، والعلم .

٢٤- ولي عندها ذَنْبٌ برؤيةِ غيرها

فهلْ لي ، إلى ليلى المليحةِ ، شافعُ

أي شافع يشفع لي بمغفرة ذنبي عندها ، بأن تريني إياها في كل شئ ، حتى لا أرى سواها .

٢٥- سَلَا : هلْ سَلَا قلبي هَواها ، وهلْ لهُ

سِواها ، إذا اشتدَّتْ عليهِ الوقائعُ؟؟

يقول لخليليه أن يسألوا ، و**سلا** الثانية من السلو .

فإذا اشتدت عليه البلايا والمصائب ، فلا يفرجها إلا الجناب الإلهي .

٢٦- إذا ما بَدَتْ ليلى ، فكلِّي أعْيُنٌ

وإنْ هيَ ناجتني ، فكلِّي مَسامِعُ

٢٧- ومِسْكُ حديثي في هَواها ، لأهلِهِ

يَضوعُ ، وفي سَمعِ الخليِّينَ ضائعُ

كلما تجلى الله تعالى بصفة ، تهيأت الروح لقبول هذه الصفة ، واستغرقت فيها . وكل كلام يتحدث به المحب ، فلا يفهمه إلا أهل العرفان والحب ، أما أهل الشهوات فلا فهم لهم فيه .

٢٨- تجافتْ جُنوبي ، في الهوى ، عنْ مضاجعي
إلى أنْ جَفَتْني ، في هَواها ، المضَاجِعُ

يعني في إبتداء أمره ، كان يقوم الليل ، ويتباعد عن مضاجعه ، عن قصد منه وإرادة ، إلى أن وصل إلى حالة ، تباعدت المضاجع عنه من غير قصد منه ولا إرادة ، فصار مضطراً ، بعد أن كان مختاراً .

٢٩- وسِرْتُ بركبِ الحُسنِ بينَ محاملٍ
وهَودَجُ ليلى ، نورُها منهُ ساطعُ

ركب الحسن هم جماعة العارفين بربهم . **ومحامل** جمع محمل ، وهو كناية عن النفس الإنسانية المشتملة على الحقائق الروحانية .

وهودج ليلى كناية عن الصورة الإنسانية الكاملة .

ونور ليلى هو النور الإلهي المفاض في الوجود **﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾** {الزمر:٦٩} **﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾**{النور:٣٥} .

٣٠- ونـادَيْتُ لمَّـا أنْ تـبـدَّى جَمـالُـها :
لعَمْرُكَ ، يا جَـمَّـالُ ، قلبـيَ قاطِـعُ

والجَمَّال هنا هو سائق الجمال ، وهو كناية عن شيخ المريدين ، ومرشدهم ومنجدهم .

وقـاطع : بمعنى مقطوع .

٣١- فسـيروا على سَيري ، فإنِّي ضعيـفُكـمْ
وراحِلَـتـي ، بينَ الرَّواحـلِ ، ضـالِـعُ

أي فإني أضعف من فيكم من الرجال أولي الهمم والإقبال .

وراحلتي كناية عن نفسه .

والضـالع هي التي تمشي بعوج ، أو هي ثقيلة الأحمال .

فيقول لهم أن نفسه معوجة في سلوكها ، ثقيلة الأحمال . فهو يناشدهم بتخفيف سرعتهم في السير حتى يلحق بهم .

٣٢- فيـا أيُّها الـنَّـفسُ ، الَّتي قدْ تـحجَّبتْ
بـذاتيِ ، وفيـها بَـدْرُها لِي طَـالـعُ

فالله تعالى يظهر له من وراء حجاب ذاته ، فإذا فنى عن ذاته ، شاهد جمال مولاه ، كما يشاهد الناس البدر ، ليس بينهم وبينه غمام .

٣٣- لئنْ كنتِ ليلى ، إنَّ قلبي عامِرٌ

بِحُبِّكِ ، مجنونٌ بوَصْلِكِ ، طامعُ

٣٤- فيا قلبُ شاهِدْ حُسنها وجَمالها

فَفيها ، لأسرارِ الجَمالِ ، وَدائعُ

فالقلب بيت الله المقدس ، وهو أقدس البيوت ، والله تعالى لا يأتمن على أسراره فيه إلا الأمناء .

٣٥- فإحياءُ أهلِ الحبِّ مَوتُ نُفُوسِهِمْ

وقوتُ قلوبِ العاشقينَ مصارِعُ

فإذا ماتت نفوسهم ، يعني تلاشى حولهم وقوتهم ، أصبحوا بحول الله وقوته أما قلوبهم ، فتتقوت على البلايا ، والمصائب والشدائد ، قد وطنوا أنفسهم على ذلك ، إذ أنها نظرات محبوبهم إليهم ، التي يترقون بها إلى أعلى المقامات .

٣٦- لقدْ قُلْتُ في مَبدا ألَسْتُ بِرَبِّكمْ

بَلى قدْ شَهِدْنا ، والوَلا مُتتابعُ

وذلك حين أخذ العهد في عالم الذر ، وما زال هذا السر الرباني ،والمدد الإلهي ، يسري فيَّ من يومها .

٣٧- فيا حبَّذا تلكَ الشهادةُ ، إنَّها
تُجادِلَ عَنِّي سائِلي ، وتُدافعُ

أي تخاصم عني من يسألني في الدنيا ، فتلهمني الجواب ، بطريق الفيض ، وتكفيني فتنة سائل القبر ، في عالم البرزخ .

٣٨- وأَنجو بها يَومَ الوُرودِ ، فإنَّها
لقائِلِها حِرْزٌ ، مِنَ النَّارِ مانعُ

٣٩- هيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى بها فتَمَسَّكي
وحَسْبي بها أنِّي إلى اللهِ راجعُ

فهذا العهد معه في الدنيا ، والقبر ، وإلى أن يرجع إلى الله تعالى مرة أخرى .

٤٠- فيا رَبِّ !! بالخِلِّ الحبيبِ ، محمدٍ
نَبِيِّكَ ، وهوَ السيِّدُ المتواضعُ

٤١- أنِلْنَا معَ الأحبابِ رؤيتَكَ ، الَّتي
إليها قلوبُ الأولياءِ ، تُسارِعُ

٤٢- فبَابُكَ مَقصُودٌ ، وفَضْلُكَ زَائِدٌ
وجُودُكَ ، مَوْجودٌ ، وعَفوُكَ وَاسِعُ

معترك الأحداق

مُعترك الأحداق

١- ما بينَ مُعتـركِ الأحْـداقِ والمُهـجِ

أنـا القتـيـلُ بلا إثـمٍ ولا حَـرَجِ

٢- وَدَّعتُ قبلَ الهَوَى رُوحِي لِمَا نَظرَتْ

عيناي مِنْ حُسنِ ذاكَ المنظرِ البَهجِ

٣- للهِ أجفانُ عَينٍ ، فيكَ ، ساهِرَةٌ

شوقاً إليكَ ، وقلبٌ بالغرامِ شَجِي

٤- وأضلعٌ نَحِلَتْ كادتْ تُقوِّمها

مِنَ الجَوَى كبِدي الحَرَّى من العَوَجِ

٥- وأدمُعٌ هَمَلَتْ ، لولا التَّنفسُ مِنْ

نارِ الهوَى لمْ أكَدْ أنْجُو مِنَ اللُّجَجِ

٦- وحَبَّذا فيكَ أسقامٌ خَفِيتُ بها

عني ، تقومُ بها عندَ الهوَى ، حُجَجي

٧- عذِّبْ بما شئتَ غيرَ البُعدِ عنكَ تجدْ

أوفي مُحِبٍّ بما يُرْضيكَ مُبتهجِ

٨- وخُذْ بقيَّةَ ما أبقيتَ مِنْ رَمَقٍ

لا خيرَ في الحبِّ إنْ أبْقى على المُهجِ

٩- مَنْ لي بإتلافِ روحي في هَوَى رَشَاٍ

حُلْوِ الشَّمائلِ ، بالأرواحِ مُمتزجِ

١٠- مَنْ ماتَ فيهِ غراماً عاشَ مُرتقياً

ما بينَ أهلِ الهوَى في أرْفعِ الدَّرَجِ

١١- وإنْ ضللتُ بليلٍ ، مِنْ ذوائِبهِ

أهدى ، لعَيني الهدى ، صُبحٌ منَ البَلَجِ

١٢- وإنْ تنفَّسَ قالَ المسكُ مُعترِفاً

لعارفي طِيبهِ : مِنْ نَشرِهِ أَرَجي

١٣- أعوامُ إقبالهِ ، كاليومِ في قِصَرٍ

ويَوْمُ إعراضِهِ في الطّولِ ، كَالْحِجَجِ
١٤– فإنْ نأى سائِراً ، يا مُهجَتي ارتَحِلي
وإنْ دَنا زائِراً ، يا مُقلتي ابتهجي!
١٥– يا سَاكِنَ القلبِ لا تنظرْ إلى سكَني
وارْبَحْ فؤادكَ ، واحذرْ فتنةَ الدَّعجِ
١٦– يا صاحبي ، وأنا البَرَّ الرَّؤوفُ ، وقدْ
بَذلتُ نُصْحي ، بذاكَ الحيِّ لا تَعُجِ
١٧– تباركَ اللهُ ! ما أحْلى شمائِلهُ
فكمْ أمَاتَتْ وأحْيَتْ فيهِ منْ مُهَجِ
١٨– تَراهُ ، إنْ غابَ عنِّي كلُّ جارحةٍ
في كلِّ معنًى لطيفٍ ، رَائِقٍ ، بَهجِ
١٩– في نغمةِ العودِ والنَّايِ الرَّخيمِ ، إذا
تألَّفا بينَ ألحانٍ مِنَ الهَزَجِ
٢٠– وفي مَساقِطِ أنْدَاءِ الغمَامِ ، على
بِسَاطِ نَوْرٍ ، منَ الأزهارِ مُنْتَسِجِ
٢١– وفي مَسَاحِبِ أَذْيالِ النَّسيمِ ، إذا

أهــدى إليَّ ، سُــحَيْراً ، أطيـبَ الأَرَجِ

٢٢- لمْ أدرِ ما غُـرْبةُ الأوطانِ ، وهي معي

وخـاطِرِي ، أينَ كنَّـا ، غيرُ مُنزَعِجِ

٢٣- لِيَـهْنَ رَكْبٌ سَـرَوا لـيلاً ، وأنتَ بـهمْ

بِـسَيرِهـمْ في صبـاحٍ ، مِنكَ ، مُنبَلِجِ

٢٤- فلـيَصنعِ الـرَّكبُ ما شـاؤوا بأنفُسِهمْ

هُـمْ أهْلُ بَـدرٍ ، فلا يخشـونَ منْ حَـرَجِ

٢٥- بحـقِّ عِصيـانيَ الـلَّاحي عليـكَ ، وما

بأَضْلُعي ، طـاعـةً للـوَجْدِ ، مِـنْ وَهَـجِ

٢٦- أنظـرْ إلى كـبـدٍ ذابـتْ عليكَ جـوىً

ومُـقـلـةٍ ، منْ نَجِيـع الدَّمـعِ ، في لُجَجِ

٢٧- وارْحَـمْ تَـعَـثُّـرَ آمـالي ، ومُرْتجَعي

إلى خِـداعِ تَـمَنِّـي الـوَعْـدِ بـالـفَـرَجِ

٢٨- واعطفْ على ذُلِّ أطماعي بِهَلْ وَعسَى

وامنُنْ عليَّ بشرحِ الصَّدرِ منْ حَرَجِ

٢٩- أهلاً بما لمْ أكنْ أهلاً لِمَوْقِعِهِ

قَوْلِ المُبَشِّرِ ، بَعدَ اليأْسِ ، بالفرَجِ

٣٠- لكَ البِشارَةُ ، فاخلعْ ما عليكَ ، فقدْ

ذُكِرْتَ ثَمَّ ، على ما فيكَ مِنْ عِوَجِ

معترك الأحداق

١- ما بينَ مُعتـركِ الأحْـداقِ والمُـهـجِ

أنــا القتــيــلُ بـلا إثـــمٍ ولا حَـرَجِ

المعترك هو موضع العراك والقتال ، وكل معترك فيه من هو مقتول ومجروح وهنا اعتركت العيون والقلوب ، فالعيون ترمي بسهام لحاظها فتصيب قلوب الأبطال في مقتل ، فتقتله بغير إثم اقترفه ولا ذنب صدر منه يوجب القتل .

ويقصد هنا تجليات جمال الله في الأكوان ، وأنواره المفاضة على قلوب أهل الله ، تؤدي بها إلى الإستسلام التام لأحكام الجميل ﴿ **إن الله جميل يحب الجمال** ﴾ .

٢- وَدَّعتُ قبلَ الهَوَى رُوحِي لِمَا نَظَرَتْ

عينايَ مِنْ حُسنِ ذاكَ المنظرِ البَهجِ

لما نظرت عين بصيرتي إلى وجه الحق ، سلبني روحي جماله ، فصرت فيه فانياً عن كل شئ .

٣- للهِ أجفانُ عَينٍ ، فيكَ ، ساهِرَةٌ
شوقاً إليكَ ، وقلبٌ بالغرامِ ، شَجِي

ما سهرت أجفان عيني ، إلا لك ، شوقاً إليك ، وهذا السهر سببه حزن القلب لفقد الحبيب .

٤- وأضلعٌ نَحِلَتْ كادتْ تُقوِّمها
مِنَ الجَوَى ، كبِدي الحَرَّى ، من العَوَجِ

ولله نحول أضلعي ، حيث أنحلها الشوق ، وقاربت حرارة كبدي ، من الحزن والضنى ، أن تقوِّم اعوجاجها .

٥- وأدمُعٌ هَمَلَتْ ، لولا التَّنفسُ مِنْ
نارِ الهوَى ، لمْ أكَدْ أنْجُو مِنَ اللُّجَجِ

ولله أدمع فاضت ، ولولا نيران نفسه من زفرات الشوق ، والتي تسببت في تبخر هذه الدموع ، لأغرقته أمواج دموعه العاتية .

٦- وحَبَّذا فيكَ أسقامٌ خَفِيتُ بها

عني ، تقومُ بها ، عندَ الهوَى ، حُجَجي

الأسقام هي الأمراض والأوجاع ، فإنَّ نظر الله إلى المحبين هي البلايا والمصائب ﴿ **إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم** ﴾ .

٧- عذِّبْ بما شئتَ ، غيرَ البُعدِ عنكَ ، تجدْ

أوفي مُحِبٍّ ، بما يُرْضيكَ ، مُبتهجِ

البعد عند المحبين ، وهو الحجاب ، أشد أنواع العذاب ، ولا يعادله في الشدة شئ عندهم .

فيقول لمحبوبه : عذبني بما شئت من أنواع العذاب ، تجدني أوفى محب لك ، مسرور بما يرضيك .

٨- وخُذْ بقيَّةَ ما أبقيتَ مِنْ رَمَقٍ

لا خيرَ في الحبِّ ، إنْ أبْقى على المُهجِ

الرمق : هو بقية الحياة .

يعني أنك أخذت كلي ، وبعض الرمق ، فخذ بقية هذا الرمق . فإن أبقى الحب على بعض المهج ، فلا خير فيه .

فهو يناشد ربه وحبيبه أن يأخذ إليه روحه كلها ، ليفنيه عن سواه .

٩- مَنْ لي بإتلافِ روحي في هَوَى رَشَـاٍ
حُـلْوِ الشَّـمائلِ ، بالأرواحِ مُمتـزجِ

من لي يعينني ، ويرفق بي ، ويتلف روحي في هوى حبيب كالغزال ، لطيف الحركات والأخلاق ، من شدة لطفه صار كأنه ممتزج بالأرواح .

١٠- مَنْ ماتَ فيـهِ غـراماً عاشَ مُرتقياً
ما بينَ أهلِ الهوَى في أرْفعِ الدَّرَجِ

فهؤلاء شهداء المحبة ، الذين قتلوا بسيوف المجاهدة **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**{آل عمران:١٦٩-١٧٠} . فموتوا اختياراً ، قبل أن تموتوا اضطراراً .

١١- وإنْ ضللتُ بليلٍ ، مِنْ ذوائبِـهِ
أهـدى ، لعَيني الهدى ، صُبحٌ منَ البَلَجِ

الذوائب هي الخصلات من الشعر . فإن حصل لي هيام وحيرة ، من جمال شعره ، فإن نور بياض جبهته سيردني إلى رشدي . وهذه كناية عن أنه إذا

أخذته الأكوان ، من حيث أنها مظاهر للأسماء والصفات ، فإن تجليات الذات تجذبه إليها مرة أخرى ، ليفنى عن الأكوان ، بالمكـوّن .

١٢- وإنْ تنفَّسَ قالَ المسكُ ، مُعترِفاً

لعارفي طِيبهِ : مِنْ نَشرِهِ أَرَجي

إن تنفس الحبيب ، وظهر نفسه من فمه ، قال المسك معترفاً لقوم يعرفون نشر المسك وطيبه ، إن ريحه الطيب هي فرع عن أصل نفس الحبيب .

فكل جمال في الكون ، هو فرع عن جمال الله تعالى .

١٣- أعوامُ إقبالِهِ ، كاليومِ في قِصَرٍ

ويَوْمُ إعراضِهِ في الطّولِ ، كَالْحِجَجِ

الحجج هي السنون .

فالله تعالى إذا أقبل على عبده ، أفاض عليه من فيوضاته ما لا يخطر على قلب بشر ، بل ولو أمضى عمره كله بحثاً عنها ، ما تحصل على أقل القليل منها ، بل ويعطيه علوم العالمين في أقل من لمحة .

فإذا أعرض الله تعالى عنه ، فإنه ينفذ عمره ، وما تعلم شيئاً .

١٤- فإنْ نأى سـائِراً ، يا مُهجَـتي ارتَحِلي

وإنْ دَنـا زائِـراً ، يا مُقلتـي ابتهــجي!

إن استتر تجلي الجمال الإلهي عنه ، ذهب قلبه عنه تحسراً وتلهفاً على فقد مطلوبه ، ومفارقته مشاهدة محبوبه . وعندما يعود لي هذا التجلي الجمالي ، فيرتفع حجاب نفسي ، وارتفع الوهم بالبينية ، تقر عيني ، وتهدأ نفسي .

١٥- يا سَـاكِنَ القلبِ لا تنظرْ إلى سـكَني

وارْبَـحْ فـؤادكَ ، واحـذرْ فتنـةَ الدَّعـجِ

يا من قلبه ساكن ، لعدم دخول المحبة قلبه ، إذ لو دخلت المحبة قلبك لاضطرب وتحرك ، أنصحك بعدم النظر إلى حبيبي الذي سكن قلبي إليه ، فإنك إن نظرت إلى جمال عينيه ، فسيضيع قلبك من يدك .

و**الدعـج** هي شدة سواد العين ، مع سعتها .

وهذا البيت فيه إغراء بالهوى ، في صورة التحذير منه .

فيا من تعرضت إلى حب الله تعالى ، ادعوك إلى الصبر على كثرة ما ستتعرض له من البلاء ، حتى يكشف الله تعالى لك عن وجهه الكريم ، فحينها تستريح مثلي ، وتسكن إليه .

١٦- يا صاحبي ، وأنا البَرَّ الرَّؤوفُ ، وقدْ
بَذلتُ نُصْحي ، بذاكَ الحيِّ لا تَعُجِ

أزيدك نصحاً على ما مرّ ، وأنت تعلم صدقي وشدة رحمتي في نصيحتك ، أن لا تقرب حي هذا الجميل أصلاً ، حتى لا تقع في شراك حبه ، ومحن جماله .

١٧- تبارَكَ اللهُ ! ما أحْلى شمائِلهُ
فكمْ أمَاتَتْ وأحْيَتْ فيهِ منْ مُهَجِ

ما أجمل صفات الله وأسمائه ، وأحكامه وتصرفاته ، ظاهرة وباطنة . فإن أمات في الظاهر ، فقد أحيا في الباطن . وإن أبكى في الظاهر ، فقد أضحك في الباطن ، وإن ابتلى في الظاهر ، فقد عافى في الباطن .

١٨- تَراهُ ، إنْ غابَ عنّي كلُّ جارحةٍ
في كلِّ معنًى لطيفٍ ، رَائِقٍ ، بَهجِ

إن احتجبت عني ذاته المقدسة ، انقلبت كل حواسي عيوناً ، تنظر إلى تجليات أسمائه وصفاته في كل شئ .

١٩- في نغمةِ العودِ والنَّايِ الرَّخيمِ ، إذا
تـألَّفا بيـنَ ألحـانٍ مِنَ الهَـزَجِ

الناي : اسم فارسي للقصبة التي ينفخ فيها . و**تألفا** يعني امتزاج نغماتهم .

الرخيـــم : الصوت الذي يخرج سهلاً بلا تكليف .

الهزج : هو الترنم . وكل كلام متقارب متناسب يسمى هزجاً .

٢٠- وفي مَسـاقِطِ أنْـدَاءِ الغمَـامِ ، على
بِسَـاطِ نَـوْرٍ ، منَ الأزهـارِ مُنْتَسِجِ

مظهر آخر لتجلي الله تعالى ، في أماكن سقوط الندى والمطر .

و**الغمامة** هي السحابة .

فهو يرى الله تعالى حين ينزل المطر على بساط قد انتسج من الأزهار .

٢١- وفي مَسَاحِبِ أَذْيـالِ النَّسـيمِ ، إذا
أهـدى إليَّ ، سُـحَيْراً ، أطيبَ الأَرَجِ

وهذا مظهر من المظاهر البديعة ، حيث يسحب النسيم أذياله وقت السحر وهو من طلوع الفجر إلى شروق الشمس ، فيهدي إلى هذا النسيم أطيب الريح ، وأجمل العطر .

٢٢- لمْ أدرِ ما غُـرْبةُ الأوطانِ ، وهي معي
وخـاطِرِي ، أينَ كنَّا ، غيرُ مُنزَعِجِ

لأن الله تعالى هو الوطن ، فما دمت في دنيا الحظوظ والشهوات ، فأنت غريب عن وطنك ، والغريب دائماً منزعج ، غير مستريح . ولا يستريح إلا أهل الفناء ، حيث وصلوا إلى وطنهم ، وهو الله تعالى .

٢٣- لِيَهْـنَ رَكْـبٌ سَـرَوا لـيلاً ، وأنتَ بـهمْ
بِسَيرِهمْ في صبـاحٍ ، مِـنكَ ، مُـنبَلِجِ

الركـب هـم راكبوا الإبل ، من عشرة فصاعداً . والمقصود منهم هم أهل الله الملاحظين لقيوميـة الله تعـالى ، تحملهم إلى مرادهم ، والوصول إلى غايتهم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ ﴾{الإسراء:٧٠} ، ولما كان الله تعالى هو السائر بهم ، فهم على بصيرة من أمرهم .

و**المنبلج** : هو المنير الساطع .

٢٤- فليَصنعِ الرَّكبُ ما شاؤوا بأنفُسِهِمْ

هُمْ أهْلُ بَـدرٍ ، فلا يخشـونَ مِنْ حَـرَجِ

لما كان العارفون على بصيرة من ربهم ، وأنهم لا فعل لهم ، بل الله تعالى هو الفاعل بهم على الحقيقة ، فنفوسهم ملك ربهم ، يتصرف فيها كيف يشاء ، وقضـاؤه ساري فيهم ، وهو يصرفهم به كيف يشـاء ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ**﴾{الإنسان:٣٠} ، فأهل بـدر غفـر الله تعـالى لهم ، كما قـال ﷺ : ﴿ **لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ﴾ يعني أن هؤلاء القوم محبوبون لله . ومن سبقت له من الله العناية فلا تضره الجنايـة .

٢٥- بحـقِّ عِصيـانيَ الـلَّاحي عليـكَ ، ومـا

بأَضْلُعي ، طـاعـةً للـوَجْـدِ ، مِـنْ وَهَـجِ

أقسم بحق عصياني لمن يعزلني في حبك ، ويأمرني بالبعد عنك ، لما يراه من حالي في حبك ، بحيث يرى شدة غرامي ، وتمكن هيامي ، وبعدك عني ، وصدك لي . وأقسم أيضاً بالنار التي تنشأ عن هذا الحب ، ومستقرها في داخل أضلعي .

٢٦- أنظـرْ إلى كـبـدٍ ذابـتْ عليـكَ جـوىً

ومُقْـلةٍ ، منْ نَجِيـع الدَّمـعِ ، في لُجَجِ

يخاطب حبيبه مسترحماً إياه ، ليحنو عليه . وذلك إذا نظر إلى باطنه الذي ذاب من نيران الشوق .

وانظر إلى عيني التي غرقت في دمها ودموعها . ومن كثرة دموعها فقد شبهها بالأمواج العاتية .

٢٧- وارْحَـمْ تَـعَـثُّـرَ آمـالي ، ومُرْتجَعي

إلى خِداعِ تَـمَنِّــي الوَعْــدِ بـالـفَـرَجِ

وارحم رجوعي بعد تعثر آمالي إلى خداع نفسي

فنفسي تخدعني ، فتطمعني في حصول الفرج .

٢٨- واعطفْ على ذُلِّ أطماعي بِهَلْ وَعسَى

وامـنُنْ علـيَّ بشـرحِ الصَّـدرِ منْ حَـرَجِ

يناشد حبيبه أن يعطف على ذله ، الناشئ عن طمعه في وصاله ، فإن العزيز إذا رأى ذل عبده بين يديه ، تعطف عليه بما يقتضي اللطف . فقد أسألك بهل وعسى ، يعني هل أطمع في وصالك وعسى أن يكون قريبا

وتعطف عليّ منةً منك، بأن تشرح ضيق صدري ، بوصل ، أو بوعد ، أو نظرة رضـا .

٢٩- أهـلاً بـما لمْ أكـنْ أهـلاً لِمَـوْقِـعِـهِ
قَـوْلِ المُـبَشِّـرِ ، بَعـدَ اليأْسِ ، بالفـرَجِ

بعد اليأس من الوصول إلى حضرات القبول ، جاء الوارد الرباني ، والهاتف الصمداني ، مبشراً إياه ، فهو يرحب به ابتهاجاً وسرورا

٣٠- لـكَ البِشـارَةُ ، فاخلعْ ما عـليكَ ، فقدْ
ذُكِـرْتَ ثَـمَّ ، عـلى مـا فـيكَ مِـنْ عِـوَجِ

قال له المبشر أنه سيخبره بما يوجب له السرور الكامل ، فاستحق عليه أن يعطيه ما عليه من الثياب ، في مقابل هذه البشارة العظيمة :

وهو أنك قد ذكرت هناك ، أي ذكرت في الحضرة العلية ، مع ما فيك من عوج في طريق المعرفـة الإلهيـة .

وخلع ما عليه ، هو كناية عن خلع كل الأكوان والصور والنسب .

تهكلالا

الكافية

تهكلالا

الكافية

١- تِهْ دَلَالاً ، فأنتَ أهْلٌ لِذَاكَا

وتَحَكَّمْ ، فالحُسْنُ قَدْ أعطَاكَا

٢- ولكَ الأمرُ ، فاقضِ ما أنتَ قاضٍ

فعَلَيَّ الجَمَالُ قدْ وَلاَّكَا

٣- وتَلافِي ، إنْ كانَ فيهِ ائتِلافِي

بِكَ ، عَجِّلْ بهِ ، جُعِلْتُ فِدَاكَا

٤- وبما شِئتَ ، في هَوَاكَ ، اختَبِرْني

فاختياري ما كانَ فيهِ رِضاكَا

٥- فَعَلى كُلِّ حالَةٍ أنتَ مِنّي

بِيَ أَوْلَى ، إذْ لَمْ أَكُنْ لَوْلَاكَا

٦- وكَفَانِي عِزّاً ، بِحُبِّكَ ، ذُلِّي

وخُضُوعي ، ولَستُ مِنْ أَكْفَاكَا

٧- وإذا ما إليكَ ، بِالوَصْلِ ، عَزَّت

نِسْبَتي عِزَّةً وصَحَّ وَلاَكا
٨- فاتِّهامي في الحبِّ حَسْبي ، وأنِّي
بينَ قَوْمي أُعَدُّ مِنْ قَتْلاكا
٩- لَكَ في الحَيِّ هالِكٌ بِكَ حَيٌّ
في سَبيلِ الهوَى اسْتَلذَّ الهَلاكا
١٠- عَبْدُ رِقٍّ ، ما رَقَّ يَوْماً لِعَتْقٍ
لَوْ تَخَلَّيْتَ عَنْهُ ما خَلاَّكا
١١- بِجَمالٍ حَجَبْتَهُ بِجَلالٍ
هامَ ، واستَعذَبَ العَذابَ هُناكا
١٢- أبْقِ لي مُقْلَةً لَعَلِّيَ يَوْماً
قَبْلَ مَوْتي أرَى بها مَنْ رَآكا
١٣- فَبَشيرِيْ لَوْ جاءَ مِنْكَ بِعَطْفٍ
ووُجودي في قَبْضَتي قُلْتُ : هَاكا
١٤- كُنتَ تجْفو ، وكانَ لي بعضُ صَبْرٍ

أحْسنَ اللهُ ، في اصطِباري ، عَزاكا

١٥– شَنّعَ المُرْجِفُونَ عنكَ بهَجرِي

وأشاعُوا أنِّي سَلَوْتُ هَواكا

١٦– ما بِأحْشائِهِمْ عَشِقْتُ ، فأسْلُو

عنكَ يَوْماً ، دعْ يَهْجُرُوا ، حاشاكا

١٧– كيفَ أسْلُو ، ومُقلَتي كلَّما لا

حَ بُرَيْقٌ ، تَلَفَّتَتْ لِلِقاكا

١٨– إنْ تَبَسَّمْتَ تحتَ ضَوْءِ لِثامٍ

أوْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ منْ أنْباكا

١٩– طِبْتُ نَفْساً إذْ لاحَ صُبْحُ ثَنَايا

كَ لِعَيْني ، وفاحَ طيبُ شَذاكا

٢٠– كلُّ مَنْ في حِمَاكَ يَهْوَاكَ ، لَكِنْ

أنا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ في حِمَاكَ

٢١- يُحْشَرُ العاشِقُونَ تَحْتَ لِوَائِي
وجميعُ المِلاحِ تَحْتَ لِوَاكا

٢٢- عَلَّمَ الشَّوقُ مُقلَتي سَهَرَ اللَّيْـ
ـلِ فَصَارَتْ مِنْ غيرِ نَوْمٍ تَرَاكا

٢٣- واقتِباسُ الأنوارِ مِنْ ظاهِري غَيـ
ـرُ عَجِيبٍ ، وباطِني مأواكا

٢٤- يَعْبَقُ المِسْكُ ، حيثُما ذُكِرَ اسمي
مُنْذُ نادَيْتَني أُقَبِّلُ فاكا

٢٥- ويَضوعُ العَبيرُ في كلِّ نادٍ
وهْوَ ذِكْرٌ مُعَبِّرٌ عَنْ شَذاكا

٢٦- قالَ لي حُسْنُ كُلِّ شيءٍ تَجَلّى
بي تَمَلّى ! فقُلتُ : قَصدي وراكا

٢٧- إنْ تَوَلَّى على النُّفُوسِ تَوَلّى
أوْ تَجَلَّى يَسْتَعْبِدُ النُّسَّاكا

٢٨- وَحَّـدَ القلـبُ حُـبَّـهُ ، فالتِفـاتي

لـكَ شِـرْكٌ ، ولا أرى الإشـراكـا

الدلالة

الكافية

١- تِـهْ دَلَالاً ، فـأنــتَ أهْــلٌ لِـذَاكَـا

وتَـحَكَّــمْ ، فـالـحُسْــنُ قَــد أَعـطَاكَــا

لك أن تتكبر ، وتختال ، بمجرد الدلال الذي أوجبه جمالك .

خطاب للحضرة الإلهية ، صاحبة الكبرياء والعظمة والجمال ، حيث لا يشاركه فيهم أحد . وفي الحديث : ﴿ **قال الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في شئ منها ، عذبته ، ولا أبالي** ﴾ .

٢- ولكَ الأمـرُ ، فاقضِ ما أنتَ قــاضٍ

فـعَلَــيَّ الجَـمَــالُ قــدْ وَلاَّكــا

ولك الأمر المطلق ، والقضاء المحقق .

٣- وتَـلافِي ، إنْ كـانَ فيــهِ ائتِــلافِــي

بِكَ ، عَـجِّـلْ بـهِ ، جُـعِلْتُ فِـدَاكا

تلاف : هو التلف والزوال . و**الإئتلاف** : هو الإجتماع والألفة .

فإن كان ثمن جمعي عليك في حضرات قدسك ، ثمنه هلاكي ، فعجل به ، حتى أفنى عن نفسي ، في شهود جمالك .

٤- وبما شِئتَ ، في هَوَاكَ ، اختَبِرْني

فاختياري ما كانَ فيهِ رِضاكا

اختبرني في هواك بالذي شئت ورضيته ، في البعد ، والصد ، والجفا .

وقد أحسن من قال :

لست مولاي أبتغي منك وصلاً لا ولا أبتغي اقتراب حماك
إنما منيتي وغاية قصدي وسروري من الزمان رضاكا

٥- فَعَلى كُلِّ حالَةٍ أنتَ مِنّي

بِيَ أَوْلَى ، إذْ لَمْ أَكُنْ لَوْلاَكا

فالرب أولى بالعبد من نفسه ، إذ مِنْهُ مِنَّة الإيجاد .

٦- وكَفانِي عِزّاً ، بِحُبِّكَ ، ذُلِّي

وخُضُوعي ، ولَستُ مِنْ أَكْفَاكا

غاية ما أروم من العز ، حاصل في ذلي بحبك ، وفي خضوعي لجلالك ، فما أنا إلا عبد ذليل ، وانت رب كريم .

٧- وإذا ما إِليكَ ، بِالوَصْلِ ، عَزَّت

نِسْبَتي عِزَّةً وصَحَّ وَلاَكا

٨- فاتِّهامي في الحبِّ حَسْبي ، وأنِّي

بينَ قَوْمي أُعَدُّ مِنْ قَتْلاكا

وإذا عز وامتنع وصالك لي ، فيكفيني من الفخر والعزة ، اتهامي بحبك ، وكوني معدوداً من جملة مقتوليك .

وقد قال في التائية :

وإن لم أفز حقاً إليك بنسبة لعزتها حسبي افتخارا بتهمة

٩- لَكَ في الحَيِّ هالِكٌ بِكَ حَيٌّ

في سَبيلِ الهوَى اسْتَلَذَّ الهَلاكا

١٠- عَبْدُ رِقٍّ ، ما رَقَّ يَوْماً لِعَتْقٍ

لَوْ تَخَلَّيْتَ عَنْهُ ما خَلاَّكا

أنا محب هالك في حبك ، ولكني حيّ بك ، فأنا هالك باستيلاء أسباب الغرام عليّ ، وحيّ بما في من روح الشوق إليك ، فالهلاك لذيذ في طريق هواك .

فأنا وإن كنت لك عبد مملوك يتصرف حبك فيّ كما تريد ، فأنا لم يسترقني قبلك أحد ، ومع ذلك لو حررتني من عبوديتك ما تحررت ، ولأحببت أن أكون لك مملوكاً ما عشت ، ولا أعرض عنك بإعراضك عني .

١١- بِجَمَالٍ حَجَبْتَهُ بِجَلالٍ

هامَ ، واستَعذَبَ العَذابَ هُناكا

فلابد من مقاساة محن الجلال ، قبل ذوق حلاوة الجمال . ولابد من استعذاب العذاب ، فهو طريق الوصول للأحباب .

١٢- أبْقِ لي مُقْلَةً لَعَلِّيَ يَوْماً

قَبْلَ مَوْتي ، أرَى بها مَنْ رَآكا

فالذي رآه تعالى هو نور سيدنا محمد ﷺ الذي هو من نور الله ، وقد رأى ربه تعالى في ليلة الإسراء ، ولم ينحجب عنه بعد ذلك أبداً .

١٣- فَبَشيرِيْ لَوْ جاءَ مِنْكَ بِعَطْفٍ

ووُجودي في قَبْضَتي قُلْتُ : هَاكا

من كثرة شوقه للقاء محبوبه ، فلو عطف عليه بإنعاش روحه بنظرة منه ، لساوت هذه النظرة عنده عمره كله .

فلو أن روحه في يده ، لأعطاها لمن يبشره بعطفكم ورضاكم .

وفي الفائيـة :

لو أن روحي في يدي ووهبتها لمبشري بقدومكم لم أنصف

١٤- كُنتَ تجْفو ، وكانَ لي بعضُ صَبْرٍ
أحْسنَ اللهُ ، في اصطِباري ، عَزاكا

قد كانت أيام غفلته له بعض صبر عن شهود الحضرة ، أما الآن ، وقد ذاق حلاوة المشاهدة ، فقد مات صبره ، يعني فقد صبره بالكلية .

١٥- شَنّعَ المُرْجِفُونَ عنكَ بهَجرِي
وأشاعُوا أنّي سَلَوْتُ هَواكا
١٦- ما بِأحْشائِهِمْ عَشِقْتُ ، فأسْلُو
عنكَ يَوْماً ، دعْ يَهْجُرُوا ، حاشاكا
١٧- كيفَ أسْلُو ، ومُقلَتي كلَّما لا
حَ بُرَيْقٌ ، تَلَفَّتَتْ لِلقاكا

نقل المرجفون أنك هجرتني ، ثم أشاعوا عليّ أني تباعدت عن هواك ، وسلوت حماك .

وقد نفى في البيت الثاني كل هذا

فقال : دعهم يهجروا فيما ادعوه وأشاعوه وأذاعوه ، من كونك تهجرني ، ومن كوني سلوت هواك ، فإن حشاي التي عشقتك بها ، ليست حشا القوم الذين أرجفوا وشنعوا ، فحشاهم معتادة على سلو الأحباب ، يعشقون وما يلبثوا أن يسلوا ويتركوا .

أما حشاي ، فليس لها عن حبيبها سلوة ، ولا تطلب من جماله جلوة ، ولا تريد خلوة ، ولا تشكو من تطاول الجفوة ، وهم يظنون هواي مثل هواهم ، وحاشاك أن تتصف بهجر المحبين ، بل أنت البادئ بالحب **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾** {المائدة:٥٤} ، ﴿ **من تقرب إليّ شبراً ، تقربت إليه ذراعاً** ﴾ .

وحاشاك أن توصف بنسيان المخلصين .

١٨- إنْ تَبَسَّمْتَ تحتَ ضَوْءِ لِثَامٍ
أوْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ منْ أنْباكا

١٩- طِبْتُ نَفْساً إذْ لاحَ صُبْحُ ثَنَايا
كَ لِعَيْني ، وفاحَ طيبُ شَذاكا

التبسم كناية عن انكشاف حضرة الأسماء والصفات للعبد السالك في طريق الله .

و**اللثام** كناية عن المظاهر الكونية الحسية المعنوية .

و**ضوء اللثام** هي ظهور نور الوجود ، من وراء حجب الأسماء والصفات .

و**الريح** هي الروح التي تتنسم نفس الرحمن .

فتطيب نفسي وروحي ، وتنبسط ، في حال ظهور هذه الأنوار ، وفوح نسمات الرحمات .

٢٠- كـلُّ مَنْ في حِمَـاكَ يَهْـوَاكَ ، لَكِـنْ
أنـا وَحْـدِي بِكُـلِّ مَـنْ في حِمَـاكَ

كل من هو داخل تحت عبوديتك يحبك ، لأن لك عليه نعمة الإيجاد ، ثم نعمة الإمداد . ولكن حبي لك مساوٍ لحب الجميع .

قالها من باب الشكر على النعمة .

فقد قال ﷺ : ﴿ **أنا سيد ولدآدم يوم القيامة ولا فخر** ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر : (**الحمد لله الذي لم يجعل فيكم أفضل مني**) فقيل له في ذلك ، فقال : (**رأيت نعمة ربي فأحببت شكرها**)

وقول الشيخ عبد القادرُ قدس الله سره : (**قدمي هذه فوق رقبة كل ولي لله تعالى**) . وقول سيدي أحمد التجاني ﷺ : **[قدماي هاتان فوق رقبة كل ولي لله تعالى]**.

٢١- يُحْشَرُ العاشِقُونَ تَحْتَ لِوَائِي

وجميعُ المِلاحِ تَحْتَ لِوَاكا

يريد أنه سلطان العاشقين ، كما أن حبيبه سلطان المعشوقين على الإطلاق وهو هنا في حال فناء في رسول الله ﷺ الذي قال : ﴿ **ما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي** ﴾ .

٢٢- عَلَّمَ الشَّوقُ مُقلَتي سَهَرَ اللَّيْـ

ـلِ فَصَارَتْ مِنْ غيرِ نَوْمٍ تَرَاكا

من شدة الشوق إلى الله تعالى ، صار يسهر الليل كله ، فصار يرى في يقظته ، ما يراه العارفون في مناماتهم ، من شدة تروحن حواسه .

٢٣- واقتِباسُ الأنوارِ مِنْ ظاهِري غَيـ

ـرُ عَجِيبٍ ، وباطِني مأواكا

إذا استضاء الناس معارفاً بما ألقيه عليهم علماً وحالاً ، فليس ذاك عجيب ، إذ أن النور الأعظم مأواه قلبي وروحي .

٢٤- يَعْبَقُ المِسْكُ ، حيثُما ذُكِرَ اسمي
مُنْذُ نادَيْتَني أُقَبِّلُ فاكا

٢٥- ويَضوعُ العَبيرُ في كلِّ نادٍ
وهْوَ ذِكْرٌ مُعَبِّرٌ عَنْ شَذاكا

لما ناديتني مجرد نداء لتقبيل فاك ، وصار المسك ملازماً للمكان الذي يذكر فيه اسمي ، فهو لم يقبل بل لمجرد النداء ، فكيف لوحضرت بنفسي .

وإذا تحرك العبير وانتشرت ريحته الطيبة ، فإنما هو نوع من التعبير عن شذاك الذي فاح وانتشر في جميع البطاح .

والفم كناية عن الكلام القديم ، و **التقبيل** كناية عن الكشف والمشاهدة فكل مجلس ذكر يذكر فيه اسمه ، يعبق فيه مسك الحقائق والمعارف ، فضلاً عن حضوره بذاته ، وذلك إنما حين ناداه المولى بالكلام الرباني ، الذي ينتشر في روحه بلا حرف ولا صوت ، فيقع في القلوب أثره .

و**الطيب** كناية عن الأسماء والصفات ، الظاهرة بظهور هذا الولي .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا ﴾ {آل عمران:١٩٣} .

٢٦- قـالَ لي حُسْنُ كُـلِّ شـيءٍ تَـجَـلّى
بي تَـمَـلّى !! فقُلتُ : قَـصـدي وراكـا

تجلى لي كل جمال في الكون ، وقال لي : تمتع بي، فقلت مقصودي غيرك ، ومطلوبي ليس داخلاً في عالم التجلي ، فكيف يدرك بالتملي . فأنا مقصودي الجميل ، لا الجمال .

وكل ما خطر ببالك ، فالله من وراء ذلك .

وما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة : الذي تطلبه أمامك ، ولا تبرجت ظواهر الأكوان ، إلا نادتك حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

فكل ما ظهر من جمال في هذا الكون ، إنما هو معنى من معاني حبيبي ، فكيف أخصه بالميل دون سواه ، فغر غيري لينظر إليك ويقبل بالمحبة عليك ولكن حبيبي أجمل من جماله ، وأحسن من حسنه .

فلن تخدعني ، فإني عارف بالجميل الحقيقي .

٢٧- إنْ تَوَلَّى على النُّفُوسِ تولّى
أوْ تَجَلَّى يَسْتَعْبِدُ النُّسَّاكا

٢٨- وَحَّدَ القلبُ حُبَّهُ ، فالتِفاتي
لكَ شِرْكٌ ، ولا أرى الإشراكا

والضمير في **لك** للعذول .

وهو كمن قال فأجاد :

وما كان تركي حبه عن ملالة ولكن أتى ذنباً يؤدي إلى الترك
أراد شريكا في المحبة بيننا وإيمان قلبي لا يميل إلى الشرك

سائق الأظعان

سائق الأظعان

١- سائِقَ الأظعانِ ، يَطوي البِيدَ طَيْ
مُنْعِماً ، عَرِّجْ على كُثْبَانِ طَيْ

٢- وتَلَطّفْ ، واجْرِ ذكري عندهمْ
عَلَّهُمْ أنْ يَنْظُروا ، عَطفاً ، إلَيْ

٣- قُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فيكُمْ شَبَحاً
ما لَهُ ، مِمَّا بَرَاهُ الشّوقُ ، فَيْ

٤- في هَوَاكُمْ ، رَمَضانٌ ، عُمْرُهُ
يَنْقَضي ، ما بين إحْياءٍ وطَيْ

٥- ومَتى أشكُو جِراحاً بالحشى

زِيدَ بالشّكوى إليها الجُرْحُ كَيْ

٦- هَلْ سَمِعْتُمْ ، أوْ رَأيتُمْ أسَداً

صَادَهُ لَحْظُ مَهَاةٍ ، أوْ ظُبَيْ

٧- أَوْعِدُوني أو عِدُوني وامْطُلُوا

حُكْمُ دِينِ الحُبِّ دَيْنُ الحِبِّ لَيْ

٨- رَجَعَ اللاّحي عليكُمْ آيساً

مِنْ رشادي ، وكذاكَ العِشقُ غيْ

٩- بَلْ أسيئوا في الهوَى ، أوْ أحسِنوا

كلُّ شيءٍ حَسَنٌ مِنْكُمْ لَدَيّ

١٠- فلَها الآنَ أُصَلِّي ، قَبِلَتْ

ذاكَ مِنِّي وهْيَ أرْضَى قِبْلَتي

١١- إنْ تَكُنْ عَبْداً لها ، حَقّاً ، تعُدْ

خَيْرَ حُرٍّ ، لمْ يَشِبْ دَعْوَاهُ لَيْ

١٢- كَمْ قَتيلٍ مِنْ قَبيلٍ ، ما لهُ

قَوَدٌ في حُبِّنا ، مِنْ كُلِّ حَيْ

١٣- فإنِ اسْتَغْنَيْتَ عَنْ عِزِّ البَقا

فَإِلَىَ وَصْلِيْ ، بِبَذْلِ النَّفسِ ، حَيْ
١٤- ما رَأتْ ، مِثلكِ ، عَيني حَسَناً
وكَمِثلي ، بكِ صَبّاً ، لَمْ تَرَىْ

١٥- نَسَبٌ أقْرَبُ ، في شَرْعِ الهوَى

بَيْنَنَا ، مِنْ نَسَبٍ مِنْ أبوَيْ

١٦- عَلِّلُوا روحي بأرواحِ الصَّبَا

فَبِرَيَّاهَا يَعُودُ المَيْتُ حَيْ

١٧- ذَهَبَ العُمْرُ ضياعاً ، وانقضَى

باطِلاً ، إنْ لمْ أفُزْ مِنْكَ بِشَيْ

سائق الأظعان

١- سـائِقَ الأظـعانِ ، يَطـوي البِيــدَ طَـيْ

مُـنْعِـمـاً ، عَــرِّجْ على كُـثْبَانِ طَـيْ

السائق من يسوق الماشية من خلفها ، والقائد الذي يقودها من أمامها .

الأظعـان : جمع ظعينة ، وهو الهودج فيه المرأة .

ويطوي : يعني يقطع البيد مشياً .

والبيـد : هي الفلاة أو الصحراء .

السائق هو الله تعالى ، واستعمل السائق بدل القائد ، لزيادة حثهم للوصول إليه . وكثبان طي كناية عن المقامات المحمدية التي عددها كرمال الكثيب . وهنا يلتمس الوصول إلى مقامات أستاذه الذي أخذ عنه ، وهو الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي ، الذي هو من ذرية حاتم الطائي ، فتناسب التصريح بطي .

٢- وتَلَـطّفْ ، واجْـرِ ذكـري عنــدهمْ

عَـلَّهُـمْ أنْ يَـنْـظُروا ، عَـطفاً ، إلـيْ

ويا رب رضي عني رسولك ﷺ ، وأعني على التخلق بأخلاقه الشريفة . واجعلني ممن يذكر بهذه المقامات المحمدية لطفاً منك .

٣- قُلْ تَـرَكْـتُ الصَّـبَّ فـيكُـمْ شَـبَـحاً

ما لَـهُ ، مِـمَّـا بَـرَاهُ الشّـوقُ ، فَـيْ

قل أيها السائق تركت عاشقكم بسبب الشوق إليكم قد اضمحل وذاب ، حتى صار بمنزلة العدم ، لا ظل له .

٤- في هَـوَاكُـمْ ، رَمَـضَـانٌ ، عُـمْـرُهُ

يَـنْـقَـضي ، مـا بيـن إحْيـاءٍ وطَـيْ

يعني أن هذا المحب صائم في عمره كله عن رؤية ما سوى محبوبه .

٥- ومَـتى أشـكُو جِـراحـاً بـالحـشى

زِيـدَ بـالـشّـكوى إليهـا الجُـرْحُ كَـيْ

كلما حصلت مني شكايا للجراح المستقرة في باطني ، رجاء زوالها ، حصل كي وإحراق لباطني ، زيادة على الجرح الذي شكوته .

فهذه المحبوبة كلما شكوت إليها ما ألاقيه في طريق محبتها ، ولو بلسان حالي دون لسان مقالي زادتني كياً وحرقة على ما أنا فيه لأن الشكوى منبئة عن دعوى الوجود معها ، وهي تغار أن يكون معها في الوجود غيرها .

وما أحسن قول القائل :

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلا   تقولين لولا الهجر لم يطلب الحب
وإن قلت هذا القلب أحرقه الجوى   تقولي بنيران الجوى شرف القلب
وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

٦- هَلْ سَمِعْتُمْ ، أوْ رَأيتُمْ أسَداً
صَادَهُ لَحْظُ مَهَاةٍ ، أوْ ظُبَيْ

كنى بالأسد عن نفسه ، لشجاعته في طريق الله ومحاربة أعدائه في سبيل المحبة ، فما أن رأى نقطة من نور جمالها ، حتى عاد أسيراً لهذا الجمال .

و**المهاة** في اللغة هي البقرة الوحشية ، و**الظبى** هو الغزال الصغير .

٧- أَوْعِدُوني أو عِدُوني وامْطُلُوا
حُكْمُ دِينِ الحُبِّ دَيْنُ الحِبِّ لَيْ

فالوعد والوعيد سواء عند المحبين ، ومطل الوعد مقبول ، لأن المحبوب هو المالك على الحقيقة ، فليفعل ما شاء ولا يُسأل ، وكيفما فعل فليس بظالم .

الوعـد بالخير ، و**الإيعاد** بالشر . و**المطـل** هو التسويف .

و**لي** بمعنى التسويف أيضاً .

٨- رَجَـعَ الـلاّحـي علـيـكُـمْ آيـسـاً
مِـنْ رشـادي ، وكـذاكَ العِـشـقُ غـيْ

اللاحي : هو اللائم . و**اليائس** : هو القانط الذي لم يبق له طمع .

و**العشق** : هو إفراط الحب .

اللاحي هنا هو الشيطان ، الذي كان يوسوس لي ، ويشككني في أمركم أيام جاهليتي ، رجع الآن عني آيساً ، إذ لا طمع له في نصيحته المزعومة لي إذ أنا الآن غارق في بحار أنوار الحب ، فلا وصول له إليّ .

٩- بَـلْ أسـيـئـوا في الـهـوَى ، أوْ أحسِـنوا
كـلُّ شـيءٍ حَـسَـنٌ مِـنْـكُمْ لَـدَيّ

فيرى الأشياء من خلال حبه ، فلا يرى إلا حسنا .

فهو الآن في بحر الوحدة ، والوترية ، حيث وحدة الشهود ، وزال كل أثر لشفعية الأسماء والصفات .

١٠- فلَهـا الآنَ أُصَلِّي ، قَبِلَـتْ
ذاكَ مِـنِّـي وهْـيَ أرْضَـى قِـبْلَـتـيْ

يعني أنني أصلي بروحي وقلبي إلى محبوبتي ، وقد قبلت مني صلاتي لوجهها الظاهر في كل شئ ، من قوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾{البقرة:١١٥} وهي اكثر رضا منها عني إذا صليت إلى الكعبة فقط ، فصلاة الظاهر قِبلتها الكعبة ، وصلاة الباطن قِبْلَتُها وجه المحبوبة .

١١- إنْ تَـكُنْ عَـبْـداً لـها ، حَـقّاً ، تَـعُدْ
خَـيْرَ حُـرٍّ ، لمْ يَـشِـبْ دَعْـوَاهُ لَـيْ

فالعبودية إذا صحت ، عاد العبد حراً ، وصار العيش حلوا وإذا أدعيت الحرية بعد ذلك ، فأنت صادق لم يخالط دعواك إنكار .

١٢- كَـمْ قَـتيـلٍ مِنْ قَـبيـلٍ ، ما لَـهُ
قَـوَدٌ فـي حُـبِّـنـا ، مِنْ كُـلِّ حَـيْ

كم يعنى كثير من المدعين لما بدأوا الطريق ، ونالتهم سهام البلاء ، قتلوا فكانوا شهداء ، أو هربوا ، فكانوا دخلاء .

١٣- فـإنِ اسْـتَـغْـنَيْـتَ عَـنْ عِـزِّ الـبَـقـا

فَإلىَ وَصْـلِيْ ، بِبَـذْلِ النَّـفسِ ، حَيْ

فلابد أولاً من الإستغناء عن عز الغنى ، بما خلقه الله لك من جوارح وأعضاء ، وعقل وفكر ، وخيال ودنيا ، ثم بعد ذلك ، تجود بنفسك في سبيل وصالي .

١٤- ما رَأتْ ، مِثلكِ ، عَـيـني حَـسَناً

وكَـمِـثلي ، بكِ صَـــبّاً ، لــمْ تَـرَىْ

فالحضرة الإلهية لم تتجل على شيئين بتجل واحد ، فلا شئ يشبه شيئاً ، وذلك لأن الله تعالى واسع .

والله تعالى ليس كمثله شئ .

فأنا ما شاهدت ببصيرتي مثلك حسناً ، وكذلك أنت ، ما رأيت مثلي لك عاشقاً .

كما قال في التائيه الصغرى :

فلم أر مثلي عاشقاً ذا صبابة　　　ولا مثلها معشوقة ذات بهجة

١٥- نَسَـبٌ أقْـرَبُ ، في شَـرْعِ الهـوَى

بَيْنَنَا ، مِنْ نَسَبٍ مِنْ أبَوَيْ

النسب الكائن بيننا من جهة المحبة ، هو أقرب من النسب الكائن من أبي وأمي ، إذ النسب الطيني مقطوع بالموت ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾{المؤمنون:١٠١} . والله تعالى يقول يوم القيامة : ﴿ **اليوم أضع أنسابكم ، وأرفع نسبي** ﴾ .

١٦- عَلِّلُوا روحي بأرواحِ الصَّبَا

فَبرَيَّاهَا يَعُودُ المَيْتُ حَيْ

يا أحبابي لاطفوا علة روحي بنسيم الصبا ، فإذا مر على روحي العليلة ، شفا علتها ، فإن رائحتها الطيبة تكون سبباً لعود الميت إلى الحياة .

١٧- ذَهَبَ العُمْرُ ضياعاً ، وانقضَى

باطِلاً ، إنْ لَمْ أفُزْ مِنْكَ بِشَيْ

يتأسف على ما فات من عمره ضياعاً ، إذ لم يفز من مراده بالمراد ، حيث لم يجد من حبيبته نوعاً من الإسعاف والإسعاد . أما إن فاز منه بشئ ، ولو كان قليلاً ، فإنه يكون ممن حاز عيشاً طيباً جميلاً .

وما أحسن قول القائل :

قليل منك يكفيني ، ولكن قليلك لا يقال له قليل

فرط الحب

فرط الحب

١- زِدْني بِفَرْطِ الحُبِّ فيكَ تَحَيُّراً
وارْحَمْ حَشىً بِلَظَى هَواكَ تسعَّرَا

٢- وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً
فاسْمَحْ ، ولا تجعلْ جوابِيَ : لنْ تَرَى

٣- يا قلبُ ! أنتَ وعدتَني في حُبِّهِمْ
صَبْراً ، فحاذِرْ أنْ تَضِيقَ وتَضْجَرَا

٤- إنَّ الغَرامَ هوَ الحَياةُ ، فَمُتْ بهِ
صَبّاً ، فحقُّكَ أنْ تَموتَ ، وتُعْذَرَا

٥- قُلْ للَّذينَ تقدَّموا قَبْلي ، ومَنْ
بَعْدي ، ومَنْ أضحى لأشجاني يَرَى

٦– عَنّي خذوا ، وبيَ اقْتَدوا ، وليَ اسْمعوا
وتَحَدَّثوا بِصَبابَتي بَيْنَ الوَرَى

٧– ولقدْ خَلَوْتُ معَ الحَبيبِ ، وبَيْنَنا
سِرٌّ أرَقُّ مِنَ النَّسيمِ ، إذا سَرَى

٨– وأباحَ طَرْفي نَظْرَةً أمَّلْتُها
فغَدَوْتُ مَعْرُوفاً ، وكُنْتُ مُنَكَّرَا

٩– فَدُهِشْتُ بَيْنَ جَمالِهِ وجَلالِهِ
وغَدَا لِسَانُ الحالِ ، عَنّي مُخْبِرَا

١٠– فَأَدِرْ لِحاظَكَ في مَحاسِنِ وَجْهِهِ
تَلْقَى جَميعَ الحُسْنِ ، فيهِ ، مُصَوَّرَا

١١– لوْ أنَّ كُلَّ الحُسْنِ يكمُلُ صُورةً
ورآهُ ، كانَ مُهَلِّلاً ، ومُكَبِّرَا

فرط الحب

١- زِدْني بِفَرْطِ الحُبِّ فيكَ تَحَيُّراً

وارْحَمْ حَشىً بِلَظَي هَوَاكَ تسعَّرَا

٢- وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً

فاسْمَحْ ، ولا تجعلْ جوابِيَ : لنْ تَرَى

مقام الحيرة من أعلى المقامات ، فسأل زيادة الحيرة المترتبة على زيادة الحب وسأل معها اللطف والرحمة .

ثم سأل الله تعالى أن ينيله مقام الفناء في رسوله ﷺ ، حتى يرى الله تعالى في حال فنائه في من رآه ، وهنا تلميح بقصة موسى عليه السلام ، حيث طلب الرؤيا فأجابه الله تعالى بلن تراني ، لأنه لم يكن فانياً في رسول الله ﷺ .

فالفناء في رسول الله ﷺ يرقي همة صاحبه ، إلى أن يطلب ما طلبه الأنبياء من قبل ، ومنعوا منه .

٣- يا قلبُ ! أنتَ وعدتَني في حُبِّهمْ
صَبْراً ، فحاذِرْ أنْ تَضِيقَ وتَضْجَرَا

احذر أيها القلب من أن تضيق وتمل ، من اصطبارك في حبهم ، فلا تضجر ولا تسأم ، وقد وعدتني بذلك .

٤- إنَّ الغَرامَ هوَ الحَياةُ ، فَمُتْ بهِ
صَبّاً ، فحقُّكَ أنْ تَموتَ ، وتُعْذَرَا

فيا سعادة من مات بحبه ، ولم يخرج حرف الشكاية من فيه ، فهذا حقيق بأن يحيا بهذا الحب حياة الأبد .

وهذا الحب هو المسافة بين الحدوث والقدم ، فالموت الحادث هو الطريق إلى الحياة الأزلية ، وهو الوصلة بين يحبهم ويحبونه .

٥- قُلْ للَّذينَ تقدَّموا قَبْلي ، ومَنْ
بَعْدي ، ومَنْ أضحى لأشجاني يَرَى

٦- عَنِّي خذوا ، وبيَ اقْتَدوا ، وليَ اسْمعوا

وتَحَدَّثوا بِصَبابَتي بَيْنَ الوَرَى

جمع بين من مضى ، ولمن يأتي ، ولمن هو موجود مع المتكلم في زمانه ، من أهل المحبة ، وهو يخاطب قلبه الحي بالحياة الأبدية .

٧- ولقدْ خَلَوْتُ معَ الحَبيبِ ، وبَيْننا

سِرٌّ أرَقُّ مِنَ النَّسيمِ ، إذا سَرَى

٨- وأباحَ طَرْفي نَظْرَةً أمَّلْتُها

فغَدَوْتُ مَعْرُوفاً ، وكُنْتُ مُنَكَّرا

٩- فَدُهِشْتُ بَيْنَ جَمالِهِ وجَلالِهِ

وغَدَا لِسَانُ الحالِ ، عَنّي مُخْبِرَا

والسر هنا هو التحقق بحقيقة الوجود ، بوقوع الشهود ، حيث سرى روح الله في ، وهي أرق من النسيم في لطفها في سريانها .

١٠- فَأَدِرْ لِحاظَكَ في مَحاسِنِ وَجْهِهِ

تَلْقَى جَميعَ الحُسْنِ ، فيهِ ، مُصَوَّرَا

فكل ما صدر عن الجميل ، جميل .

١١- لوْ أنَّ كُلَّ الحُسْنِ يكمُلُ صُورَةً
ورآهُ ، كانَ مُهَلِّلاً ، ومُكَبِّرَا

تعظيماً لذلك الجمال الأقدس .

النهاية

الهائية

١- ما بينَ ضَالِ المُنحَنى وظِلالِهِ
ضَلَّ المُتيَّمُ واهتَدى بضَلالِهِ
٢- وبذلكَ الشِّعبِ اليَماني مُنْيَةٌ
للصَّبِّ ، قدْ بَعُدَتْ على آمالِهِ
٣- يا صاحبي هذا العَقِيقُ فَقِف به
مُتَولِّهاً إن كنتَ لستَ بِوالِه
٤- وأظُنُّه لمْ يَدْرِ ذُلَّ صَبابَتي
إذْ ظلَّ مُلْتَهِياً بِعِزِّ جَمالِهِ
٥- تَفديهِ مُهجَتيَ ، الَّتي تَلِفَتْ ، ولا
مَنٌّ عليهِ ، لأنَّها مِنْ مالِهِ

٦- أتُــرَى دَرَىَ أنِّي أحِــنُّ لِـهَـجرِهِ
إذْ كـنتُ مُـشتاقاً لـهُ كَوِصـالِهِ

٧- لا ذُقْـتُ يَـوْماً راحَـةً منْ عـاذِلٍ
إنْ كُـنتُ مِـلْتُ لِقِيـلِهِ ولِقَالِـهِ

٨- فوَحقِّ طيبِ رِضَا الحَبيبِ ووَصْـلِهِ
مـا مَـلَّ قَـلبي حُـبَّـهُ لِمَـلاَلِهِ

الهائية

١- ما بينَ ضَالِ المُنحَنى وظِلالِهِ

ضَلَّ المُتيَّمُ واهتَدى بضَلالِهِ

قد تاه المتيم ، الذي تيمه الحب ، وكان آخر ضلاله به ، هو أول هدايته .

والضال : نوع من السدر . **والمنحنى** : مكان يتعرج فيه الوادي .

والظل : هو الفيء ، وجمعه ظلال .

٢- وبذلكَ الشِّعبِ اليَماني مُنْيَةٌ

للصَّبِّ ، قدْ بَعُدَتْ على آمالِهِ

الشعب : الطريق في الجبل . **والمنية** : هي المطلوب . **والصب** : العاشق فمطلوبه لا تصل إليه الآمال ، لعزته ، ومنعته ، ونفاسته .

وما أحسن قوله :

وكيف أرجي وصل من لو تصورت حماها المنى وهما لضاقت بها السبل

٣- يا صاحبي هذا العَقِيقُ فَقِف به

مُتَولِّهاً إن كنتَ لستَ بِوالِه

الوله : الحيرة . و**المتوله** : هو الذي يظهر الوله تكلفاً .

ينادي عقله ، أنه قد وصل إلى مقام لابد أن يسجد فيه العقل على الأعتاب ، ولا يقترب فيه من الباب ، حتى يدع المجال لروحه في التقدم .

و**العقيق** : وادٍ مقدس بقرب المدينة .

٤- وأظُنُّه لمْ يَدْرِ ذُلَّ صَبابَتي

إذْ ظلَّ مُلْتَهِياً بِعِزِّ جَمالِهِ

يظن أن عز جمال محبوبه ، يلهيه عن العشاق ، وما بهم من الداء والذل .

وكلمة **ظل** تدل على الإستمرار .

٥- تَفديهِ مُهجَتيَ ، الَّتي تَلِفَتْ ، ولا

مَنٌّ عليهِ ، لأنَّها مِنْ مالِهِ

أنت أتلفت مهجتي ، ومع ذلك هي فداءٌ لك . وبما أن مهجتي من مالك ، يعني هي ملك لك ، فلا من على الإنسان بماله .

وانظر إلى الأدب حين قال : **تَلِفَت** ، ولم يقل : **أتلفها** .

وهذا كقول القائل :

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من ماله

٦- أتُــرَى دَرَىَ أنِّي أحِـــنُّ لِـهَـجـرِهِ
إذْ كُــنتُ مُـشـتـاقـاً لـهُ كَـوِصـالِـهِ

الشوق إلى الهجر ، كالشوق إلى الوصال ، أمر في غاية الإستبعاد ، لا يكاد يصدقه الفؤاد ، والميل إليهما بالسوية هو ضد الطبيعة البشرية ، إلا لقوم هذب الحب نفوسهم ، فاستوى عندهم القرب والبعد ، وهذه حالة تُعرَف ، ولا تُعرَّف ، تُذاق بالقلب ، فأقصى أمانيه أن يرضى حبيبه ، ولا يهم بعد ذلك إن قربه أو أقصاه ، إن صافاه أو جفاه .

٧- لا ذُقْـتُ يَـوْماً راحَـةً مِـنْ عـاذِلٍ
إنْ كُـنتُ مِـلْتُ لِقِيـلِهِ ولِـقَالِـهِ

يدعو على نفسه ، بعدم ذوق الراحة من عاذله ، إن كان قد مال يوماً لكلامه وعذله .

٨- فـوَحقِّ طيبِ رِضَـا الحَبيبِ ووَصْـلِهِ
مـا مَـلَّ قَـلـبي حُـبَّـهُ لِـمَـلَالِـهِ

إذا حبيبي ملني ، فأنا لا أمل من حبه ، لأن الحبيب يعز ، ومحبه يذل .

وما أحسن قول القائل :

لك أن تعز كما تشاء وتهجرا وعلى محبك أن يذل ويصبرا

احفظ فؤادك

إحفظ فؤادك

١– إحفظْ فؤادكَ ، إنْ مَرَرْتَ بحاجرِ

فظِباؤهُ ، منها الظُّبيَ بمَحاجرِ

٢– فالقلبُ فيهِ واجبٌ مِنْ جائزٍ

إنْ يَنْجُ ، كانَ مُخاطِراً بالخاطِرِ

٣– لِلَماءِ عُدْتُ ، ظَماً ، كأصدى وَارِدٍ

مُنِعَ الفراتَ ، وكنتُ أرْوَي صادِرِ

٤– خيرُ الأصَيحابِ ، الَّذي هوَ آمِرِي

بالغَيّ فيهِ ، وعَنْ رَشادي زاجِرِي

٥– لوْ قيلَ لي : ماذا تُحِبُّ ، وما الَّذي

تَهْوَاهُ مِنهُ ؟ لقُلتُ : ما هوَ آمِرِي

٦- ولقدْ أقولُ لِلائمي ، في حُبِّهِ
لَمَّا رَآهُ ، بُعَيْدَ وَصْلي ، هاجِرٍ :

٧- عَنِّي إليكَ ، فلي حَشىً لَمْ يُثْنِها
هُجْرُ الحديثِ ولا حَديثُ الهاجِرِ

٨- لكِنْ وجدتُّك ، منْ طريقٍ ، نافعي
وبلذْعِ عَذْلي لوْ أطَعتُكَ ضائِرِي

٩- أحْسَنتَ لي ، منْ حَيثُ لا تَدْري ، وإنْ
كُنتَ المُسيَ ، فأنتَ أعْدَلُ جائرِ

١٠- يُدْني الحَبيبَ ، وإنْ تَناءَتْ دارُهُ
طَيفُ المَلامِ ، لِطَرْفِ سمعي السَّاهرِ

١١- فكأنَّ عَذْلكَ عِيسُ مَنْ أحْبَبْتُهُ
قَدِمَتْ عَليَّ ، وكانَ سَمعيَ ناظِرِي

١٢- أتْعَبْتَ نفسَكَ واستَرَحتُ بذكْرِهِ

حَتَّى حَسِبتُكَ ، في الصَّبابـةِ عـاذِرِي

١٣- فاعْجَبْ لِهاجٍ ، مـادِحٍ عُـذَّالَـهُ
في حُـبِّــهِ ، بـلِسَـانِ شـاكٍ ، شـاكِـرِ

١٤- يا سـائِراً بـالقلبِ غــدراً كيـفَ لمْ
تُتْبِعْهُ مـا غـادَرْتَـهُ مِـنْ سـائِرِي ؟

١٥- بَعضِي يَغارُ عليكَ منْ بَعضي ، ويحْـ
ـسُدُ باطِني ، إذْ أنتَ فيهِ ظاهِرِي

١٦- ويَـوَدُّ طَـرْفي ، إنْ ذُكِـرْتَ بمَجْـلِسٍ
لوْ عـادَ سَمعاً مُصغِيـاً لِمُسـامِرِي

احفظ فؤادك

١– إحفظْ فؤادكَ ، إنْ مَرَرْتَ بحاجرِ

فظِباؤهُ ، منها الظُّبيَ بمَحاجرِ

إن مررت بالمكان المسمى **حاجر** فاحفظ فؤادك ، لئلا يصاب فإن سيوف عيون غزلانها قاطعة .

والظباء : جمع ظبي .   **والظبا** : جمع ظبة ، وهي السيف .

والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما يحيط بالعين .

٢– فالقلبُ فيهِ واجبٌ مِنْ جائزٍ

إنْ يَنْجُ ، كانَ مُخاطِراً بالخاطِرِ

فالقلب في ذلك المكان ساقط من حبيب يجوز ، أي يمر في هذا المكان ، يجلو حسنه على عشاقه ، فإن نجا ذلك القلب بعد سقوطه في ذلك المكان كان مخاطراً براحة خاطره وفكره .

٣- لِلَماءِ عُدْتُ ، ظَماً ، كأصدى وَارِدٍ
مُنِعَ الفراتَ ، وكنتُ أرْوَي صادِرِ

صرت من الظمأ كأعطش رجل وارد قد مُنع الفرات شوقاً لريقة ، وقد كنت أروى رجل من هذا الحب ، ومع هذا الإرتواء فقد اشتقت إلى هذا الماء شوقاً جعلني كأظمأ رجل .

٤- خيرُ الأصَيحابِ ، الَّذي هوَ آمِرِي
بالغَيّ فيهِ ، وعَنْ رَشادي زاجِرِي

يعني خير أصحابي القريبين مني من يأمرني بالغواية والتمادي في هواه ، وينهرني عن رشادي في اتباع رضاه .

٥- لوْ قيلَ لي : ماذا تُحِبُّ ، وما الَّذي
تَهْوَاهُ مِنهُ ؟ لقُلتُ : ما هوَ آمِرِي

مهما أمرني به ، فهو المحبوب إليّ ، ومهما طلب مني ، فذلك عين مطلوبي وقد أحسن القائل :

لست مولاي أرتجي منك وصلا لا ولا ابتغي اقتراب حماكا

إنما منيتي وغاية قصدي وسروري من الزمان رضاكا

كل ما في الوجود غيرك وهم أبعد الله كل شئ سواكا

٦- ولقدْ أقولُ لِلائمي ، في حُبِّهِ
لَمَّا رَآهُ ، بُعَيْدَ وَصْلي ، هاجِرٍ :
٧- عَنِّي إليكَ ، فلي حَشىً لمْ يُثْنِها
هُجْرُ الحديثِ ، ولا حَديثُ الهاجِرِ

يقول للائمه الذي استغل فرصة هجر حبيبه له ، ولامه في حبه ، يقول له : إليك عني ، فإنني لا يمنعني عن حبه ما تهذي به من حديث ، ولا حديث من هجر أحبابه .

٨- لكِنْ وجدتُّك ، منْ طريقٍ ، نافعي
وبلذْعِ عَذْلي لوْ أطَعتُكَ ضائِرِي
٩- أحْسَنتَ لي ، منْ حَيثُ لا تَدْري ، وإنْ

كُنتَ المُسيءَ ، فأنتَ أعْـدَلُ جائرِ

لما أظهر شكايته من لائمه ، فكأن فاهماً فهم أن أفعال اللائم كلها قبيحة وصفاته تؤدي إلى الفضيحة ، فاستدرك دفع ذلك الفهم ، وقال أن هذا العاذل له نفع ، وله ضر ، وضره يقع لو أطعته في عذله .

وأنا لم أطعه ، مع أن عذله كإحراق النار في لذعه .

وهذا العاذل قد أحسن إليه ، من حيث أنه قاصد للإساءة ، فهو وصفه هنا بالعدل ، وإن كان جائراً .

١٠- يُـدْني الحَـبيبَ ، وإنْ تَنـاءَتْ دارُهُ

طَيفُ المَـلامِ ، لِطَرْفِ سمعي السَّاهرِ

فكما أن طيف المنام يدني الحبيب للنائم ، فكذلك طيف الملام من العذول يدنيه لسمع المحب الساهر اليقظان .

فطيف خيال المحبوب ينكشف للمحب ، حين يذكره العاذل في عذله ، فيتمتع به المحب ، واللائم لا يدري .

١١- فكأنَّ عَـذْلكَ عِيـسُ مَنْ أحْبَبْتُـهُ

قَـدِمَـتْ عَـليَّ ، وكـانَ سَـمعيَ نـاظرِي

وكأن عذل العذول هي جِمال الحبيب ، قدمت عليه من السفر ، ولكن سمعه هنا كان مدركاً مكان بصره ، فالعيس تدني إلى النظر ، والملام يدني إلى الخبر .

١٢- أتْعَبْتَ نفسَكَ واستَرَحتُ بذكْرِهِ
حَتَّى حَسِبتُكَ ، في الصَّبابةِ عاذِرِي

١٣- فاعْجَبْ لِهاجٍ ، مادِحٍ عُذَّالَهُ
في حُبِّهِ ، بلِسَانِ شاكٍ ، شاكِرِ

لما كانت الألفاظ في الأبيات السابقة تفيد هجواً ومدحاً ، وشكاية وشكراً نفعاً وضراً ، إحساناً وإساءة ، فهذا أمر عجيب في أحوال المحبين .

١٤- يا سائِراً بالقلبِ غدراً كيفَ لَمْ
تُتْبِعْهُ ما غادَرْتَهُ مِنْ سائِرِي ؟

يا من سرت بقلبي قهراً عني ، كيف لم تأخذ مع قلبي بقية ظاهري وباطني ، حتى لا تبقي لي شيئا .

١٥- بَعضِي يَغارُ عليكَ مِنْ بَعضي ، ويحْـ
ـسُدُ باطِني ، إذْ أنتَ فيهِ ظاهِرِي

البعض الذي يحسد هو الجسد ، وغيرته على أنه لم يكن عند الحبيب مع القلب ، ولأجل أنك في الباطن ظاهر ، فظاهري يحسد هذا الباطن .

١٦- ويَـوَدُّ طَـرْفي ، إنْ ذُكِـرْتَ بمَجْـلِسٍ

لـوْ عـادَ سَمعاً مُصغِيـاً لِمُسـامِرِي

ومن الغيرة أن يود بصري ، لو عاد سمعاً ، حين تذكر بمجلس .

رباعيات

نجد

ربا نجد

١- أوَمِيضُ بَرْقٍ ، بالأُبَيْرِقِ ، لاحا
أمْ ، في رُبَى نَجدٍ ، أرى مِصباحاً
٢- أمْ تِلكَ ليلى العامريَّةُ أسْفَرَتْ
لَيلاً ، فصَيَّرَتِ المساءَ صَباحَا
٣- يا ساكِني نَجدٍ ، أما مِنْ رَحمَةٍ
لأسيرِ إلْفٍ ، لا يُريدُ سَراحاً

٤- يا عـاذِلَ المُشـتاقِ جَهْـلاً بالَّـذي
يَـلقى مَـلِـيّـاً ، لا بَلَـغْـتَ نجـاحـا
٥- أتْعَبْتَ نفسكَ في نصِيحَةِ مَنْ يَرَى
أنْ لا يـرى الإقـبـالَ ، والإفـلاحـا
٦- كُنتَ الصَّديقَ ، قُبَيلَ نُصحِكَ مُغْرماً
أرأيتَ صَـبًّـا يـألَـفُ النُّـصَّـاحـا؟
٧- إنْ رُمـتَ إصْـلاحـي ، فإنِّي لمْ أُرِدْ
لِفَسَـادِ قَـلبـي في الهَـوَى ، إصْلاحـا

٨- ماذا يُـريـدُ العـاذِلونَ بعَـذلِ مَنْ
لَـبِسَ الخَـلاعَـةَ ، واسـتـراحَ وراحـا
٩- يا أهْـلَ وِدِّي ، هَلْ لراجي وَصْلِكمْ
طَمَـعٌ ، فـيَـنـعَـمَ بَالُـهُ استـرْواحـا
١٠- مُـذْ غِـبْـتُـمُ عنْ نـاظِري ليَ أنَّـةٌ
مَـلأتْ نـواحيَ أرضِ مِـصْـرَ نَـواحـا

١١- وإذا ذكَـرْتُـكمُ ، أمِيـلُ ، كـأنَّـنـي
مِنْ طيـبِ ذِكْـرِكُـم ، سُقِيتُ الـرَّاحـا

١٢- وإذا دُعِـيتُ إلى تَـنَـاسي عَـهْـدِكُـمْ
ألْفَـيتُ أحـشـائي ، بذاكَ ، شِحـاحا

١٣- قَـسَـماً بمكَّـةَ ، والمَقـامِ ، ومَنْ أتَى الْـ
ـبَـيْـتَ الحَـرامَ ، مُـلـبِّـيـاً سَـيَّـاحا

١٤- ما رَنّـحتْ ريحُ الصَّبـا شِيـحَ الـرُّبَـا
إلاَّ ، وأهْـــدَتْ مِـــنْـــكُـــمُ أرواحـا

حائية

١- أوَمِيـضُ بَـرْقٍ ، بالأُبَـيْـرِقِ ، لاحـا
أمْ ، في رُبَـى نَـجدٍ ، أرى مِصبـاحاً

وميض البرق : هو لمعان البرق الخفيف . **ولاح** : يعني ظهر

الأبيرق : تصغير الأبرق ، هو المكان فيه حجارة ورمل وطين .

وربـا : جمع ربوة وهي أعلى الشئ . وكل ما أشرف من الأرض فهو نجد .

٢- أمْ تِـلكَ ليـلى العـامـريَّـةُ أسْـفرَتْ
لَيـلاً ، فصَـيَّـرَتِ المسـاءَ صَبـاحَا

أن هذه المحبوبة لما كشفت عن وجهها ، أصبح الليل بنورها صباحاً

٣- يا سـاكِني نَـجدٍ ، أما مِنْ رَحمَـةٍ
لأسيرِ إلْـفٍ ، لا يُـريـدُ سَـراحاً

هم أصحاب المقام العالي في التحقق بمعرفة الله ، فإنهم مظاهر التجلي الإلهي ، إذا وجدهم المريد ، فهو الواصل إلى كل ما يريد .

فهو قد وقع اسيراً لهذا الجمال ، ولا يريد أن يكون حراً من هذا الأسر .

٤- يا عـاذِلَ المُشـتاقِ جَهْـلاً بالَّـذي
يَـلقَى مَـلِيّـاً ، لا بَلَـغْـتَ نجـاحـا

يا من يعذل أهل الشوق ، جهلا بما يلقون من مكابدة السلوك .

ومليا : يعني يعذله زماناً طويلاً .

يدعو عليه بألا يبلغ النجاح في مسعاه .

٥- أتْعَبْتَ نفسكَ في نصِيحَةِ مَنْ يَرَى

أنْ لا يرى الإقبالَ ، والإفلاحا

يا من عذلت وتعبت في نصيحة رجل لا يرى الإقبال والفلاح ، إلا في حبه وشوقه .

٦- كُنتَ الصَّديقَ ، قُبَيلَ نُصحِكَ مُغْرماً
أرأيتَ صَبًّا يألَفُ النُّصَّاحا؟

لم يكن لي صديق سواك ، ومع ذلك لما نصحتني ذهبت صداقتك ، وغرامي بحبيبي هو سبب قطعي صداقتك .

إذ أنه لا صب ، ولا محب ، يألف من ينصحه ويعذله في حبه .

٧- إنْ رُمتَ إصْلاحي ، فإنِّي لمْ أُرِدْ
لِفَسَادِ قَلبي ، في الهَوَى ، إصْلاحا

إن كنت تريد بنصحك لي إصلاحي ، فقد أخطأت ، فإني لا أريد في الهوى إلا فساد الفؤاد ، وذهابه في جمال هذا المحبوب . فدع عنك ما قصدته من إصلاحي ، فإنه عين الفساد .

٨- ماذا يُريدُ العاذِلونَ بعَذلِ مَنْ

لَـبِـسَ الخَـلاعَـةَ ، واسـتـراحَ وراحـا

ماذا يقصد العاذلون من نصح رجل ، لبس الخلاعة ، فلم يصبح يعنيه نظر الناس ، واستراح بترك ما اعتاده أمثاله من التستر ، فقد سلك في التهتك أوسع المسالك .

٩- يا أهْلَ وِدِّي ، هَلْ لراجي وَصْلِكمْ
طَمَعٌ ، فيَـنـعَمَ بَالُـهُ استرْواحـا

١٠- مُـذْ غِبْتُـمُ عنْ نـاظِري ليَ أنَّـةٌ
مَـلأتْ نـواحيَ أرضِ مِـصْـرَ نَـواحـا

١١- وإذا ذكَـرْتُـكمُ ، أمِيـلُ ، كـأنَّـنـي
مِنْ طـيـبِ ذِكْـرِكُـم ، سُقِيتُ الـرَّاحـا

١٢- وإذا دُعِـيتُ إلى تَـنَـاسي عَـهْدِكُـمْ
ألْفَـيـتُ أحـشـائي ، بذاكَ ، شِحـاحا

١٣- قَـسَـماً بمكَّـةَ ، والـمَقـامِ ، ومَنْ أتَى الْـ
ـبَـيْـتَ الحَـرامَ ، مُـلـبِّـيـاً سَـيَّـاحـا

١٤- ما رَنَّـحتْ ريـحُ الصَّبـا شِيـحَ الـرُّبَـا

إلاَّ ، وأهْـــدَتْ مِــنْــكُــمُ أرواحـا

الـراحـا : يعني الخمر . **الشــح** : يعني البخـل .

يسأل أحبابه ، وهو يعلم أن لا طمع في الوصال ، ولذا فهو يسألهم هل له في أن يطمع أصلاً . فإن كان الطمع ممكن الحصول ، فإنه ينشأ عن ذلك لباله النعيم ، ويستريح به من العذاب الأليم .

ولله در من قال :

ولم أحسـد على نسـب ولا حسـب ولا مـال
ولكـني حسـدت فـتى يـبيـت منـعم البـال

وهو بعدهم ما استراح ، ولا وصف بالإنشراح ، ولكنه ملأ جنبات مصر بالنـواح .

وإذا دعاه داع إلى تناسي عهدكم ، فإن أحشاءه تضن عليه بذلك النسيان.

ثم يقسم بمكـة ، ومقـام ابراهيم ، وبمن أتى البيت الحرام حاجاً ومعتمـراً ، أنه ما أمـالت الريـح ، ريح الصبـا ، الشيح النـابت في الأمـاكن العالية ، وما دام هو مزروع في مكان مرتفع ، فالريح دائمة الإمالة له ، فهي دائماً تهدي إليه ريح حبيبه ، فهو يحيا بها .

آية

العشق

آية العشق

١- نسخْتُ بِحُبّي آيةَ العِشْقِ منْ قبلي

فأهلُ الهوى جُندي وحكمي على الكُلِّ

٢- وكُلُّ فَتىً يَهوى ، فإنّي إمَامُهُ

وإنِّي بَريءُ مِنْ فَتىً سامعِ العَذْلِ

٣- ولي في الهوى عِلْمٌ تَجلُّ صِفاتُهُ

وَمَنْ لمْ يُفَقِّهْهُ الهوى ، فهْوَ في جَهْلِ

٤- ومنْ لمْ يكنْ في عِزَّةِ الحُبّ تائِهاً
بحُبِّ الَّذي يَهوى فبشِّرهُ بالذلِّ

٥- إذا جادَ أقوامٌ بمالٍ رأيتهمْ
يَجودونَ بالأرواحِ مِنهمْ بلا بُخْلِ

٦- وإنْ أُودِعوا سِرَّاً رأيتَ صُدورهمْ
قُبوراً لأسْرارٍ تَنَزَّهُ عنْ نَقلِ

٧- وإنْ هُدِّدوا بالهَجرِ ماتوا مَخَافَةً
وإنْ أُوعِدوا بالقَتلِ حنُّوا إلى القَتْلِ

٨- لَعَمرِي هُمُ العُشَّاقُ عندي حقيقَةً
على الجِدِّ ، والباقونَ منهمْ على الهَزْلِ

آية العشق

١- نسـخْتُ بِـحُـبِّي آيـةَ العِشْـقِ منْ قبـلي

فأهلُ الهوى جُندي وحكمي على الكُلِّ

هنا يتكلم فانيـاً في رسول الله ﷺ .

فهو إمـام أهل الحب ، ولو كان العشق آية ، فحبـه هو الناسخ لهذه الآية ، وجميع المحبين كلهم تبع له ، وحكمه عليهم جميعاً نافذ .

٢- وكُـلُّ فَـتىً يَهـوى ، فإنّـي إمَـامُـهُ

وإنِّـي بَـرِئٌ مِنْ فَـتىً سـامعِ العَـذْلِ

وكل عاشق للحضرة الإلهية ، فهو تبع لي ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾{آل عمران:٣١} وأنا متبرئ من كل غافل عن الحضرة الإلهية ، سامع لعذاله ، وهم : النفس والهوى والشيطان والدنيا .

٣- ولي في الهوى عِلْـمٌ تَجلُّ صِفاتُـهُ

ومَنْ لَمْ يُفَـقِّههُ الهوى ، فهْوَ في جَهْلِ

ومن لم يعبد الله على الحب ، فهو جاهل بربـه .

٤- ومـنْ لَمْ يكنْ في عِـزَّةِ الحُـبّ تائِهـاً

بـحُبِّ الَّـذي يَـهوى فـبشِّـرهُ بـالـذلِّ

ومن لم يفتخر بحبه لله ، وتكفيه عزة الحب ، فنهايته إلى الذلِّ في حب الدنيا والهوى .

٥- إذا جـادَ أقـوامٌ بـمـالٍ رأيـتـهـمْ

يَجـودونَ بـالأرواحِ مِنهـمْ بلا بُخْـلِ

فهم لا يبخلون في طريق المحبة بأرواحهم .

٦- وإنْ أُودِعوا سِرَّاً رأيتَ صُدورهمْ

قُبوراً لأسْرارٍ تَنَزَّهُ عنْ نَقلِ

يعني أنهم مؤتمنون على أسرار الألوهية .

٧- وإنْ هُدِّدوا بالهَجرِ ماتوا مَخَافَةً

وإنْ أُوعِدوا بالقَتلِ حنُّوا إلى القَتْلِ

لا يخافون إلا من هجر حبيبهم لهم ، وإسدال حجابه بينه وبينهم ، ومع ذلك هم يعشقون قتل نفوسهم في سبيل حبيبهم ، ويسارعون إلى ذلك .

٨- لَعَمرِي هُمُ العُشَّاقُ عندي حقيقَةً

على الجِدِّ ، والباقونَ منهمْ على الهَزْلِ

من يحب الله تعالى هو المحب على الحقيقة ، أما من يعشق الدنيا ، بما فيها من مال وبنين ونساء ، فهو هازل في حبه .

موكب العشاق

موكب العشاق

١- نَشَرْتُ فِي مَوْكِبِ العُشَّـاقِ ، أعْـلامي

وكانَ قَبلي بُلي ، في الحُبِّ ، أعلامي
٢- وسِرْتُ فيهِ ولمْ أبْرَحْ بِدَوْلَتِهِ
حتَّى وَجَدْتُ مُلوكَ العِشقِ خُدَّامي
٣- ولمْ أزَلْ مُنذُ أخْذِ العَهدِ في قِدَمي
لِكَعْبَةِ الحُسنِ ، تجريدي وإحْرامي
٤- وقدْ رَماني هَواكُمْ في الغَرامِ إلى
مَقامِ حُبٍّ شريفٍ ، شامِخٍ ، سَامِ
٥- قضَيْتُ فيهِ ، إلى حِينِ انْقِضا أجَلي
شَهري ، ودَهري ، وساعاتي ، وأعوامي
٦- ظَنَّ العَذولُ بأنَّ العَذلَ يُوقِفُني
نامَ العَذولُ ، وشوقي زائِدٌ نامِي
٧- سَلَكْتُ كُلَّ مَقامٍ في مَحَبَّتِكُمْ
وما تَرَكْتُ مَقاماً قَطُّ قُدَّامي
٨- وكُنتُ أحْسِبُ أنِّي قدْ وَصَلْتُ إلى

أعْلى ، وأغْلى مَقامٍ ، بينَ أقْوامي
٩- حتَّى بَدا لي مَقامٌ لمْ يكُنْ أَرَبِي
ولمْ يَمُرَّ بأفكاري وأوهامي
١٠- إنْ كانَ مَنزِلَتي في الحبِّ عِندَكُمْ
ما قدْ رأيتُ ، فقدْ ضَيَّعْتُ أيَّامي
١١- أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ روحي بها زَمَناً
واليومَ أحْسِبُهَا أَضْغَاثُ أحْلامِ
١٢- ولوْ عَلِمْتُ بأنَّ الحبَّ آخرُهُ
هذا الحِمامُ ، لما خالَفْتُ لُوَّامي
١٣- وإنْ يكُنْ فَرْطُ وجدي ، في مَحبَّتكمْ
إثْماً ، فقدْ كَثُرَتْ ، في الحبِّ ، آثامي
١٤- أوْدَعْتُ قلبي إلى مَنْ ليسَ يحفَظُهُ
أبْصَرْتُ خلفي ، وما طالَعتُ قُدَّامي
١٥- لقدْ رَماني بسَهْمٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ

أصْمى فؤادي ، فوا شوقي إلى الرَّامي
١٦- إنْ أسْعَدَ اللّهُ روحي ، في مَحَبَّتِهِ
وجِسمَها بينَ أرواحٍ وأجسامِ
١٧- وشاهدَتْ واجْتَلَتْ وجهَ الحبيبِ ، فما
أسْنى وأسْعَدَ أرزاقي وأقسامي
١٨- ها قدْ أظلَّ زمانُ الوَصْلِ ، يا أمَلي
فامْنُنْ ، وثَبِّتْ بهِ قلبي وأقدامي
١٩- وقدْ قَدِمتُ ، وما قَدَّمتُ لي عَمَلاً
إلاَّ غرامي ، وأشواقي ، وإقدامي
٢٠- دارُ السَّلامِ إليها ، قدْ وَصَلْتُ إذاً
مِنْ سُبْلِ أبوابِ إيماني وإسْلامي
٢١- يا رَبَّنا أرِني أنْظُرْ إليكَ بها
عِندَ القُدومِ ، وعامِلني بإكْرَامِ

موكب العشاق

١- نَشَرْتُ فِي مَوْكِبِ العُشَّاقِ ، أعْلامي
وكانَ قَبلي بُلي ، في الحُبِّ ، أعلامي

الإبتلاء بالمحبة كان في مشايخي ، وساداتي من قبلي ، وأنا اقتفيت أثرهم ، واقتديت بهم ، حتى تقدمت عليهم جميعاً .

٢- وسِـرْتُ فيـهِ ولـمْ أبْـرَحْ بِـدَوْلَتِـهِ
حتَّى وَجَـدْتُ مُلوكَ العِشـقِ خُـدَّامي

وسرت في مقامات السلوك ، حتى أصبح ملوك العشق يستمدون منه ، ويسألونه فيما خفي عنهم .

٣- ولمْ أزَلْ مُنذُ أخْـذِ العَـهدِ في قِـدَمي
لِـكَعْبَـةِ الحُسـنِ ، تجريدي وإحْرامي

وهو قوله تعالى : **﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾**{الأعراف: ١٧٢} .

و**كعبـة الحسن** هو الجمـال الإلهي ، حيث تطوف حولها قلوب العارفين .

وإن كان المحرمون يتجردون من الثياب ، ليرتدوا ثياب الإحرام

فهذه الكعبة لابد لمن أرادها أن يتجرد عن جميع الصفات النفسانية .

٤- وقدْ رَمـاني هَـواكُمْ في الغَـرامِ إلى
مَـقـامِ حُـبٍّ شـريـفٍ ، شـامِخٍ ، سَـامِ

٥- قضَيْتُ فيهِ ، إلى حِين انْقِضا أجَلي

شَهري ، ودَهري ، وساعاتي ، وأعوامي

وقد ألقتني محبتكم الخالصة إلى مقام ، لا يبلغه المتعبدون بكثرة عبادتهم .

وقد استغرق هذا الحب كل أوقاتي .

٦- ظَنَّ العَذولُ بأنَّ العَـذلَ يُوقِفُني
نـامَ العَـذولُ ، وشـوقي زائِـدٌ نـامِي

ظن من يلومني بأن لومه يوقفني عن طلب هذا المحبوب ، غفل هذا العذول ولم ينتبه لأحواله ، بل طلبي وشوقي في زيادة ونماء .

٧- سَـلَـكْتُ كُلَّ مَقـامٍ في مَحَبَّتِكُمْ
وما تَـرَكْـتُ مَـقـامــاً قَـطُّ قُـدَّامـي

٨- وكُـنتُ أحْسِبُ أنِّي قدْ وَصَلْتُ إلى
أعْلى ، وأغْلى مَقـامٍ ، بيـنَ أقْوامي

٩- حتَّى بَـدا لي مَقـامٌ لمْ يكُنْ أَرَبِي
ولَـمْ يَمُـــرَّ بـأفـكـــاري وأوهــامــي

وعند موته ، وبعد أن سلك كل المقامات ، وبلغ كل الغايات ، عُرِض عليه مقام الجزاء الآخروي ، وعرضت عليه الجنة ، وما أعده الله له فيها من

النعيم المقيم ، وكان ذلك قبيل احتضاره ، ولم يكن هو يريد هذه الجنان ، وما فيها من نعيم ، بل كان يريد **المنعم** ، فقال :

١٠- إنْ كانَ مَنزِلَتي في الحبِّ عِندكُمْ
ما قدْ رأيتُ ، فقدْ ضَيَّعْتُ أيَّامي

١١- أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ روحي بها زَمَناً
واليومَ أحْسِبُهَا أَضْغَاثُ أحْلامِ

فقال مخاطباً حبيبه : إن كانت رتبتي ومقداري في الحب عندك ، أن تعطيني عوضاً عنه الجنة ، فالآن ظهر لي خلاف مقصودي ، وهو أنك ستنعمني برؤيتك ، وبحبك ومشاهدتك ، إذن فقد ضاعت جميع أيامي ، وما كابدته فيها من سلوك هباءً ، وكأنها خيالات في المنام .

ثم ابتسم ، وفاضت روحه الشريفة ، فعلم الحاضرون أنه نال ما تمنى ، وفوق ما تمنى . رضي الله تبارك وتعالى عن روحه الشريفة .

١٢- ولَوْ عَلِمْتُ بأنَّ الحبَّ آخرهُ

هذا الحِمامُ ، لما خالَفْتُ لُوَّامي

الحِمام : يعني الموت .

لو علم وهو في أول طريق المحبة ، قبل أن يظهر له شئ من جمال محبوبه ، أن آخره هذا الهلاك والمكابدة والمقاساة ، لم يكن استمر في هذا الطريق . ولكنه بعد أن رأى من جمال محبوبه ، ما رأى ، فهيهات أن يعود ، بل وقدم نفسه هدية لمن يبشره برضا حبيبه .

١٣- وإنْ يكُنْ فَرْطُ وجدي ، في مَحبَّتكمْ

إثْماً ، فقدْ كَثُرَتْ ، في الحبِّ ، آثامي

فذنوب المحبين على قدر أشواقهم ومحبتهم . إذن فذنوبه كثيرة .

١٤- أوْدَعْتُ قلبي إلى مَنْ ليسَ يحفَظُهُ

أبْصَرْتُ خلفي ، وما طالَعتُ قُدَّامي

فأنا لست منه ببال ، وإن كان ملك على قلبي .

١٥- لقدْ رَماني بسَهْمٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ

أصْمى فؤادي ، فوا شوقي إلى الرَّامي

أصمى : يعني قتل .

١٦- إنْ أسْعَدَ اللهُ روحي ، في مَحَبَّتِهِ

وجِسمَها بينَ أرواحٍ وأجسامِ
١٧- وشاهدَتْ واجْتَلَتْ وجهَ الحبيبِ ، فما
أسْنى وأسْعَدَ أرزاقي وأقسامي
١٨- ها قدْ أظلَّ زمانُ الوَصْلِ ، يا أمَلي
فامْنُنْ ، وثَبِّتْ بهِ قلبي وأقدامي
١٩- وقدْ قَدِمتُ ، وما قَدَّمتُ لي عَمَلاً
إلاَّ غَرامي ، وأشواقي ، وإقدامي
٢٠- دارُ السَّلامِ إليها ، قدْ وَصَلْتُ إذاً
مِنْ سُبْلِ أبوابِ إيماني وإسْلامي
٢١- يا رَبَّنا أرِني أنْظُرْ إليكَ بها
عِندَ القُدومِ ، وعامِلني بإكْرَامِ

أي ينظر إلى الله تعالى في جنته .

أنتم

فروضي

أنتم فروضي

١- أنْتُمْ فُرُوضي ونَفْلِي
أنْتُمْ حَديثي وشُغْلي
٢- يا قِبْلَتي في صَلاتي
إذا وَقَفْتُ أصَلِّي
٣- جَمالُكُمْ نَصْبَ عَيني
إليهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
٤- وسِرُّكُمْ في ضَميري
والقلبُ طُور التَّجلِّي
٥- آنَسْتُ في الحَيِّ ناراً
ليلاً ، فَبَشَّرتُ أهْلي
٦- قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي
أجِدْ هُدايَ لَعَلِّي
٧- دَنَوتُ مِنْها فكانَتْ
نارُ المُكَلَّمِ قَبلي

٨- نُودِيتُ مِنها كِفاحاً
رُدُّوا لَيالِيَ وَصْلي
٩- حتَّى إذا ما تَدانَى الْـ
ـمِيقاتُ في جَمْعِ شَمْلي
١٠- صَارَتْ جِبَالِيَ دَكَّاً
مِنْ هَيْبَةِ المُتَجَلِّي
١١- وصرتُ موسى زماني
مذْ صارَ بعضي كلي
١٢- فالموتُ فيهِ حَياتي
وفي حَياتيَ قَتلي
١٣- أنا الفقيرُ المعنَّي
رقُّوا لحالي وذلِّي

أنتم فروضي

١- أنْتُمْ فُرُوضي ونَفْلِي
أنْتُمْ حَديثي وشُغْلي

توحد المشهد عند المحبين ، إذ تفرق عند غيرهم ، فالنفل ، والفرض ، وجميع شغلهم ، وحديثهم ، وحياتهم ، وآخرتهم قد اجتمعت في قبلة واحدة هي عين محبوبهم ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾{النجم:٤٢} .

٢- يا قِبْلَتي في صَلاتي
إذا وَقَفْتُ أصَلِّي

٣- جَمالُكُمْ نَصْبَ عَيني
إليهِ وَجَّهْتُ كُلِّي

فهم في صلاة دائمة ، لدوام رؤية مشهودهم ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾{المعارج:٢٣} ، لأنهم أينما تولوا لم يجدوا إلا وجه الله أمامهم ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾{البقرة:١١٥} ظاهراً في جميع خلقه . فهم لا يرون خلقاً ، بل الكون عندهم غيب ، والله شهادة .

٤- وسِرُّكُمْ في ضَميري
والقلبُ طُور التَّجلِّي

وما أعلمه منكم مما لا تسعه العبارة ، ولا تدركه الإشارة ، فمحله القلب والروح ، حيث يقع التجلي الإلهي ، كما وقع لموسى عليه السلام عند الطور .

٥- - آنَسْتُ في الحَيِّ ناراً
ليلاً ، فَبَشَّرتُ أهْلي

٦- قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي
أجِدْ هُداي لَعَلِّي

٧- دَنَوتُ مِنْها فكانَتْ
نارُ المُكَلَّمِ قبلي

٨- نُودِيتُ مِنها كِفاحاً
رُدُّوا لَيالِيَ وَصْلي

٩- حتَّى إذا ما تَدانَى الْـ

ـمِيقاتُ في جَمْعِ شَمْلي

١٠- صَارَتْ جِبَالِيَ دَكّاً

مِنْ هَيْبَةِ المُتَجَلِّي

١١- وصرتُ موسى زماني

مذْ صارَ بعضي كلي

يتكلم عن بداية سلوكه ، وبدايات الفتح ، ثم الفتح والجمع ، ثم تمكنه ووصوله إلى مراده .

١٢- فالموتُ فيهِ حَياتي

وفي حَياتيَ قَتلي

١٣- أنا الفقيرُ المعنَّي

رقُّوا لحالي وذلِّي

فموت نفسه ، حياة روحه . وحياة نفسه ، قتل لروحه .

ثم يسترحم حبيبه ، ويتوسل إليه بصفات العبودية .

رحمه الله تعالى ، وقدس سره

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

ديــوان سلطان العاشقين

بسم الله الرحمن الرحيم ٣
ديباجـة الديوان ٥
مقدمة إلى فهم الديوان ٤٢
١– الحب ٤٤
٢– الإنسان ٤٩
٣– مراتب السلوك ٥٣
٤– السكر ٥٩
٥– التجليات ٦٠
٦– الحق والخلق ، الفناء والبقاء ٧٤

٧- الجمع والفرق ٨٠
٨- الإتحاد ٨٩
٩- آدم عليه السلام ٩١
١٠- القرب ١٠١

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

١١- الخيال والمعنى ١٠٩
١٢- الهمة ١٣٦
١٣- نور الله ١٤١
١٤- الوتر ١٤٤
١٥- الوجد والمناجاة ١٥٢
١٦- أهل المحبة ١٥٥
١٧- الحب الوهبي والكسبي ١٦٧
شرح الديوان ١٧٢
١٨- التائية الكبرى - نظم السلوك ١٧٤
القصيدة ١٧٥

شرح القصيـدة ١٩٠
١٩- التائية الصغرى – كعبة الحسن ٢٢٧
القصيـدة ٢٢٨
شرح القصيـدة ٢٣٢

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

٢٠- قلبي يحدثني ٢٤٦
القصيـدة ٢٤٧
شرح القصيـدة ٢٥١
٢١- هو الحب ٢٦١
القصيـدة ٢٦٢
شرح القصيـدة ٢٦٨
٢٢- أحاديث الحبيب ٢٨٨
القصيـدة ٢٨٩
شرح القصيـدة ٢٩٣

٢٣- الخمريــــة ٣٠٤
القصيــدة ٣٠٥
شرح القصيـــدة ٣١٠
٢٤- وجه ليلى - العينيـه ٣٢٣
القصيــدة ٣٢٤

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

شرح القصيدة ٣٣١
٢٥- معترك الأحداق ٣٤٤
القصيــدة ٣٤٥
شرح القصيــدة ٣٥٠
٢٦- تـه دلالا - الكافيـه ٣٦٣
القصيــدة ٣٦٤
شرح القصيــدة ٣٦٩
٢٧- سائق الأظعان ٣٨١
القصيــدة ٣٨٢

شرح القصيدة ٣٨٥
٢٨- فرط الحب ٣٩٣
القصيدة ٣٩٤
شرح القصيدة ٣٩٦
٢٩- الهائيه ٤٠٠

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

القصيدة ٤٠١
شرح القصيدة ٤٠٣
٣٠- احفظ فؤادك ٤٠٧
القصيدة ٤٠٨
شرح القصيدة ٤١١
٣١- ربا نجد ٤١٧
القصيدة ٤١٨
شرح القصيدة ٤٢٠

٣٢- آية العشق ٤٢٦
القصيدة ٤٢٧
شرح القصيدة ٤٢٩
٣٣- موكب العشاق ٤٣٣
القصيدة ٤٣٤
شرح القصيدة ٤٣٧

فهرس المحتوى

الموضوع — **الصفحة**

٣٤- أنتم فروضي ٤٤٣
القصيدة ٤٤٤
شرح القصيدة ٤٤٦
فهرس المحتوى ٤٥٠